دكتور محمد نصر مهنا

الثورة السلوكية واليسار الجديد

فى غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية

دار المعارف

في
علم السياسة السلوكى

الثورة السلوكية واليسار الجديد

« فى غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية »

دكتور محمد نصر مهنا

أستاذ ورئيس قسم العلوم السياسية
كلية التجارة - جامعة أسيوط

الطبعة الأولى

١٩٩٥



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ شارع كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .

الإهداء

إلى الصفوة من المثقفين العرب بمختلف
آرائهم وميولهم وتوجهاتهم السياسية

مقدمة

تتباين الآراء من جانب علماء السياسة حول المدرسة السلوكية في علم السياسة وأهميتها ، ففي حين يعتبر فارما[1] S.P.Varma أن المدرسة السلوكية هي بمثابة « العلم » في تطورها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فإن روجر ماسترز[2] Roger Masters يخالف هذا الرأي معلنا انتهاء « المدرسة » السلوكية في علم السياسة وتلاشي أهميتها .

ومن الثابت أن النشاط الإنساني - النابع من السلوك والأحاسيس والدوافع - هو بؤرة الاهتمام في علوم السياسة من حيث تعامل الفرد وتفاعله مع الأفكار الجديدة والمعلومات الجديدة وتحليل الظاهرة السياسية بالتالي من ثنايا السلوك الإنساني الواعي كمحصلة بين البيئة الداخلية والبيئة الخارجية ، وأنه من المتعذر معالجة الظاهرة السياسية كحقيقة ما لم تواجه اختلافا ناتجا عن السلوك .

هناك أيضا الجماعات والمؤسسات التي هي جوهر علم السياسة السلوكي وأنه لا يمكن فصل سلوك الإنسان عن التطور النفسي والتفاعل الاجتماعي وما يتعلق بذلك من القدرات والمواهب ومرونة السلوك الإنساني نفسه وارتباط ذلك - بشكل أو بآخر - بعلم السياسة كعلم تطبيقي يبحث في حياة الناس والقائمين على الحكم والوصول إلى السلطة وممارستها ولماذا يطيع الناس الدولة ؟ ؛ فالبحث السياسي من هذا المنظور نطاقه هو تجمعات الأفراد في تنظيمات ومؤسسات ، وربما كانت هذه الاعتبارات هي مجمل الانتقادات التي واجهها علم السياسة السلوكي الذي أسهم - بدون شك - وخلال العقدين الماضيين في فحص الأسس الاجتماعية للسياسة والاتجاهات والقيم المتعلقة بالمواطن العادي والتي قد تؤثر في أسلوب عمل النظار السياسي ذاته .

والكتاب الذي بين أيدينا يناقش هذه القضايا في إطار تحليلي وتفسيري ، ففي إطار التحليل جاء الفصل التمهيدي ليحلل أسباب القلق الأيديولجي في الغرب في فترة الحرب الباردة ثم الباب الأول عن « الاتجاه » السلوكي من ظاهرتي القلق الأيديولوجي وفقدان الهدف في الغرب في حين عالج الباب الثاني علم السياسة السلوكي .. أسسه ومراحل تطوره والسلوكية

---

(١) Varma, S. P. Modern Palitical Theory, New Delhi, 1977 pp. 1 - 20 & 283 - 289.
حيث ناقش آراء علماء السياسة المعاصرين في الغرب حول أهمية الاتجاه السلوكي في علم السياسة ولقبه بعلم السياسة السلوكي .

(٢) Masters, Roger D. The Nature of Palitics, New Haven & London: Yale Univ-Press 1989, pp. 232-236.

المتأخرة أو مرحلة بعد السلوكية ، أما الباب الثالث فقد عالج نظريتى الصفوة والجماعة ؛ ورغم فشلهما فى علاج مشكلات البحوث السياسية فإن السلوكية المتأخرة لم تتخل عن استخدام المنهج التقليدى بأدواته مع عدم اغفال البيانات والمعلومات الكمية ؛ وبمعنى أبسط فقد استأثرت دراسة العلوم الاجتماعية بالإضافة إلى دراسة المؤسسات باهتمام « المدرسة » السلوكية إلى جانب الرأى العام والتنشئة والاتجاه المعيارى للتعرف على القيم السائدة فى المجتمع بهدف تطوير مؤسساته .

وتأسيسا على ذلك فإننا نتفق مع الآراء القائلة بأن المدرسة السلوكية لم تتلاشى بل أنها قد تطورت على حد قول دافيد إيستون وآخرين .

أما الباب الرابع والأخير فقد عالج – فى إطار تفسيرى – ظاهرة القلق الأيديولوجى الذى ساد غرب أوروبا والولايات المتحدة وأدى إلى بروز اليسار الجديد بسلوكه السياسى المتميز ورغم محدوديته فقد ذاع صيت كتاب اليسار الجديد فى الغرب وتأثيرهم على طلاب الجامعات والطبقة العاملة والوسطى .

ومن هنا فقد تم بذل مجهود كبير فى عرض المادة العلمية التى يتضمنها الكتاب وعلى صورة تجعلها فى متناول القارئ والدارس العربى وذات فائدة لهما ، ومع ذلك فإن موضوعات الكتاب تهم طلاب العلوم السياسية والمهتمين بدراسة وتحليل ظاهرة القلق الأيديولوجى والاضطراب الفكرى بقضاياه المتشعبة الجوانب والأبعاد .

وبعد فإنه لا يسعنى إلا أن أتقدم لعلماء السياسة فى الوطن العربى بخالص الثناء والتقدير لجهودهم الرائدة فى هذا الحقل متمنيا أن يسد الكتاب نقصا واضحا فى المكتبة العربية فى هذا التخصص . والله الموفق والمستعان .

دكتور محمد نصر مهنا

فصل تمهيدى
فى
علم السياسة السلوكى
واليسار الجديد فى الغرب

- مولد اليسار الجديد
- النزعة العلمية للدراسات السياسية
- اليسار الجديد وأزمة التوزيع
- اليسار الجديد وأزمة المشاركة
- الرأسمالية من وجهة نظر اليسار الجديد
- الديمقراطية « المشتركة » والطبقات
- تقويم آراء موريس ديفرجيه
- الاتجاه اللاعقلى لليسار الجديد

فصل تمهيدى فى
علم السياسة السلوكى واليسار الجديد فى الغرب

هناك العديد من التساؤلات التي تطرح نفسها بإلحاح بشأن مدى ارتباط علم السياسة السلوكى باليسار الجديد فى دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية .

إن علماء السياسة فى الغرب لم يغلقوا أعينهم عن الحقائق فى فترة الأزمات والقلق الأيديولوجى إبان فترة الحرب الباردة ، فبالرغم مما كان يتوافر فى العالم الغربى من ثروة هائلة ، ومصادر فنية ، وتكنولوجيا ، ودرجة كبيرة من زيادة مستوى الوسائل المادية التى تسعى لخدمة الإنسان ، فقد تحرك العالم الغربى فى نفس الوقت تجاه الصراع الاجتماعى المتزايد والخوف والاضطراب .

إن عالم السياسة المعاصر دافيد إيستون David Easton قد بلور هذا القلق بشأن السلوك السياسى حينما أوضح أن المعرفة هى التى تحمل مسئولية العمل ، والعمل هنا يعنى الاهتمام بإعادة تشكيل المجتمعات الغربية ، وفى القرن التاسع عشر كان العلم - الذى اتسم بالتأمل - ملائما لظروف هذه المجتمعات . غير أن المجتمعات المعاصرة قد انقسمت انقساما حادا حول القيم ، وأساليب التفكير ، الأمر الذى تعاظم معه دور العلماء لمحاولة تحديد الأهداف الصحيحة للمجتمعات الغربية عموما ، وبل ودفعها فى اتجاه هذه الأهداف ، وأصبح من المحتم - تأسيسا على ذلك - وفى إطار المنهج الاستنباطى استنتاج أن تسييس الجمعيات الحرفية والجامعات والطبقات العاملة قد أصبح أمرا لا مفر منه ، ومرغوب فيه فى نفس الوقت ؛ فالمشكلات الاجتماعية الملحة قد فرضت نفسها ؛ ولم يعد بإمكان العلماء والمفكرين عزل أنفسهم ونتاجهم عن الاهتمامات العملية لمجتمعاتهم .

وقد انعكس ذلك على علماء السياسة الغربيين فى جهودهم لاكتشاف حلول للمشكلات الاجتماعية المعاصرة بجرأة وشجاعة ، وليس الاكتفاء باقتراحات للإصلاح ولكن بالمساهمة بجهودهم فى إعادة تشكيل مجتمعاتهم بشكل فعال وبإرادتهم الغير تابعة أو تلك التى يحددها لهم الساسة ؛ ومن هنا برزت مرة ثانية جهود تسييس الجامعات والجمعيات الحرفية والطبقات العاملة .

إن حمق الماركسية وما عكسه - هذا الحمق - على الأحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية التى كانت بقبولها - دون مناقشة - للمذهب الستالينى المساند للاشتراكية الثورية فى دولة واحدة - قد أدى فى فترة تصاعد الحرب الباردة بين المعسكرين الغربى والشرقى إلى ظهور حركة عرفت منذ ذلك الحين باسم اليسار الجديد .

استخدم اليسار الجديد المصطلحات الوجودية - وهى حركة شعبية ثقافية فى الولايات المتحدة ، ولكنها فى نفس الوقت حركة عقلية فى أوروبا الغربية انصب جل اهتمامها بإعادة « تقريظ » الماركسية ، وقد مثل هذا الاتجاه ودعاه المفكر الفرنسى جان بول سارتر .

مولد اليسار الجديد :

إن المعركة مع اليسار القديم قد بدأت تتعاظم ، واعتقد لوفيفر - أحد كتاب اليسار الجديد - أن من العوامل المسئولة عن تدهور الحركات الثورية فى المجتمعات الصناعية الغربية هو الشخصية الدستورية التى افترضها الفكر الماركسى والهياكل التى أوحى بها . أما سارتر فقد اعتقد أن الشباب لا ينبغى أن يختار بين المثالية والمادية ، وأن الوسائل الديالكتيكية التى تتضمن الاعتراف بعدم وجود شيء إنما تمثل موقفا ماديا مستقلا عن العقل الإنسانى - وكان سارتر يتمسك به - ونتج عن ذلك الهجوم العنيف على الشيوعية - أو ما أطلق عليها سارتر - الأرثوذكسية الشيوعية - بمعنى الشيوعية المتزمتة - والذى قوبل بمحاولات النقد الوجودى للعقلية والعلمانية ؛ ومن هنا نبع اليسار الجديد .

ظلت الاستجابة لليسار القديم عدوانية ؛ فالعقلية المنهجية ، ومركزية القوة استبدلت بهما اللاعقلية ، ومعاداة السلطة ، واللامركزية . واعترف ماركيوز - وهو أحد علماء النظرية السياسية الحديثة فى الغرب - بإهمال الصور التقليدية للتنظيم بالاعتقاد بأن الحزب السياسى فى النظام البرلمانى يسقط ضحية للتمزق الذى يتسم به عالم السياسية فى الغرب ؛ وحتى فى ضوء أحداث « فضيحة ووترجيت » فى الولايات المتحدة الأمريكية إبان رئاسة نيكسون ، فقد أمكن تبرير ذلك لدى الرأى العام الأمريكى ، وأن الديمقراطية المشتركة - فى الغرب - قد وصل بها الحال إلى ضرورة موازنة هذا التأثير - المفسد - بإقامة مجالس العمال ؛ وهناك على الجانب الآخر - تقوم على أساس التلقائية المنظمة وهو ما يشكل تصورا فوضويا للقوة هو الذى أطلق الحركة من ماركسية اليسار القديم ، وانعكس الصراع بين اليسار القديم واليسار الجديد فى الوقت الحاضر فى الاختلافات الموجودة داخل حركة الشباب نفسها والتى تتسم فى معظمها بالتمرد والعصيان لكل ما هو محافظ ، بل إن الأمر تعدى بالشباب إلى الوقوع فى براثن القلق الأيديولوجى وخاصة فى الغرب . ولعل أفضل الدراسات التى عبرت عن هذا القلق دراسة ناعوم تشومسكى عن القوة الأمريكية ، والمثقفون الجدد الصادرة عام ١٩٦٨ ثم دراسته عن الحرب الباردة الجديدة عام ١٩٨٢ ، وبالرغم من كون ناعوم تشومسكى من أشهر العلماء المعاصرين فى اللغويات ، إلا أنه قد ذاع صيته كأحد أكبر نقاد السياسة الأمريكية التى وصفها بالكذب والخداع .

وانطلاقا من شمولية النظرية السياسية بنظرتها الكلية - كما يرى عالم السياسة العربى الدكتور

محمد طه بدوى[1] وأن موضوعها هو العناية « بتنظير » عالم السياسة فى كليته وعلى تباين قطاعاته ، أى العناية باستخلاص الحقائق العامة الكامنة فى أغوار ذلك العالم والمنتشرة فى شتى جوانبه - فقد شهد الواقع السياسى فى الغرب فى قطاعه بشأن الرأى العام نمو اليسار الجديد بعد معارك فكرية - سيتم التعرض لها تفصيلا فيما بعد - مع اليسار التقليدى القديم ؛ وتأسيسا على ذلك فإن الباحث يلمس أن الدراسة الوصفية لليسار الجديد - وهى من فروع المعرفة السياسية - قد استلزمت ضرورة تفسير ظروف الحياة السياسية لليسار الجديد فى المجتمعات الغربية ، بل واستقراء حقائقها ، وهل تقف هذه الحقائق عند مجرد وصف الواقع ؟ أم تسعى إلى بلوغ الهدف النهائى للعلم والمتمثل فى تفسير الواقع وهو المنهج الذى تغلب على دراسة النظرية السياسية بما تتضمنه هذه الدراسة من التعرف على الحقائق الكامنة وراء هياكل سلطة الأمر فى المجتمعات الغربية عضويًا ووظيفيًا ؛ حيث ارتبطت المعرفة السياسية بمنهج اختبارى قوامه العلاقة الوثيقة مع الواقع السياسى ، ومع ذلك فإن منهج الفلسفة السياسية القديمة يستأثر - فى تطوره - باهتمام هذه الدراسة من حيث ارتباط الأفكار السياسية الحديثة والمعاصرة بالنظرية السياسية وبروز أفكار اليسار الجديد فى الغرب فى ثنايا علم السياسة كعلم تجريبى .

ومن الثابت أن النظرية السياسية ترتبط بتاريخ الأفكار السياسية سواء تعلق هذا التاريخ بفترة التاريخ القديم أو الوسيط أو الحديث والمعاصر ؛ وقد شهدت الفترة المعاصرة انهيار الاتحاد السوفيتى وبالتالى انحسار اليسار القديم وصعود اليمين ليتبوأ مركز الاهتمام فى الفكر السياسى المعاصر ؛ وبالرغم من ذلك شهدت فترة الحرب الباردة مولد اليسار الجديد فى أوروبا الغربية والولايات المتحدة من ثنايا علماء للسياسة استأثرت دراسة الأساس الفلسفى والفكرى للسياسة باهتمامهم ؛ وذلك إلى جانب - وهو الأهم - المدخل السلوكى للعلوم السياسية .

النزعة العلمية للدراسات السياسية :

وتتضح النزعة العلمية للدراسات السياسية - تأسيسا على ذلك - عند التمييز بين الفلسفة السياسية والنظرية السياسية ، فإذا استعملت نظرية مقابل فلسفة ، كان القصد من هذا الاستعمال التأكيد على عملية النظرية . وتفضيل لفظة « نظرية » هو وجه من وجوه جهد الفكر السياسى المنهجى لتكوين نظريات علمية سياسية لها صحة النظريات العلمية الرياضية ، والطبيعية وبراهينها .

إن لفظة « نظرية » تعنى أنها بناء تصورى ذهنى يبنيه الفكر ليربط بين مبادئ ونتائج معينة ؛ وقد يكون هذا البناء التصورى صائبا ، أم خاطئا بحيث لا تصبح النظرية علمية إلا إذا أثبتت التجربة صحتها ؛ وصعوبة التجربة العلمية فى ميدان السياسة جعلت النظرية السياسية حتى الآن فلسفية ، أكثر مما هى علمية وهو ما أثبتته الأفكار التى دعت لليسار الجديد فى أوروبا

(١) دكتور/ محمد طه بدوى ، النظرية السياسية ؛ النظرية العامة للمعرفة السياسية ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ إصدار ، ص ١٤ - ١٨ .

والولايات المتحدة منذ فترة الخمسينيات واستبقت النظريات السياسية فى نطاق الفلسفة السياسية لليسار الجديد .

أثبتت تطورات الأحداث المعاصرة منذ نهاية الحزب العالمية الثانية أن المفكرين وعلماء السياسة الأنجلو ساكسون يبذلون جهودهم ليكونوا نظريات علمية سياسية تبيتية ، وأن علم السياسة السلوكى والنظرية السياسية - بناءًا على ذلك - هى الدراسة التجريبية التى تسمح باكتشاف قواعد التحكم فى النشاط والتطور السياسى ، فهى تقوم على أصول عديدة ، فبالإضافة إلى التجريب - بمعنى التحليل الواقعى للحقيقة السياسية ؛ فإن النظرية السياسية تتسم بأنها نظرية عامة ، أى تشمل جميع أنواع النشاط ، والتطور السياسى ، فرديا كان أم جماعيا ، كما أنها نظرية مركبة ؛ بمعنى أنها لا تكتفى بأن تكون مجرد وصف للحقيقة السياسية وقد تحددت من حيث المكان والزمان ، أو قد أطلقت فأصبحت مجردة لا تتغير بمكان معين ولا بزمان معين . وهى كذلك لا تقتصر على التحليل الديناميكى طالما كان ينطوى تحت ما هو قائم ، وإنما تتعدى النظرية السياسية ذلك كله إلى التنبؤ .

اليسار الجديد وأزمة التوزيع :

يتفق كتاب اليسار الجديد فى أوروبا مع علماء السياسة السلوكيين والنظرية السياسية المعاصرة فى أن تحليل الواقع السياسى فى ثنايا تنظير السياسة ، إنما يذهب إلى مدى لأبعد فى تقصى الحقائق ، والمقصود بالعدالة ومشكلة توزيع الثروة بما تستلزمه من تدخل الدولة فى عملية التوزيع وأن هذا الموضوع يمثل إحدى النقاط التى يلتقى فيها علم السياسة بعلم الاقتصاد ، فالنظام السياسى يقوم بدور « الموزع » فى المجتمع ، بل أن القرارات السياسية فى مجملها ذات طابع توزيعى ، وإن كانت أزمة التوزيع تشير على وجه التحديد إلى تلك القرارات والسياسات المتعلقة بتخصيص وتوزيع الموارد . إن الجدل المثار بين علماء النظرية السياسية وفلاسفة اليسار الجديد قد تطرق إلى الاعتبارات الفنية والاقتصادية فى عملية التوزيع بمعنى أن يكون التوزيع على أسس تتعلق بنوعية العمل ، والاعتبارات الاجتماعية والأيديولوجية التى توجد فروقا فى الالتزام بمفهوم العدالة الاجتماعية فى التوزيع وأن كلا الاعتبارين الاجتماعى والأيديولوجى مرتبطان ببعضهما البعض ويدعم أحدهما الآخر فى الأجل الطويل ، وإن كان ذلك لا يحول دون بروز تناقضات بين الاعتبارين فى الأجل القصير .

وتبحث النظرية السياسية فى تحديد العلاقة بين الفرد والدولة ومدى طاعة الفرد للنظام السياسى ، وحدود المثل السياسية ، والأخلاق « السياسية » والتى تبنى عليهما أسس الدولة ، وما تهدف إليه الدولة ، وما يتوقعه الناس من الدولة من حيث تحقيق الرفاهة ، والسلام ، والحرية والعدالة ، والمساواة ، وعلى الدولة أن ترعى حقوق الأفراد ، وعلى الأفراد أن يطيعوا الدولة فكل منهم يتمم الآخر سياسيا ؛ وإذ حدث إنشقاق بين الفرد والدولة ، فيجب أن

لا يصلحه أدوات العنف ، بل يجب تقويم المعوج من خلال الرأى العام المستنير ، والتفاهم ؛ وإلا تمزق كيان وأسس الدولة وشملها نتيجة لانتشار الظلم . وقد التقى علماء النظرية السياسية مع كتاب اليسار الجديد فى ضرورة البحث عن هدف الدولة ووظائفها وحقوق الأفراد وواجباتهم فى ظل الدولة .

اليسار الجديد وأزمة المشاركة :

هناك أيضا مفهوم المشاركة فى النظرية السياسية ومدى تطبيقه لدى كتاب اليسار الجديد فى أوروبا . إن مشكلة المشاركة تشير إلى المشاكل المترتبة على ازدياد حجم الراغبين فى المشاركة السياسية ، ونوعية هذه المشاركة نتيجة لعملية التعبئة الاجتماعية وقدرة المؤسسات السياسية والمطالب الجديدة وآثارها على العملية السياسية ؛ ودور النخبة السياسية وصانعى القرار فى استقطاب الجماعات المختلفة ذات المصالح المتباينة ؛ وعما إذا كانت المشاركة تعنى بالضرورة خلق مجتمع ديمقراطى . متعدد الأحزاب وجماعات المصالح .

يرى فروم – أحد كتاب اليسار الجديد – أن المشاركة تستهدف « إحياء العملية الديمقراطية »[1] ومن ثم تتذبذب جميع حلوله حول الحاجة إلى إضفاء طابع الإنسانية على العلاقات – إنها الإنسانية التى تفتقر إليها المجتمعات الصناعية المعاصرة ، واللامركزية فى العمل والدولة ؛ فى حين تقتصر المركزية على احتياجات الصناعة فقط[2] .

الرأسمالية من وجهة نظر اليسار الجديد :

بالرغم من صعود اليمين وانحسار اليسار القديم فى الوقت الراهن على الصعيد العالمى ، فإن الرأسمالية – من وجهة نظر كتاب « اليسار الجديد – تعود وكأنها الشيطان الأكبر طالما أنها تقوم على السيطرة على السوق وتوجيهه وآلياته ؛ فالناس والمنتجات كأنها سلع ؛ وقيمة الاستعمال تستبدل بقيمة التبادل ؛ وتقترب نظرية فروم من النظرية الماركسية لتحويل العمل ، ففى الاقتصاد الرأسمالى يصبح عمل الناس متباعدا عنهم ؛ وتتدفق قوى الحياة المتعلقة بالإنسان فى الأشياء والمؤسسات ، وتصبح بمثابة محددات وعوامل لعبادة الأصنام ، أنها بمثابة خضوع الإنسان للأشياء التى من صنعه وللظروف التى خلقها » . وتأسيسا على ذلك فإن اصطلاح « اليسار الجديد » يركز على ضرورة استمرار الكفاح ضد الرأسمالية المستقلة ؛ وفى نفس الوقت فإنه يرفض المذهبية الدوجماتية الجامدة التى ندد بها روجيه جارودى فى كتابه « ماركسية القرن العشرين » ؛ ويتحدث اليسار الجديد عن خبرات منظمات حروب التحرير الشعبية ، ويضم اليسار الجديد كتابا أوروبيين وأمريكيين وأفروآسيويين وعلماء من

---

(١) Fromm, Erich; "The Revolution of Hope" Routledge, London, 1971. pp. 340 - 343.

(٢) Fromm, Erich; "The Sane Society", Routledge, London, 1971, pp. 342 - 360.

العالم الثالث ؛ وشاعت الأفكار من ثنايا كتابات هربرت ماركيوز وفرانز فانون وريجى دوبريه وبول باران وغيرهم من الذين نادوا بإقامة نظام اقتصادى عالمى جديد ؛ وتصنيف المجتمعات إلى مجتمعات صناعية تكنولوجية متطورة وأخرى زراعية متخلفة .

هناك كاتب آخر ينتمى لليسار الجديد وهو كينستون[1] ، وضع أصبعه على المسألة حينما أوضح أن الحلقة المفقودة هى الصلة الطبيعية المتكاملة بين الناس وأعمالهم ، وهى صلة يمتلكها الفلاح والصانع والحرفى . ويضيف كنيستون أن الفرق بين ماركس وفروم يكمن فى أنه بينما نجد - عند ماركس - أن العلاقة المشار إليها بين العامل وصاحب العمل هى مركب للموضوع ؛ أى مركب للعلاقات التى ستوجد فى المجتمع الشيوعى ؛ نجد فروم يركز على الحفاظ على المثل الأعلى الذى هو بمثابة ضرورة اجتماعية ، وأن الوسيلة الوحيدة للمحافظة على الصلة بين الناس وأعمالهم هى النكوص أو العودة إلى عصر الفلاح والصانع .

الديمقراطية « المشتركة » والطبقات :

إن تصاعد اليسار الجديد لدى أوساط الشباب والطلاب فى أمريكا قد قوبل بقمع شديد من الشرطة ، فقد شهد الاجتماع الديمقراطى فى شيكاغو عام ١٩٦٨ مظاهرات للطلاب على نطاق واسع ؛ ونجحت أنشطة الشرطة بتوجيه من « دالى » عمدة شيكاغو وقتئذ - فى معاداة نسبة كبيرة من الطبقة الوسطى فى مجتمع ليبرالى .

وفى فرنسا كانت قسوة الشرطة تجاه الطلاب فى باريس وفى نفس الوقت لها نفس التأثير على عائلات الطبقة الوسطى الفرنسية . إن أوجه الشبه بين الحركتين يتمثل فى تفصيل غير قليل لأحداث كل من شيكاغو وباريس التى سبق الإشارة إليها .

ففى أمريكا نجد أن الذى أزعج الطلاب والشباب فى شيكاغو هو اختيار هيوبرت همفرى مرشحًا للحزب الديمقراطى فى الانتخابات بالرغم من أنه لم يحرز أى صوت أولى فى انتخابات الرئاسة ؛ وكان النقد الذى تعرض له اليسار الجديد هناك هو سذاجته السياسية ، فلو كانت للحركة كفاءة سياسية لكانت - على الأقل - قد حاولت أن تظل متمسكة بالمبادئ الديمقراطية .

---

(١) Keniston, K. "The Varieties of Alienation, An Attempt at definition" From "The Un Comitted Allenated Youth in American Society" Harcourt, Brace & World, N.Y., 1965. pp. 451, 463 - 58, 460 - 64. \JAk

وراجع أيضا لنفس المؤلف :

"Young Radicals and The Fear of Power: in Michael Brown" "The Politics and Anti - Politics of the Young", Glen coe Press, London, 1969.

ولكن كان هناك فى داخل الحركة خوفا دائما من البيروقراطية ، وابتعاد القيادة عن أتباعها ، وأدى الخوف من اللينينية إلى دوام التأكيد على « السذاجة » السياسية وإساءة السمعة الذاتية .

أما فى فرنسا ، فقد كان الاهتمام جله قد انحصر فى « إيمان » العمال بتوجههم اليسارى ، غير أنه كان من الضرورى منع الاشتراكية الجامدة من تعقب الرأسمالية ، فلا تكون هناك مركزية ولا دكتاتورية البروليتاريا . وكان على الثورة أن تبرر ذاتها وأن لا تكون هناك أى تضحية من أجل يوتيبيا (مدينة فاضلة) بعيدة المنال .

تقويم آراء[1] موريس ديفرجية :

يرجع موريس ديفرجية - وهو الفقيه الدستورى الفرنسى - أسباب تدهور الماركسية إلى أن اصطلاح الصراع الطبقى فى رأى الماركسيين هو مصدر النزاعات السياسية باعتباره صراعا بين المالكين وغير المالكين ، فالطبقات الاجتماعية يحددها أسلوب الإنتاج ونظام التملك ، وهذان تولدهما حالة « المستوى الإنتاجية » وأساليب الإنتاج ، ونظام التملك .

إن نظام التملك وأساليب الإنتاج اللذين سادا فى العصر القديم قد تسببا فى صراع السادة والعبيد ، ونشأت الدولة القائمة على العبودية . وفى العصور الوسطى ارتبط أسلوب الإنتاج بنظام التملك الإقطاعى ، وقام صراع بين الإقطاعيين والرقيق « القن » وفى العصر الحديث ارتبط أسلوب الإنتاج بنظام التملك الرأسمالى وقام صراع بين البورجوازيين والبروليتاريا « الطبقة العاملة » ونشأت الدولة الديمقراطية الغربية ؛ لكن الصراع يظل دائما - وعلى طول التاريخ قديمة ووسيطه وحديثه - بين الذين يملكون أدوات الإنتاج والذين لا يملكون للبقاء إلاّ قدرتهم على العمل .

وربما كان ديفورجية وهو يطرح آراءه السابق الإشارة إليها - أول من تنبأ بانهيار الماركسية قبل زوالها بثلاثة عقود على الأقل ، لكنه مع ذلك ينتقد الدولة الرأسمالية المعاصرة بمرارة حينما يركز على أن النضال فيها يتم عن طريق إنشاء الأحزاب السياسية ، وحيث يملك العمال أن يوسعوا تنظيماتهم ، وحتى الأنظمة الفاشية التى تتخذ من النظم السياسية الغربية نموذجا لها ، فإن سيطرة الرأسمالية هى بمثابة قوة ضاربة ، وتأسيسا على ذلك فإن المقاومة العمالية والشعبية تأخذ أشكالا سرية ومباغتة .

وفى ظل النظام الرأسمالى المتصاعد فإن الصراع يقوم بين الملاك والذين لا يملكون ، وما من طبقة تعتبر متجانسة تجانسا مطلقا ، فكل طبقة مؤلفة من عناصر متنوعة ؛ وهى فى نزاع مع بعضها ، فصغار التجار فى نزاع مع كبارهم ، ورجال الصناعة فى نزاع مع رجال البنوك ، والتعارض يسود بين المحافظين الليبراليين ، أى بين الأرستقراطية والليبرالية الاقتصادية ، وبالرغم

---

(1) Daverger, Maurice, Methods Mauice, Methos de la Science Politique, Paris, Presses universitaires de France 1459 pp. 20 - 95.

من بروز عوامل أخرى للصراع تمثلت فى العوامل العرقية والقومية والدينية ، لكنها تظل ثانوية إذا قيست بالعوامل الطبقية فى الرأسمالية المعاصرة ومصالحها الطبقية بالدرجة الأولى .

وتعكس المصالح « الطبقية » فى ثناياها تعريف الطبقة الاجتماعية ذاتها ، فالطبقة الاجتماعية عموما هى فئة من أفراد المجتمع تكون ظروف نشأتها متجانسة نسبيا ، وفى نفس الوقت تتسم بالتباين والاختلاف عن ظروف الفئات الاجتماعية الأخرى ، وجميعها تنشأ نتيجة لتفاوت الفرص التى يهيئها المجتمع لأفراده عند الولادة ، وهناك تعريف آخر للطبقات على أساس درجة الغنى ، أو نوع التملك ، أو الامتيازات ، أو المميزات الثقافية ، وهذا التفاوت يجعل أفراد المجتمع الواحد ينقسمون إلى طبقات ذى سمات متباينة فى الحياة وبالتالى فى مشاعر الانتماء .

غير أن ديفرجيه وهو يوجه سهام نقده للطبقة الرأسمالية المعاصرة يرى فى نفس الوقت أنها حققت نوعا ما من المساواة حيث أتاحت للفرد أن يصل بعمله ، وذكائه ، وقابلياته إلى تحصيل منافع وامتيازات يورثها إلى خلفه ، وأن الأسطورة التى ادعت أن « الإنسان يصنع نفسه » والعبارة التى أطلقها البعض « اغنوا أنفسكم » إنما تمثلان شيئا من الواقع رغم ما فيهما من مبالغة ؛ ويناقض ديفرجيه نفسه فيما بعد حينما يعترف أن تراكم رأس المال فى بعض الأيدى قد انتهى إلى توليد تفاوتات وراثية ضخمة قد بلغت شأنا كبيرا فى المجتمعات الغربية .

أمّا الانتقاد الموجه إلى « الأنظمة الاشتراكية » من وجهة نظره فقد تمثل فى التفاوت فى المراكز الاجتماعية وأدى أيضًا إلى نتائج وراثية ، فأبناء الموظف الكبير أو الطبيب العظيم أو المحامى الشهير أو المهندس النابغ ؛ لهم من الفرص عند البداية ما ليس لأبناء العمال أو الفلاحين ، ويكمن السبب فى أن أبناء ذوى المراكز الاجتماعية المرموقة فى الأنظمة « الاشتراكية » يتلقون من بيئتهم ويتأثرون بها ؛ وتساعدهم إمكانياتهم المادية وعلاقاتهم على بدء خطواتهم الأولى ؛ صحيح أن من ينال أجرًا كبيرًا لا يورّثه لأبنائه ، وإنما يورثه بالطبع . إمكانيات تعليمية أفضل ، ودعائم اجتماعية ، ومنافع « مادية » غير مباشرة ، فى حين أنه فى المجتمعات الغربية جعل مستوى المعيشة المرتفع ، والأجور المرتفعة ؛ والرخاء المادى .. هذه العوامل قد خففت حدة الصراع الطبقى ؛ وهكذا يناقض ديفرجيه نفسه بنفسه .

ولقد ارتبطت أنظمة القيم واختلاف الأيديولوجيات بممارسة الديمقراطية ؛ وأدى التخويف « بالشيوعية » فى الغرب دورًا كبيرًا فى خطر سيطرة « السوفيت » على الدول الغربية ، غير أن الخوف من الخطر الأحمر كان وهما حيث كانت الطبقة الرأسمالية فى الحقيقة تصرف انتباه الجماهير عن الظواهر السيئة للرأسمالية المعاصرة والمتمثلة فى الاستغلال الاقتصادى وانعكس ذلك على ممارسة الحياة السياسية فى المجتمعات الغربية فى فترة الحرب الباردة ، ومن خلال تخويف هذه المجتمعات بإقامة نظم حكم دكتاتورية ؛ وخطر العدو الخارجى ، فإن ذلك كان يهدف إضعاف المعارضة وإجبارها بالتحالف مع الأحزاب الحاكمة ، أنها استراتيجية استخدمتها معظم الحكومات منذ قرون . ومن منظور اقتصادى فقد اتسمت الرأسمالية المعاصرة بعدة سمات

جعلتها تختلف عن رأسمالية القرن التاسع عشر ، فقد حلت الكهرباء والطاقة النووية محل الفحم كمصدر للطاقة ، بالإضافة إلى الدور المتعاظم للنفط فى الحياة الاقتصادية فى الغرب والولايات المتحدة ؛ وغدت الإلكترونيات ومولدات المفاعلات النووية أكثر تعقيدًا ، وتبنت الشركات العملاقة والمتعددة الجنسية أساليب حديثة فى العمل والإنتاج وأعطاها ذلك قوة جبارة ونفوذا ساعدها على الهيمنة الاقتصادية والسياسية معا وهو ما يتنافى ويتعارض تمامًا مع أسس الأنظمة الديمقراطية الليبرالية ؛ ويفسر هذا اهتمام فكر فصائل اليسار الجديد فى الغرب بما أطلقت عليه « الديمقراطية المباشرة » .

وعلى الرغم من أن تجربة الديمقراطية « المباشرة » قد فشلت فى اكتساب أى أهمية سياسية ، إلا أنها احتفظت بنوع من « القيمة » Value وهى إدخال بدائل للقنوات التقليدية فى النشاط السياسى ؛ وركزت فصائل اليسار الجديد على أن هذا النوع من الديمقراطية « المباشرة » لا يوجد فى ثناياه رؤساء ولا « منفذون » ، فلم تؤخذ أصوات فى الاجتماعات وكان العامل الأهم هو الحكم « بالسماع » على الإجماع العام للرأى ، وما كان اليسار الجديد يسعى لتنفيذه فى الواقع هو امتداد الأفكار السابقة إلى المجتمعات الغربية عمومًا .

وفى أمريكا جاءت مظاهرات كولومبيا عام ١٩٦٨ لتؤكد على شعار ممارسة مبادئ الديمقراطية المشتركة ، وساد انطباع عام لدى لجان تنسيق الإضرابات أنه لا يمكن تغيير أى سياسة ما لم تكن متوافقة على المبادئ « الليبرالية » بما يعنيه ذلك - ديمقراطيا - من استمرار المناقشات قبل اتخاذ أى قرارات ، مع الأخذ فى الاعتبار بأن تطبيق هذا النوع من الديمقراطية « المشتركة » يرتبط بالمصالح « الطبقية » فى جوهرها .

فالمصالح الطبقية أضفت تعارضا مع الديمقراطية بصورها المختلفة ، وتجسد هذا التناقض فى الأنظمة الديمقراطية الليبرالية فى أنها أمست فى حاجة إلى الدولة القوية التى لا تقنع بوظيفة « الدولة الحارسة » وإنما تتدخل بأساليب التخطيط الضرورية ؛ وأن كانت نطلق عليها بالتوجيهات أو المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية Social and economic indicators والتى عكست تأثيراتها السياسية على إضعاف البرلمان ؛ وتقوية الحكومة وتركيز السلطة فى يدها وعدم إطلاق حرية الانتخابات وإنما تقييدها بشروط تتفق والمحافظة على مصالحها .

ومن منظور اقتصادى فقد عرفت الرأسمالية أيضًا فكرة القطاع العام كمشروعات البلديات والمشروعات القروية ، وإن كان القطاع العام يعمل تحت مظلة التبعية للقطاع الخاص ، وفى المشروعات الاجتماعية عرفت الرأسمالية أيضًا المستشفيات والمدارس والمصحات ، والمشروعات غير المربحة وتلك التى تدر عائدًا ضئيلاً حيث تكون تحت مظلة الدولة التى غالبا ماتكون مسئولة عنها ، أضف إلى ذلك الضمان الاجتماعى والأبحاث العلمية المتعلقة بالتكنولوجيا والاتصالات ، وقد أسهب موريس ديفرجيه فى عرض دور الدولة الرأسمالية المعاصرة بشأن تحقيق التوازن التلقائى من ثنايا توجيه الدولة المستمر وجهودها بشأن التوقعات المستقبلية وتطور الاقتصاد

ومراقبة السوق وفرض الضرائب ومنح الائتمان ومعالجة مشكلات الركود والتضخم ؛ ومع ذلك فإن كتّاب اليسار الجديد فى الولايات المتحدة لايزالون مصرين على أن الغلبة فى هيكل الاقتصاد الرأسمالى تظل للقطاع الخاص والاحتكارات .

الاتجاه اللا عقلى (المضاد للعقلية) لليسار الجديد :

شهدت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية يقظة فكرية وذهنية لدى نخبة من أصحاب اليسار الجديد وإن كانت هذه اليقظة نحو اليسار ما تزال محدودة ، غير أن تفاعل أفكار هذه النخبة قد دارت فى خضم تناقضات سياسية ، ومع ذلك فإن الفكر المستمد من الواقع والذى أثر أيضًا على الواقع فى الغرب قد مهد فى فترة الحرب الباردة لتحولات تاريخية هامة ظهرت بوادرها فى أعقاب التغييرات التى طرأت على الأوضاع فى أوروبا والولايات المتحدة عقب انهيار الاتحاد السوفيتى حيث كشفت سقوط الأنظمة الشيوعية فى شرق أوربا عن أزمة حقيقية عميقة فى الغرب بعد أن اتضح أن العداء للشيوعية والخوف من انتصارها كان عاملا أساسيا من عوامل التماسك والتقارب بين دول الغرب ، وأن معظم المؤسسات والتنظيمات والأحزاب السياسية – من وجهة نظر فريق من أصحاب هذا الرأى – قد استحدث سلطتها من قيام هذا الحاجز العميق بين الشرق والغرب .

وفى هذا السياق الفكرى يعترف توم هايدن وهو من قادة اليسار الجديد فى أمريكا بصعوبة المثال الأعلى المشترك ، ومحاولة التوفيق بين الإنسانية الوجودية والسياسة الراديكالية على الرغم من أن بعض التنظيمات السياسية كان لها إنجاز ملموس فى هذا التوفيق ، وهو ما أعطى سمة خاصة للحركات اليسارية الجديدة . ويبدو أن « الإنسانية الوجودية » قد نبذت لصالح « السياسة الراديكالية » ؛ وتضاءلت البدائل لهذه الحالة وأصبحت بمثابة بؤر للثوار الجدد ، وبين الصفوة العقلية التى قال بها رايت وميلز ؛ والديمقراطية المشتركة التى نادى بها توم هايدن وستاوتوك ليند فإن هناك خطا واضحا فى الاتصال بينهما ، فالأخيرة تنفذ الأولى ، والجميع من العقليين ، والفرق الوحيد بينهما أن هايدن وليند قد استخدما المصلحات الوجودية فى حين استخدم ميلز(١) مصطلحات الماركسية الجديدة .

ومن الثابت أن ميلز(٢) لم يعترف بالطبقات العاملة كطليعة ثورية . وقد سبقت الإشارة أن لوفيفر قد أعتقد أن الشخصية الدستورية التى افترضها الفكر الماركسى والهياكل التى أوحى بها هى المسئولة عن تدهور الحركات الثورية فى المجتمعات الصناعية حتى أن الماركسية – فى معركتها مع اليسار الجديد فى غرب أوروبا والولايات المتحدة – قد عدت حمقاء ، ومضادة

---

(١) Mills, C. Wright : The Social Role of the Intellectual in Power, Politics and People: The collected Essays of C. Wright Mills, Y. L. Horowite (ed), N.Y.1963 PP 280 - 292.

(٢) Ibid, P389.

للثورية – فالأحزاب الشيوعية فى أوروبا – بقبولها دون مناقشة للمذهب الستالينى المساند لدعوة إجراء الاشتراكية الثورية فى دولة واحدة مع الاعتراف المتزايد بالاستقرار المؤقت للرأسمالية الغربية ، قد لجأت إلى نوع من رد الفعل ضد « التشيع » لليسار القديم ، كما أدت العقلية المنهجية والتركيز البيروقراطى للقوة إلى توجهات اليسار الجديد لحركة شعبية ثقافية فى أمريكا ، فى حين أنها اتخذت طابعًا عقليا فى أوروبا ؛ وقد سبقت الإشارة أيضًا إلى أراء جان بول سارتر فى فرنسا من أن الشباب لا ينبغى أن نختار بين المادية والمثالية ، وتأكيده على الوسائل الديالكتيكية التى تتضمن الاعتراف بأنه لا يوجد شيء يضاهى موقفا ماديا مستقلا عن العقل الإنسانى الذى يحرص سارتر على التمسك به ، ومرة أخرى ينبع فكر اليسار الجديد من التناقض بين الشيوعية والنقد الوجودى للعقلية والعلمانية .

البـاب الأول

ملامح الثورة السلوكية

الفصـل الأول

الاتجاه السلوكى بين القلق الايديولوجى وفقدان الهدف فى الغرب

- مرحلة القلق الأيديولوجى - التغير والاستمرار
- الاتجاه السلوكى - النظرية السياسية كنشاط فكرى
- تأثير الاضطرابات الاجتماعية - النسبية الأخلاقية
- تقويم آراء إيستون Easton حول الخلط بين العلم والنظرية - فقدان الهدف .

الفصل الأول

الاتجاه السلوكى بين القلق الأيديولوجى وفقدان الهدف فى الغرب

مرحلة القلق الأيديولوجى :

هناك سبب يسبق انهيار النظرية السياسية هو أنه منذ عام ١٩٤٥ يبدو أن العالم الغربى قد قنع بحالة تشبه حالة الرضا عن النفس عن معتقداته السياسية مما ترتب عليه عدم وجود أى حركات فكرية أو اجتماعية ذات دلالة ، فلم تظهر طبقة جديدة ولا صراع لكسب نصيب فى السلطة السياسية . والديمقراطية من النوع السائد فى المملكة المتحدة والولايات المتحدة يبدو أنها أصبحت مقبولة ومتأصلة إلى حد كبير لدرجة عدم ظهور حركات مناوئة لها وتتحداها فى الغرب وثمة إحساس عام فى الغرب بأنهم يتقدمون حثيثا نحو اهدافهم سواء ما تعلق منها بالتقدم الاقتصادى أو التكنولوجى . إن الفكرة السائدة فى الولايات المتحدة تبدو فى رأى ليبست Lipest والذى عبر عنها قائلا : البحث عن المجتمع الصالح طيلة السنوات لماضية وقد وصل إلى نهايته « لأننا حصلنا عليه فعلا » ، « إن الديمقراطية كما نعرفها الآن » هى أشد الصور المقربة إلى المجتمع الصالح الذى ننشده » « إن المشكلة الرئيسية للمجتمع الصناعى وخاصة مشكلته السياسية » قد حلت تماما لقد حصل العمال على حقوقهم الاقتصادية والسياسية كما أن المحافظين قد قبلوا فكرة دولة الرفاهة كما أعترف باقى الديمقراطيين بأن الزيادة فى سلطات الدولة يحمل معه مخاطر تهدد الحرية أكثر من أن تحل المشاكل الاقتصادية ويطلق ليبست Lipest على ذلك : « انتصار الثورة الاجتماعية الديمقراطية فى الغرب ، وإذا كان هناك اندثار لنظرية سياسية كلاسيكية فذلك لأنه انتصرت عليها الديمقراطية » .

ولكن هل من الصحيح تماما أن يقال أن الأيديولوجية قد ماتت فى الغرب تماما ، إن ثمة حقيقة تؤكد أنه حل محلها سياسات جديدة مثل المساومة والتوافق ومما يوحى بأن ثمة وجود شعور أيديولوجى قوى واسع فى المجتمع يختص بالقيم وكما اقترح دال Dahl إن الأيديولوجية بدلا من أن تكون على السطح عالية التغير قد تركت إلى مستوى دون الجدل السياسى العام ، أن أيديولوجية التغير الاجتماعى قد حلت محلها أيديولوجية المحافظة الاجتماعية Conservatism والمجتمع لم يعد من الجاذبية بمكان حتى يغير أهدافه . ويذكر كرستيان باى Bay أن هذا يعتبر فى حد ذاته أيديولوجية . ونرى فى تراث عظماء السياسة السلوكيين المعاصرين دفاعا شديدا عن النظام السياسى والاجتماعى القائم ، حتى الذين لم يسموا أنفسهم سلوكيين مثل شومبر Schumper يؤيد بشدة بل وبعنف الهيكل الاجتماعى القائم والمؤسسات الحالية . ويشير

إلى اقتباس أرسله إليه أحد السياسيين الناجحين ، الذى لا يفهمه رجال الأعمال هى أنهم يتعاملون فى البترول كما أتعامل مع الأصوات Votes وقد أيد أشعيا برلين Isaiah Berlin فكرة « الجدية السالبة » فى مقابل ، الحرية الموجبة[1] وكل هؤلاء الكتاب وما عملوه هدفه أن يحل محل المنهج المثالى فى الديمقراطية وذلك من خلال منهج براجماتى عملى . وقد وصف شومبر المنهج الديمقراطى بأنه ليس شيئًا يهدف إلى تحقيق « الصالح العام » ، ولكنه من خلال ممثلى الشعب الذين يحملون إرادته قد تبدو شيئًا هزليا ولكن طالما أنه كان هناك مجهود من قبل هؤلاء الأفراد بهدف « الوصول إلى السلطة كى يقرروا من خلال النضال التنافسى فى التصويت لصالح الشعب ، ويلاحظ أن ما يمكن أن نفهمه من كتابات شومبر أو دال Dahlأو لاسويل Laswell أو سيمون أن هدفهم الآن لم يعد تغيير المجتمع بل المحافظة عليه .

التغير والاستمرار :

ثمة سبب آخر من أسباب تدهور النظرية السياسية وهو أن النظرية السياسية فى حد ذاتها لم تتدهور بل تغيرت فى الشكل . فالنظرية السياسية فى الماضى كانت تشتمل على مجالين :

(أ) على المستوى العملى تبحث فى ماهية الحكومة ووظيفتها ولماذا يجب طاعتها .

(ب) على المستوى الفلسفى حاولت أن تضع أهداف الدولة والخطوات الرئيسية المؤدية إليها . وحيث أن هذا الجانب الفلسفى الأخير ذو طبيعة تكهنية أو تخمينية لذا فإنه يتفاوت من زمن إلى زمن ومن شخص إلى آخر ومن بلد إلى بلد ، وحيث أن هذه النظريات التكهنية كانت تؤثر على أوضاع المجتمع فقد كان من المهم تاريخيا دراسة الزمن والظروف التى نشأت فيها وكذا دور الصفوة الحاكمة . ولم يكن كايم حينئذ مخطئًا عندما قال أن الفيلسوف السياسى يحاول أن يعيد بناء التاريخ بطريقته الخاصة وبفرض قيمه أو قيم جماعته . وهذا لا يساعد العمل بل يعرقله وبخاصة التفسير العلمى للحقائق إذ أن الوظيفة الحقيقية لهذه النظرية هى تبرير فقط لما رآه الفلاسفة مرغوبا ومن ثم فإن النظرية السياسية بدءا من أفلاطون مرورا بهيجل كانت بصفة عامة تبقى تكوين الأفراد الذين يصلحون دائمًا لأن يكونوا فلاسفة ، لقد كان من الطبيعى أن تكون فلسفتهم السياسية جزءًا من فلسفتهم العامة – لقد تم التوصل حديثًا فقط أن « صحة » أو معقولية صيغة ما من التنظيمات السياسية أو صيغة ما من سياسة لا يمكن استنباطها تلقائيا من الأهداف النهائية أو المبادىء الميتافيزقية .

ولكن حتى فى الماضى لم تكن النظرية السياسية دائما نتاجًا أو فرعا من الفلسفة وكان هناك فلاسفة من أمثال دى توكويفيل ، وجراهام دالاس وغيرهم الذين تبنوا وجهة النظر

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك :

P.H. Patridge. Politics, Philosophies, Ideology in An thony Guinton ed., Politcal Philosophy. Oxford University Press, 1967, pp. 30 - 40.

الاجتماعية فى السياسة (أى التى تتعلق بعلم الاجتماع) . وحتى هوبز Hobbezفى كتابه Leviathan كان منقادا باعتبارات عملية أكثر منها اعتبارات فلسفية . وإن روسو لم يكن فيلسوفا فى المبدأ على الرغم من أننا نرى Green وبوزانكويت ومثاليين آخرين قد أقاموا فلسفة من خلال التحليل السوسيولوجى (أى تحليل علم الاجتماع) . والذى نستطيع أن نقوله أن هذه المناهج سواء كانت فلسفية أو سيكولوجية أو أيديولوجية قد تدهورت فى السنوات الأخيرة ذلك فى مواجهة أبحاث تجريبية سياسية واجتماعية مفصلة . ويجب ألا يقودنا هذا إلى التفكير بأن النظرية السياسية تنسلخ بعيد عن الفلسفة الأم ومثل الاقتصاد والعلوم الاجتماعية الأخرى قد وصلت إلى نقطة يجد الباحث أو المتخصص نفسه مضطرا لمعالجة المشاكل العامة بما فى ذلك التحليلات التصورية أو التى تتعلق بالمفهوم والذى كان فى وقت ما السند الوحيد للفلسفة . إن علماء السياسة اليوم يفعلون ذلك على مستوى السفسطة والتعقيد بينما لم يستطع الفلاسفة أنفسهم الوصول إليه . إن الحدود بين الفلسفة والسياسة يعاد رسمها من جديد وثمة خط فاصل ظاهر بين المسائل الفلسفية والتجريبية ، إن النظرية السياسية – بمعنى آخر – لم تعد منطوقة نطقا صريحا من جانب الفلاسفة أو علماء الاجتماع – الذين تلجأ إليهم أحيانا للبحث عنها وعند علماء السياسة نجدهم يزيدون من السفسطة حول المسائل التى تقع فى مجالهم[1] .

وكون وجود نظرية سياسية – حتى بمفهوم الفلسفة السياسية – أمر لا غنى عنه بعد حتى فى حالة التدهور وهى فكرة يؤيدها بشدة أشعيا برلين[2] Isiah Berlin، فهو يتحدى فكرة وجود نوع واحد من المجتمعات سواء كان تكنوقراطيا أو شموليا كليا مهما اختلفت المجتمعات سواء منها الأفلاطونى أو الفوضوى حتى لو اتخذنا أهداف المجتمع كمعيار فانها جميعا تحمل معانى مختلفة ولكنها غير متصارعة بالنسبة للأفراد المختلفين والمواقف المختلفة .

ويستطرد برلين Berlin قائلا : « لأن نفترض أن هناك ثمة احتمال بأن تكون عصورا بدون فلسفة سياسية فإننا نكون كمن يفترض أنه ما دامت هناك عصورا من الإيمان فلابد أن توجد عصور من الإلحاد التام . ولكن هذه فكرة سقيمة : فلا يوجد نشاط إنسان دون شكل من أشكال النظرة العامة[3] .

---

(١) اعتمدنا فى هذا التحليل القيم على :

Varma, S.P., Modern Political Theory, A Critical - Survey, Vikas, New Delhi, 1977.

(٢) Isiah Berlin Two Concepts of Liberty in Four Essays on Liberty, Clarendon Press, 1958.

(٣) فالشك والسخرية ورفض الجدل فى القضايا المجردة أو التساؤل حول القيم أو الانتهازية أو الازدراء هى كلها بالطبع مواقف أخلاقية ميتافيزيقية وقد تتحول إلى اتجاهات التزامية راجع :

John Plamenatz, "The Use of Political Theory" in An Anthony Quinton, ed, op. cit, pp 15-25.

وراجع فى تفصيل ذلك : Varma, op. cit, pp 3-35.

وقد فشلت محاولات فلاسفة القرن الثامن عشر في أن يحولوا السياسة إلى فلسفة وخاصة الفلسفة الأخلاقية والسياسية إذ يبدو أنهم كانوا يرون أن السياسة – والتى تنظر إلى الإنسان بصفته موضوعها الأساسي – تستطيع أن تدرسه بنشاطه وسلوكه مما يضفى عليه إنسانيته وهي قيمة والقيم يمكن أن تعالج كمسائل استقراء وفرض ومع ذلك فيمكن مناقشتها دائما وتحديها . « طالما يوجد الفضول الواعي – أى الرغبة فى التبرير والتفسير بمفهوم الدوافع والأسباب وليس بمفهوم الترابط الوظيفى أو الاحتملات الإحصائية فإن النظرة السياسية سوف لا تندثر تماما من الوجود مهما زاد عدد منافسيها كعلم الاجتماع أو التحليل الفلسفى أو علم الاجتماع الاجتماعى أو علم السياسة أو الاقتصاد أو الفقه أو اللغويات وتصورت جميعها أن زعمت بقدرتها على انقشاع تلك المملكة الخيالية » ويذكر برلين Berlin أن النظرية السياسية في الواقع تعمل جاهدة على مستوييها السلوكى والتقليدى فعلماء السياسة السلوكيون أمثال آيستون Easton ولاسويل Laswell ودويتش Deutch يفتحون أبعادا جديدة لدراسة المسائل السياسية ولكن مثل هذا الفكر والذى نبع عن استحثاث فريد من الجدل ظهر اليوم جنبا إلى جنب هذه المسائل السياسية . ونجد جهابذة الفلسفة السياسية متورطين فى دراسة المشاكل التى تؤثر على مجتمع اليوم .. وتخرج لنا بنظريات سياسية من أمثال عدم عبادة الفرد والنظرية الذرية . ألخ الكامنة على نطاق واسع فى المجتمع الصناعى وثمة نظريات سياسية تعالج مشاكل التفكك المزعوم فى « المجتمع ، وتضخم الدولة ، ويذكر برلين : « أن اليسار الجديد والتوماسية الجديدة والقومية والتاريخية والوجودية والليبرالية المضادة والاشتراكية ونقل مبادىء الحقوق الطبيعية والقانون الطبيعى والاكتشافات التى طبقت على السلوك وأساليب التواطؤ والتكوينات ونتائج كل ذلك على عمل الأفكار كل ذلك يوضح عدم اندثار وفناء هذه التقاليد العظيمة ولكن إذا حدث شيء فلربما كان جديدًا وغير متوقع »[1] .

٣ – الاتجاه السلوكى :

تتكون النظرية السياسية طبقًا لرأى إيستون Easton من عناصر ثلاثة هى :

١ – العبارات الوصفية .

٢ – النظرية البحتة أو العرضية التى تحاول أن تجد العلاقة المزعومة بين الحقائق .

٣ – نظرية القيم التى تضع العبارات المترابطة وتفاضل بينها .

إن القيم مهمة لكن القيم بوصفها غاية يجب على عالم السياسة أن يفكر فى الوسائل التى توصل إليها والتحقق منها . ومن الجائز أن يكون هذا ممكنا بمساعدة نظرية عرضية معممة تناقش العلاقة بين الحقائق . والحقائق أيضا مهمة . ولكن مجرد اختيار وتجميع الحقائق يعنى وجود نظرية على الأقل فى مجال أو منطقة اللاشعور ، والحقائق والعلاقات البيئية بين الحقائق

---

(١) Isaiah Berrlin, in Gould and Thursby ed., op. cit. pp. 340 - 345..

تقرر دائما من جانب اهتمام المراقب سلفا وأن اختيار الحقائق يتم على ضوء إطار التفاضل الذى يحدد تسلسل وترتيب وأهمية هذه الحقائق . وعندما ترقى إلى مستوى الشعور يتخذ الإطار طابع النظرية . وبدون بعض الفروض النظرية من المستحيل اختيار حقائق ذات معنى والحقيقة على ذلك يمكن تعريفها على أنها ترتيب معين للوقائع بمفهوم المصلحة أو الاهتمام النظرى » . والحقيقة والنظرية – على ذلك – يعتمد كل منهما على الآخر . والحقائق التى لا يمكن التعبير عنها هى « كومة » عديمة الفائدة من التفاصيل التى ليست لها صلة بالموضوع . والنظرية التى ليس لها جذور من الحقائق عبارة عن تكهن بحت . ويكتب ايستون فى ذلك قائلا : « أن تجميع الحقائق خلال تكنيكات مقبولة لا يعطينا فى حد ذاته المعارف الكافية . إن المعرفة تكون دقيقة ويعتمد عليها كلما زادت فى التعميم واتسعت من جهة التنظيم الداخلى والتى عندما تصاغ فى شكل عبارات منتظمة يمكن تعميمها وتصبح قابلة للتطبيق على عدد كبير من الحالات المماثلة »(1) .

ولا يعتقد ايستون أن السلوك السياسى غير قابل للخضوع للمنهج النظرى . إن السلوك الإنسانى « بما فى ذلك السلوك السياسى » يتميز بصيغ متعارف عليها بمعايير معينة يمكن استخدامها كأساس للتنبؤ . كما يمكن أن يتم هذا أيضا بمساعدة المنهج النظرى ويرى ايستون أن مثل هذا المنهج يمكن أن يتخذ واحدة من الصور الثلاث الآتية :

(أ) تعميمات فردية عبارة عن صور متماثلة يمكن ملاحظتها بين متغيرين منعزلين ويسهل التعرف عليهما .

(ب) « توليفة » أو تكوينية أو عبارة عن فروض غير مترابطة يفترض أن تؤدى إلى شكل غير منظم من التعميمات الفردية .

(جـ) نظرية القياس الواسع أو العريض أو الإطار التصورى للمفاهيم ويمكن أن يندرج فيه نظام كامل برمته . والعلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء والأحياء وصلت إلى مرحلة النضج فى وضع النظريات ولكن فيما يختص بالعلوم الاجتماعية يمكن القول أن الاقتصاد – ربما – كان العلم الوحيد الذى أمكن التوصل فيه إلى ما يشبه النظرية . أن علم السياسة يتخلف بقرون عن العلوم الطبيعية وزمن يبلغ عدة عقود عن علم الاقتصاد . ولكن ليس هناك مانع من استخدام أكثر الطرق تواضعًا وأكثر الأساليب كذلك متاحة لنا فى الوقت الحاضر فى العلوم الاجتماعية ككل وتثبت فاعليتها فى البحث .

وسوف يعتمد الكثير على معاملتنا لعلم السياسة على أنه نسق مستقل أو مجرد مجال من المجالات التى تطبق فيها النظريات العامة للمؤسسات الاجتماعية . فإذا أخذنا وجهة النظر

---

(1) David. Easton, The Political System. An Inquiry into the State of Political Science.

الأخيرة فى تطور علم السياسة يجب أن يعمل على أنه معتمد على العلوم الاجتماعية الأخرى ، لأن هذا يساعد على التمييز بين علم السياسة عن العلوم الاجتماعية الأخرى .

وتأسيسا على ذلك فإن النظرية السياسية – طبقا لايستون تنجز عددا من الوظائف :

١ – التعرف على المتغيرات السياسية ذات الدلالة وأن تصف العلاقات المتبادلة بينها .

٢ – وجود وقبول إطار نظرى يساعد جميع الباحثين فى نفس المجال من الوصول إلى نتائج وتحقيق تلك النتائج وفقا نتائج من سبقهم .

٣ – وجود إطار نظرى – أو على الأقل وجود مجموعة متسقة من المفاهيم – يجعل عملنا أكثر قوة وصدقا ويعول عليه .

ويجدر بنا فى هذه المرحلة أن ندخل إلى معنى أكثر عمقا فى معنى كلمة النظرية السياسية – وليس بالمعنى الذى عرفه ايستون Easton وغيره من السلوكيين – ولكن بالمعنى الذى تطور منذ أيام أفلاطون وأرسطو حتى هيجل وماركس وبالمعنى الذى نراه يضمحل أو يندثر اليوم . لقد عرف جرمينو Germino النظرية السياسية بأنها « دراسة نقدية لأسس النظام الصحيح فى الوجود الاجتماعى الإنسانى » . وهى بهذا المعنى ليست « علما سلوكيا » أنها علم » ولكنه ليس العلم الذى تحده فروض يمكن التحقق منها حسيا .

وبالنسبة لأفلاطون كانت الفلسفة السياسية تعنى البحث عن المعرفة السياسية أو الحكمة السياسية . والواقع أنه حتى بداية القرن التاسع عشر لم يكن هناك تميز بين « الحقائق » و « القيم » وعلى ذلك فإن مسألة وضع خط فاصل بين الفلسفة السياسية وعلم السياسة لم يقم بعد . لقد كانا جزئين متكاملين فى فرع واحد من فروع المعرفة . ويرجع الفضل إلى أرسطو فى تحديد الحد بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية والمعرفة المنتجة . ووصف المعرفة النظرية بأنها المعرفة من أجل ذاتها . ويستطيع الإنسان – حسب رأى أرسطو – أن يفرق بين النظرية السياسية والعمل السياسى ولكن لا يمكن وضع حد لعلم السياسة والفلسفة السياسية . إن النظرى أو الفيلسوف هو الذى يميز المعرفة عن الرأى ، وأن ينظر إلى الأمور من وجهة نظر مستقلة انفصالية نسبيا . والمفروض فى النظرى[1] السياسى أن يفصل نفسه عن الصراع السياسى المباشر ، وأن ينظر إليه من بعد ، حيث أن مهمته معرفة الحقيقة بين المتقاتلين لا الاشتراك فى الصراع الحقيقى . ولا يعنى الابتعاد كما يذكر جرمينو Germino مبالاة غير إنسانية أو حيادا أخلاقيا أو افتقاد العاطفة السياسية ، ولا يعنى الهروب من مشاكل العالم « إن الفيلسوف السياسى بالمعنى التقليدى لا ينفصل عن الصراع السياسى فى عصره كما يفعل السلوكى أنه لا يعيش فى برج عاجى بعيدًا عن عالم السياسى العملى ،

(١) أى « المنظر » بضم الميم وفتح النون وسكون الظاء « الباحث » .

إنه جزء من الصراع والفرق الوحيد بينه وبين المتصارعين هى أنه يحاول أن يكتشف الحقيقة فى موقف ما وأن يعممها فى ظروف أخرى تؤيده فى ذلك كل العواطف التى لديه[1] .

النظرية السياسية كنشاط فكرى :

ربما يتفق الإنسان مع فلاسفة اللغة بأن ثمة قدر كبير من الهراء فى النظريات السياسية خلال العصور ابتداء من أفلاطون حتى هيجل وماركس ، ولكن ألم يكن فيها شىء ذو معنى بالمعنى العلمى ؟ . حتى بعد زوال ضباب اللبس فى النظريات السياسية ، فإن النظريات سوف تستمر فى دراستها بسبب ما قد تكون أدخلته من تغير عميق فى التاريخ الإنسانى . ويشير ماركس Marx وبلا ميناتز أن مثل هذه الأنشطة لم تكن لتظهر فى العصور المظلمة Dark Ages أن كلا من النظريات والعلم يحدهما البيئات التى توجد فيها .

لقد انتقد بيرك Burke وماركس النظرية السياسية ولكن من زوايا مختلفة ورأى بيرك أن النظرية السياسية التى لا تبرر النظام الاجتماعى القائم ضارة . ولكن يبدو أنه لم يفهم الثورة الكبرى فى فرنسا التى كان يأسف لها ويكرهها ووصفها بأنها كارثة كبرى قام بها الشعب وضلله فيها الفلاسفة . والفلاسفة – كما يجب أن نلاحظ – لم يخلقوا الظروف كى يطالب المقهورون بحقوقهم ولكنهم فقط صاغوا تلك المطالب التى كانت « نائمة » .

وربما لو تم شرح هذه المطالب من جانب الفلاسفة بصورة منتظمة – ربما لم يكن التغير الجذرى ليتخذ شكلا حادا كالذى حدث . إن الذى حدث بالضبط أن هؤلاء النظريين كانوا استجابة وردا على الظروف السائدة فى المجتمع وكان الشعب يؤيدهم والفلاسفة أعطوهم التعبير فقط . لقد سمى ماركس النظرية السياسية صورة من صور « الأيديولوجية » أو « الوعى الزائف » ووضعها على طرفى نقيض مع « العلم » الذى يعطينا المعرفة الحقيقية وكان يتوق إلى اليوم الذى نستغنى فيه عن « الأيديولوجيى » ويحل محلها العلم الاجتماعى الحقيقى . ومع ذلك فقد نسب إلى « الأيديولوجية » السبب فى أحداث التغير الاجتماعى والسياسى الواسع المدى . كتب ماركس يقول « إن الأيديولوجية وهم » ومع ذلك فإن الناس إذا لم يكن عندهم هذه الأوهام فإن مسار الثورة الاجتماعية لن يكون كما يجب » .

وقد أخطأ كل من بيرك Burke وماركس Marx فى موقفهم من احتقار النظرية السياسية – وأخطأ بيرك فى تصوره أنها أبخرة عقل الفيلسوف وليست وطيدة الصلة بعلل المجتمع – كما أن ماركس أخطأ عندما تصور أن الحاجة للنظريين سوف تتلاشى فور أن ينشأ نظام اجتماعى جديد .

وفى خلال تقدم المجتمع الإنسانى تقدما كبيرًا مع نمو التكنولوجيا والاتصالات السريعة ، فإن الناس يحتاجون إلى النظرية السياسية أكثر من ذى قبل . وفى المجتمع البدائى يستطيع

(١) Dante Germino, op. cit., p. 6.

الإنسان أن يصيغ عمله على ضوء العادة – وما سماه بيرك Perk التحيز وبدون فلسفة عملية منتظمة . ولكن مع تحضر الإنسان يحتاج إلى أكثر من مجموعة من العادات والممارسات فهو يحتاج – بمعنى آخر – إلى فلسفة عملية . إذ أن المجتمع المتزايد فى التعقيد والنمو يتحداه فى أن يجد طريقه ومركزه فيه والذى يتطلب منه فهم ما هو المجتمع وكيف يتغير وهو شىء لا يستطيع أن يفعله إلا بمجموعة متماسكة من القيم أو فلسفة عملية تنتظم فيها تلك القيم كما أن النظرية الاجتماعية والسياسية هى فقط التى تستطيع أن تجعل من الفلسفة العملية شيئًا كافيا مقنعا . والرجل المعاصر – على عكس الإنسان البدائى – سوف لا يرتاح فى المجتمع ما لم يفهمه .

ومع ذلك فكلما تقدم المجتمع كلما استمر فى المحافظة على تطوير – ما أسماه جرمينو Germino - المستويات المختلفة فى الفكر السياسى » . وبينما يظل أغلب الناس يهتمون فى الحياة – ومهما كان مستوى الفكر السياسى مرتفعا ، فإن البعض لا يزال يستجدى أو يستدين أو يسرق فلسفته السياسية من المنظمات الدينية والأحزاب السياسية أو الأصدقاء والبعض الآخر سوف « يلتقط بهدوء ويقبل – من بين البدائل الفلسفية المتاحة – الفلسفة التى تروقه دون الدخول فى أصلها أو عمقها أو كيفية وصولها إليهم . ولكن سوف يظل دائمًا أفراد قلائل فى المجتمع هم الذين سوف يقيمون نظريات سياسية ويدافعون عنها بحماس . إن الكتابة عن مثل هؤلاء الناس كما يقول بلامنتز Plamentz « أنهم لا يفحصون المبادئ ويقارنونها فحسب ، بل أن مثلهم مثل التاجر الشريف الذى يعرض تشكيلة كبيرة من السلع ويصفها لعملائه وصفا دقيقا ويترك الفرصة للزبون كى يختار ما يناسبه . إنهم يبتكرون تسلسلا هرميا من المبادىء ويحاولوا أن يشرحوا كيف يمكن للإنسان أن يختار ما يناسبه .. أنهم ليسوا مجرد شارحين للأفكار بل هم واعظون ودعاه . إنهم أناس يملكون – أو يعتقدون أنهم يملكون – قدرة كشف كيف يجب أن يعيش الإنسان . ثم أنهم لن ينصت إليهم ما لم يكن كلامهم مقنعا » ويستطرد فيقول « إن النظرية السياسية – كما يجب أن نميزها عن عالم السياسة – ليست عملا ترفيا أو « فنتازيا » كما أنها ليست لعبة فكرية . ولكن لا زالت – فى محل أقل – تحليلا لغويا . إنها مهمة كاملة صعبة مفيدة والحاجة إليها شديدة مثل حاجتنا إلى أى علم من العلوم[١] . إن الرجل أو الإنسان السوفسطائى سوف تستمر حاجته إلى فلسفة عملية ونظرية سياسية بنفس حاجته إلى العلم والفن – أو ربما – التحليل اللغوى .

تأثير الاضطرابات الاجتماعية :

على الرغم من الأهمية التى اكتسبتها الفلسفة السياسية خلال العصور إلا أن التقليد الكبير

---

(١) Plamentz, op. cit., p. 28. وراجع أيضا : Varma, Modern Political Theory, op. cit., pp. 144 - 149

الذى ارتبط بكتابات فلاسفة السياسة الكبار يبدو أنه فى طريقه إلى الزوال . ويرى كل من دافيد ايستون David Easton والفريد كوبان وعدد من الكتاب المعاصرين الآخرين ، أن النظرية السياسية – والتى يربطون فلسفتهم بها – فى حالة تدهور وانحدار مستمر ، وبينما تكلم دافيد ايستون والفريد كوبان Alfred Cobban عن « تدهور » النظرية السياسية نجد أن بيتر لاسلت[1] Peter Laslott وغيره قد أعلنوا أنها اندثرت بل ماتت تماما ، وحتى فى اكسفورد – معقل النظرية السياسية الكلاسيكية – قد يصادف الإنسان من آن لآخر عبارات تنم عن موت النظرية أو على الأقل أنها فى حالة خطرة من الانهيار ، وتأكيدا لهذا المعنى أوضحنا منذ ماركس ، ميل Mill وربما منذ لاسكى Laski أيضا أنه لم يكن ثمة فلاسفة سياسيون بارزون . إن الأفكار السياسية – كما يرى ايستون Easton قد ازدهرت بشكل عام خلال فترات الاضطراب الاجتماعى والتغير كما أنها تحمل حقيقة كتابات المفكرين السياسيين فى اليونان قديما ، حيث كان المجتمع يمر بتحولات كبرى أو يمكن أن ننسبها إلى انجلترا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر حيث كانت تمزقها الصراعات الدينية والسياسية أو نشير إلى فرنسا فى القرن الثامن عشر حيث أدت الأفكار السياسية إلى نشوب ثورة عظمى فيها . وفى منتصف القرن العشرين – يرى ايستون[2] Easton أننا أصبحنا من جديد فى خضم الصراعات الاجتماعية التى تتفجر هنا وهناك ، وفى خضم التغيرات الثقافية الأساسية ومع ذلك فإن الشىء المدهش هو أن الفكر السياسى لم يزدهر بنفس القدر فى أى بقعة من بقاع العالم . ويرى ايستون Easton أن الفكر السياسى المعاصر يحيا حياة طفيلية على أفكار قرن مضى والذى يثبط العزيمة أكثر أننا نلاحظ أملا ضئيلا فى ابتكار تراكيب سياسية » وما هو أسوأ من ذلك ؛ حتى أن الأرضية ليست صالحة لخلق فكر خلاق يحتمل قيامه . وحيث أن هذا دلالة على حالة شاذة من الواقع فلقد حاول عدد من الكتاب الكشف عن الأسباب .

ما سبب هذا « الفقر » أو « الافتقار » و « تدهور النظرية السياسية » ؟ يصف ديفيد ايستون David Easton هذا الوضع لعلماء السياسة اليوم بأنه :

(أ) « العيش عيشا طفيليا على أفكار قرن سابق » .

(ب) الفشل فى تنمية « تكوين سياسى جديد » .. إن علماء السياسة المعاصرين – حسب ما يراه ايستون – كانوا منشغلين أكثر من اللازم فى تحليل الفكر السياسى فى القرون السابقة

---

(١) Peter. Laslett. ed., Introductoin to philosophy, politics and Society. New York. The Macmillan Co.. 1958.

(٢) حول انهيار السياسة راجع تفصيلا : David Eastern, "The Decline of Moderne political Theory" in Gould and Thursby, eds. op. cit., pp. 385 - 405.

وقد تم نشرها أصلا فى المرجع الآتى : Political Science, Quarterly, Vol. LXVIII, No. 3, September 1953.

وذلك تحت عنوان : "The Decline of political Theory" pp. 320 - 430.

وتتضح آثار الفلسفة السياسية والمفكرين السياسيين وردود أفعالهم إزاء الظروف الشاذة فى بلادهم إبان ذلك ولربما كان هذا تدريبا ممتازا في سبيل الكشف عن الحقائق التاريخية ، ولكن لنرى ما يذكره ايستون فى ذلك « إن هذا النوع من التحليل التاريخى قد أدى دورا هاما فى تحطيم أصل أنواع النشاط العقلى التى كانت تسود فى الحضارات المتعلقة والذى ينشأ عن الحاجات الإنسانية الشاملة » ومن ناحية أخرى ركز فلاسفة السياسة على العلاقة بين القيم وبين البيئة التى تحدث فيها أكثر من تركيزهم على مهمة « خلق » مفاهيم جديدة لتلك القيم حتى تتواءم مع احتياجاتهم . ألا وهى « إعادة صياغة مضمون القيم ومحتواها حتى تناسب العصر » وأن يقوا نظرية منتظمة عن السلوك السياسى وتشغيل المواقف السياسية فى حينها ، وهى مهمة حاول علاجها كثير من علماء الاقتصاد والاجتماع فى مجالاتهم . وبينما حاول علماء الاجتماع إعطاء وإضفاء الوحدة والتماسك لأبحاثهم التجريبية وذلك من خلال بناء نظريات عامة تنظم عملهم ، نجد علماء السياسة قد اهتموا بهذا الجانب أيضًا . ولا « يخطئ[1] » إيستون Easton النظرية السياسية الحديثة على هذا النحو ولكن يخطؤها فى نطاق النظرية السياسية ككل وبما انتهت إليه الآن . إن النظرية – حسب مفهوم إيستون Easton[2] يجب ألا تقتصر على معالجة القيم فقط بل تمتد إلى الحقائق أيضا – وإذا كان لابد لها من أن تعالج الحقائق فلابد أن تقيم شيئا من التوازن بين معالجة القيم والحقائق وكل ذلك على أساس تجريبى . ويشكو ايستون Easton من أن النظرية السياسية فشلت فى إحداث هذا التوازن . لقد أصبحت تتسم بالجانب التكهنى أو التصورى أكثر من التركيز على الملاحظات التى تظهر على المسرح السياسى المعاصر ومعرفة التاريخ الإنسانى . إن الإنسان لا يقتصر اهتمامه على ما حدث فى الماضى فحسب ، بل أنه يتطلع كذلك إلى ما يحتمل حدوثه مستقبلا . ويتضمن هذا تيارات أو تصريحات موجهة – القيمة أو كما وصفها ايستون نظرية القيم وايستون Easton - على العكس من السلوكيين الآخرين – ليس ناقدا لنظرية القيم – ومع ذلك فهو يعطى أهمية كبرى للنظرية المعارضة . وهو يرى أن نظرية القيمة مهمة ولكنه يرى –للأسف – أنها هى الأخرى فى حالة تدهور فى الكتابات السياسية المعاصرة .

والملاحظ أن ايستون شديد النقد لكتاب مثل دانــج Duning وسابين Sabine وماكلوين Macllwain وليندسى Lindsay لأنهم أضاعوا وقتا طويلا على دراسة الأفكار السياسية فى الماضى ولقد كان هؤلاء الكتاب أقل اهتماما بالتحليل وصيغة نظرية قيم جديدة أكثر من تقديم معلومات عن المعنى والتماسك الداخلى والتطور التاريخى للقيم السياسية المعاصرة أو فى الماضى ويقسم ايستون[3] علماء نظرية السياسة المعاصرين إلى فئات أربعة :

---

(١) « يخطئ » بفتح الخاء وكسر الطاء . « الباحث » .

(٢) David, Easton. Op. cit., pp. 308.

(٣) Ibid, p. 315.

١ – التأسيسيون من أمثال كارلايل Carlyle وماكلوين MacIlwainالذين يبدو أنهم اهتموا بتتبع تاريخ الأفكار من وجهة النظر الخاصة بهم أو التى كانوا يرجونها بدلا من تحديد كيفية تأثير تلك الأفكار على الأحداث المعاصرة حينذاك .

٢ – التفاعليون Interactionlists من أمثال Allen وأحيانا كارلايل الذين حاولوا مناقشة التفاعل أو الترابط بين الأفكار والمؤسسات وأن هذا الارتباط يؤثر على كل عملية التغير الاجتماعى فى كل مرحلة .

٣ – الماذيون من أمثال إيستون Easton ودانتج Dunning وسابين Sabine وعدد كبير من العلماء الذين يكمن هدفهم الأول فى دراسة النظرية السياسية هو الكشف وتعرية الظروف التاريخية والثقافية التى أثرت على الفكر السياسى لعصر ما من العصور . ويمثل هؤلاء الكتاب الأغلبية ، وقد حاولوا فهم الأيديولوجية على ضوء محددات ثقافية شاملة .

٤ – أما المجموعة الرابعة فيمثلها لندسى Lindasy وآخرون الذين يغلب عليهم الاهتمام بقيم معاصرة معينة مثل الديمقراطية ويريدون أن ينشدوا ضالتهم فى التاريخ . ويرون أنه لو ثبتت قيم معينة وتحملت ظروف العصر التى تعيش فيها فإنها تستحق القبول .

ويعتبر إيستون Easton كل هؤلاء الكتاب المعاصرين « مؤرخين » وأنهم لا يستخدمون التاريخ الخاص بالقيم كوسيلة لتعزيز أفكارهم حول تعاريف خلاقة لأهدافهم السياسية ، ولكن الذى ثبت أنهم يحاولون مجرد فهم الظروف القائمة التى تؤدى إلى ظهور نظرية معينة أو نظام من القيم . وقد يكون هذا عملا صالحا للمؤرخ ، ولكنه لا يستحق أن يستحوذ على كل اهتمام العالم السياسى . ولأكثر من ألفى عام ابتداء من السوفسطائيين وسقراط إلى هيجل وماركس ، أثار فلاسفة السياسة مشاكل أساسية كبرى وحاولوا الإجابة عليها بهدف إرساء قيم معينة فى المجتمع . ولم يحدث إلا فى القرن العشرين فقط أن أظهر ايستون Eastonرأيه بأنه على المفكر السياسى أن يتحمل دوره التاريخى (كمؤرخ) ورفض ايستون مواجهة المشاكل الاجتماعية المعاصرة ، أو أن يبذل أية جهود للبحث عن حلولها . وقد يكون هناك عدد من الكتاب من أمثال ديوى Dywey وباركر Barkerو كروس Croce ولاسكى Laski هم الذين حادوا عن هذا الطريق ، ولكن أغلب الكتاب فى علم السياسة فى القرن العشرين كانوا منقادين بما يعرف بالمنهج التاريخى « وهذا هو السبب – فى رأى ايستون – الذى أدى إلى سحق الحياة وإفراغها من نظرية القيم » .

« النسبية الأخلاقية » :

يميل ايستون(١) إلى أن يعزو التدهور الحالى فى النظرية السياسية أيضا إلى نمو الاتجاه

---

(١) David Easton, The Political System. An Inquiry into the State of Political Science, 2nd edition, Calcutta, Scientfic Books Co.

النسبى – فى القيم « النسبية الخلقية » كما يسميها هو . وكما ظهرت فى كتابات هيوم Hume وتبلورت فى العلوم الاجتماعية فى القرن العشرين على يد ماكس ويبر Max Weberوإذا بدأنا بهيوم Hume وانتهينا بكومت Komet وماركس Marx نجد أنه قد أجريت محاولات لفصل القيم عن الحقائق . وكانت القيم تعامل كمجرد تعبير فردى أو اجتماعى عن الأشياء التفاضلية ، وهذه الأشياء بدورها تعكس خبرة الحياة سواء لدى الأفراد أو الجماعات . وإذا كانت القيم تعكس تفاضلات فردية أو جماعية ، فما على الكاتب إلا أن يقوم بربطها بظروف المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وإذا حددنا القيم على هذا النحو – كما يرى ايستون Easton - فإنه لا يمكن اقتلاعها ، كما تغرس فى فترة أخرى من فترات التاريخ وعلى ذلك فإنه يكون مضيعة للوقت إذا استمرينا بالاهتمام بها فيما بعد . وحيث أنها تمثل تفاضلات أو رغبات فردية أو جماعية ليس إلا ، فيجب على الإنسان ألا يجهد نفسه بحثا عن كيفية تطبيقها عمليا فى الوضع المعاصر ، وترجع قلة الاهتمام بالقيم الخلاقة ونمو النسبية الخلقية إلى الظروف التاريخية التى نشأت فى أوروبا منذ عام ١٨٤٨ وحتى عام ١٩١٨ . وإذا كان هناك إجماع لم يسبق له مثيل حول القيم فى العالم الغربى ؛ وصارت الرأسمالية والقومية والديمقراطية قيما مقبولة فى أوروبا كلها ، فكانت تنتشر بالتدريج إلى آفاق أخرى . واستمر الأمر على هذا النحو حتى عام ١٩١٧ إلى أن ظهر نظام سياسى ، ونظام قيمى جديد فى روسيا والذى كان يتحدى مفاهيم الرأسمالية والقومية والديمقراطية (ولكنه كيف نفسه بسرعة مع مفهوم القومية) وفى أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات وظهور الأنظمة الفاشية والنازية العسكرية فى إيطاليا وألمانيا واليابان وتحديهم لمفهوم الديمقراطية برمته إلى الدرجة التى تنشأ عندها صراع شديد بين تلك الأنظمة القليلة المختلفة . وأن موقفا من هذا النوع كان من الممكن أن يثير ردودا عنيفة من جانب المفكرين السياسيين . ويندهش ايستون Easton فى هذا الموقف الجديد . لعدم وجود محاولات لإخضاع القيم القديمة للتحليل النقدى وإعادة صياغتها » .

ويرجع ايستون[1] هذا إلى التأثير على علم السياسة مثله فى ذلك مثل العلوم الاجتماعية الأخرى مثال ذلك رأى ماكس ويبر Max Weber فى فصل القيم السياسية عن البحث التجريبى . أما كارل مانهايم Karl Mannehim وعلماء اجتماع آخرون فيرون أن القيم جزء مكمل للشخصية . ولا يمكن فصلها عن الشخص كما لو كان الإنسان يتخلى عن معطفه . أنها تؤثر فى جميع المراحل ومراحل العمل بالذات . وذلك عندما نختار ونحدد مشكلة البحث وبالكيفية التى نفسر بها النتائج التى نتوصل إليها وبالاقتراحات التى يمكن أن يقدمها بشأن الاستفادة من النتائج فى المجتمع .. وبمعنى آخر أن العالم السياسى ليس محللا للقيم فحسب ولكنه بناء للقيم فى نفس الوقت . ويكون من المستحيل على عالم السياسة أن يعزل

---

(١) Ibid, p. 78.

نفسه تماما عن المشاكل الاجتماعية الملتهبة فى عصره . وإذا أجرى عالم اجتماع أبحاثه فى بيئة مغلقة على ما يؤثر على القيم فلابد أن يكون هناك خطر أن يقضى وقته هباءا فى مشاكل ليست لها صلة بالمجتمع . إن اضطهاد المعرفة مغامرة هامة ولكننا لا نستطيع حقيقة أن نجعل المعرفة تكتسب لغرض ما أو لآخر . إن المعرفة ، كما ذكر روبرت سى . ليند Robert S. Lynd مسألة هامة . وللأسف ففى خلال أبحاث علم السياسة المتحرر من القيم : نجد أن العديد من النظريين السياسيين ابتعدوا عن سؤال أنفسهم هذا السؤال .

إن فكرة أن « البحث حول القيم وتطويرها وبنائها تعتبر أمور لا تتجزأ فى دراسة علم السياسة » قد قام ايستون Easton بلورتها فى خطابه فى اجتماع عام ١٩٦٥ فى اتحاد العلوم السياسية الأمريكى American Political Science, A.P.S. وبالتالى يمكننا أن نعود إلى الوراء قليلا كى نتعرف على كتاباته السابقة حول الموضوع والتى دافع فيها عن فكرة « تدريب علماء اجتماع على تحليل القيم وإعادة بنائها » ان العالم السياسى – طبقا لرأى ايستون Easton يجب أن يستجيب بشكل حساس « إلى المشاكل العاجلة الملحة فى المجتمع والحاجات الاجتماعية الطارئة ويحاول أن يضع نظامًا قيميًا دقيقًا وصريحًا . ويذكر فى ذلك : « إن النظرية السياسية البناءة فى الماضى كانت منشغلة فى محاولة تنظيم المفاهيم والحاجات لكل عصر وربط المعرفة – معرفة الحقائق السياسية – بالأهداف السياسية . وإذا ترعرعت النظرية النقدية فسوف تقدم « جسرا بين حاجات المجتمع وبين معرفة العلوم الاجتماعية » وليس ثمة سبب – يستطرد ايستون فى القول – فى أن يقصر عالم السياسة مجاله على محاولة فهم العلاقات السياسية حيثما هى ولا يتساءل حول ماهية القديم أو أن يخلق تراكيب سياسية جديدة . إن نظرية القيم إذا فهمت بهذا المعنى البناء يجب أن تؤدى دورا هاما فى الدراسات السياسية . وحسب وجهة نظر ايستون Easton أنه ليس فقط إهمالا لنظرية القيم كنشاط بناء واستبدالها « بالتاريخية » ولكن يضاف إلى ذلك عدم الاكتراث بالنظريات العارضة الانتظامية أو الموجهة توجيها تجريبيا من أمثال ما يتعلق بالسلوك السياسى وأدى كل ذلك إلى تدهور النظرية السياسية .

تقويم آراء ايستون Easton حول : الخلط بين العلم والنظرية :

هناك سبب آخر يسوقه ايستون Easton لتدهور النظرية السياسية ، وهو أننا خلال الثلاثة أرباع الأخيرة من القرن الماضى كنا نستخدم كلا من العلم والنظرية بصورة خاطئة ، وكنا نخلط بين العلم والنظرية ونسينا أن النظرية يمكن أن تتخطى العلم ومن الممكن تطبيق الطريقة العلمية فى أعمال البحث وهو أمر مهم فى حد ذاته ولكنه مختلف ، ومن الصعب تطوير نظرية من خلال بحث تم إجراؤه مهما كان طبيعيا فى ذاته . إن الذين وصفوا أنفسهم بعلماء السياسة حاولوا عموما تجميع الحقائق وعلى ضوء تلك الحقائق حاولوا أن يطوروا الميكانيزمات (الآليات) البديلة لتحسين البنيات والعمليات السياسية . وقد تكون هذه العملية علمية تماما ولكنها لا يحتمل أن تقود فى حد ذاتها – إلى تطوير نظرية ، ما لم نكن قادرين على التعرف على

المتغيرات الرئيسية فى الحياة السياسية وإقامة علاقات فيما بينها . وإذا تركنا جانبا بعض علماء السياسة مثل ميريام Mirriam وفردريك Fredrick وسيمون Simon ولاسويل Lasswell وآخرين نلاحظ أن معظم علماء السياسة المحدثين وقد انتحوا عن عمد عن المؤسسات إلى العمليات وأحيانا تحولوا إلى الدوافع - ذلك تحت تأثير علم الاجتماع وعلم وظائف الأعضاء - فلم يتقدموا بعد بقدر كاف لتطوير اطار تصورى كاف لدراسة السياسة . إن دراسة العمليات والدوافع أمر هام - بل أكثر أهمية من دراسة المؤسسات - ولكنه لا يكفى فى حد ذاته فى بناء نظرية . إن التقليديين والسلوكيين اشتركوا فى جدل بعيد المدى حول ما هو الأكثر أهمية وما يجب أن يكون مهما ، والعكس ، وما إذا كان الاستبصار وحده (بعد النظر) ضروريا لفهم السياسة فهما صحيحا أو أن ملاحظة الظواهر السياسية الملموسة مهم أيضا . ولقد أيد السلوكيون بالاجماع أهمية ما يجب أن يكون ، ولكنهم لم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث عن ماذا يكون ؟ وكيف يكون ؟ ولماذا يكون ؟ وهنا يأتى دور النظرية .

إن علم السياسة فى رأى ايستون Easton كان محكوما لفترة طويلة بما يعرف بالواقعية Hypersfactualism ويتهمون برايس Bryce عموما بأنه وضع تأكيدا غير مناسب على هذه الطريقة . ولكن يجب أن نذكر شيئا فى صالح برايس Bryce خاصة فى أعماله الأولى - فى اتحاد السياسة الأمريكى مثلا - أنه لم يهمل النظرية ولكنه كان ضد بناء نظام - خاصة عند فلسفة التاريخ الألمانية والتحليل القانونى . لقد أكد برايس فى كتاباته الأولى الحاجة إلى الحقائق من خلال الفروض والنظرية كما أنه كان يأخذ بالتعميم التاريخى . ولقد أكد أن دراسة الحقائق يقصد به « إقامة استنتاجات والسيطرة على المبادئ وما لم تؤدى لذلك فليس لها أى قيمة علمية » واستطرد فى أعماله الأخيرة وحاول أن يعيد صياغة النظرية حتى يعطيها التوجيه التجريبى ، وبالتالى تكون النظرية فى وضع ثانوى بالنسبة لجميع الحقائق والبيانات الإيجابية .

وجاء الوقت الذى فقدت فيه النظرية أهميتها تماما . إن برايس Bryce فى الواقع كان نتاج الإيجابية التاريخية التى ازدهرت فى آخر القرن التاسع عشر والتى كانت تؤكد على جمع الحقائق الإيجابية كوسيلة لإعادة خلق الماضى ، ووجد نفسه لا يستطيع أن يرتفع عنها . وأهمية كتاباته السياسية تكمن فى وصف الموقف الذى يراه ويفهمه فى ضوء ملاحظة الحقائق ودراستها . ولقد تم قبول هذا على أنه طريقة تاريخية ولكنه على العكس من هيجل Hegel وآخرين - الذين حاولوا استخراج فلسفة من التاريخ - ظل برايس Bryce قانعا بقصر نفسه على التجريبية .

وأسفر هذا الاتجاه فى التأثير على علم السياسة فى العشرينات عندما كان الاتجاه العام فى جانب العالم السياسى هو البحث عن المشاكل « الهامة » دون محاولة لصقها بظاهرة سياسية ما ولكن وصفها . وليس على أساس المتغيرات التجريبية فوضع العمل ولكن من خلال تحليل المتغيرات التى يكتشفها الإنسان وتكون نمطا مشتركا فى كل المواقف السياسية . إن المؤتمرات

الدولية حول السياسة (١٩٢٢ - ١٩٢٤) مثلا ركزت فى الغالب على تطوير أساليب جديدة لجمع البيانات . وعلماء السياسة بلا شك تقدموا تقدما ملحوظا فى السنوات الأخيرة فى ابتكار أساليب معقدة لفهم سلوك التصويت والاقتراع والرأى العام والقيادة التشريعية . ولكنهم صعب عليهم إعطاء توجيه نظرى لدراساتهم وهو موقف وصفه ايستون Easton بأنه مثل « سوء التغذية وافتقار الحقائق » وفى بحثهم عن التفاصيل نلاحظ أن علماء السياسة يبدو أنهم فقدوا النظرة الشاملة للسياسة وأخفقوا فى تطوير الأدوات والوسائل التى تستخدم بصورة لها معنى فى الدراسة . وظلت اهتماماتهم مركزة على مشاكل معينة وأصبحوا أقل فعلا لرؤية العلاقة الخاصة بكل مشكلة فى النظام السياسى . والإنسان إذ ذاك قد يجد صعوبة فى الاتفاق مع ايستون Easton عندما يقول « ان النظرية بدون حقائق قد تكون على هيئة سفينة يقودها قبطان ماهر ولكنها ذات جسم غير سليم . ولكن إذا قلت الطاقة فى البحث عن جمع الحقائق وضعفت رؤية الحقيقة فى مغزاها النظرى نجد أن القيمة النهائية للبحث على الواقع قد تفقد .

يتفق الفريد كوبان Cobban مع ايستون Easton أن النظرية السياسية فى طريق التدهور وهو ليس متفائلا عن أحيائها مستقبلا[1] ولقد وجد تقليد فكرى فى الغرب يمتد ما يزيد على ٢٥٠٠ سنة مؤداة دوام الاتصال والتفاعل بين الأفكار والمؤسسات وتغير الأولى إلى أخرى . ولكن مثل هذا التكوين لم يظهر فى يومنا هذا أو حتى فى الماضى القريب ويذكر كوبان أنه منذ نهاية القرن التاسع عشر كان الفرد يستطيع أن يلاحظ صعوبة ترتيب فلاسفة السياسة الكبار وظهرت فترة أو ثغرة تصل إلى نحو قرن أو يزيد فى تاريخ النظرية السياسية ذلك مثلما حدث فى القرون التى تلت ازدهار الأفكار السياسية اليونانية خاصة فى كتابات أفلاطون وأرسطو . وحتى لو عالج الإنسان مدرسة القانون الطبيعى والمفاهيم الرومانية فى القمة كنوع من الاستمرارية نجد أن الفكر السياسى قد توقف عن الصدور خلال خريف الإمبراطورية الرومانية . ويخالج كوبان Cobbanالخوف من أن تؤدى ظروف العالم المعاصر إلى التذكير بما حدث فى الامبراطورية الرومانية وأن هذه الظروف إذا استمرت أكثر من ذلك فثمة خطر كبير أن منابع الفكر السياسى قد تجف . ومن الظروف التى يراها معادية للفكر السياسى فى العالم اليوم يذكر التوسع الذى لا يقاوم فى نشاط الدولة والتحكم الشامل للبيروقراطية على كل أنشطة المجتمع وخلق « الأجهزة العسكرية الضخمة » .

ويعترف كوبان Cobban بأنه لا فى الغرب ولا فى الكتلة الشيوعية السابقة لم يصل الجيش بعد إلى مرحلة السيادة كسلطة مدنية . ففى العالم الشيوعى السابق نلاحظ أن تنظيم الحزب كان يعنى حكم الأقلية الأوليجاركية ويعنى ظهور رئيس يشرف على جميع السلطة البيروقراطية

---

(١) فى تفصيل ظروف النظرية السياسية فى العالم المعاصر ، راجع :
Alfred Cobban, in Good and Thursdy, eds. op. cit., 200 - 305.

ويقيم جهاز قمع كي يستخدمه ضد من تسول له نفسه الخروج عن خط الحزب . وإذا صدق هذا على النصف الشيوعي في الماضي نلاحظ أن الوضع يختلف في العالم الديمقراطي . ولكن كوبان ليس مقتنعا . فإدراكه للاختلافات بين النظامين نجده يندهش لأوجه الشبه في نصفي العالم . إن الفكرة السياسية السائدة في العالم الغربي هي فكرة الديمقراطية ولكن لا يوجد منظرون سياسيون للديمقراطية في عالم اليوم .

ولقد نشأ المفهوم في القرن الثامن عشر ولكن القرن التاسع عشر لم يحاول إعادة صبها وصوغها طبقا للاحتياجات المتغيرة ولذلك توقفت الديمقراطية عن أن تصبح « فكرة سياسية حية » . والذي يمكن تتبعه في القرن التاسع عشر هو بدايات القومية والشيوعية والفاشية وليس نمو الديمقراطية . وفي غيبة هذا الجهد أصبحت الديمقراطية مجرد « نوع من التعاويذ » أو « معادلة بغير معنى » ، ويكتب كوبان في هذا المقام فيقول « إن العملة يمكن أن تظل سارية حتى لو تآكلت ورقت أوراقها أما الأفكار السياسية فتحتاج إلى تجديد دوري حتى تظل محتفظة بقيمتها » . ولقد ظهر كتاب خلال العقود الأخيرة – والذين كان لديهم طول باع في مناقشة الموقف السياسي المعاصر « ويذكر كوبان منهم فيريرو Ferrero وبرتراند دي جوفينيل Bertrand deTcuvenel وبراتراند راسل ، أ . هـ . كار E.H. Carr وداينهولد مايبور Reinhold Niebuhr وهارولد لاسويل Lasswell وهانز مورجنتو Hans Morgenthau ولكنهم كانوا ينظرون إلى الدولة على أنها السلطة وأخرجوا القيم الخلقية خارج حلبة السياسة « إن الذرات الفردية البائسة التي يتكون منها المجتمع تجمع معا وتدفع بعنف . تفرق بينها السلطة التي لم يخلقونها ولا يستطيعون السيطرة عليها » ، وليس من المدهش كذلك أن تتدهور النظرية السياسية . وأن أحدا من أتباع توينبي Toynbee قد يعزى نفسه بفكرة أن « موت الحضارة ربما يكون ميلاد الدين » ولكن هذا لا يرضي عالم السياسة . ويحاول كوبان فيما بعد أن يعدل من موقفه قليلا ويتبنى فكرة أن كل شيء لم يذهب هباءا بعد (على الأقل في جزء من العالم) . « إن البيروقراطية ليست بعد الحقيقة الرئيسية في الحكم في أي بلد غربي ولا حتى الأحزاب السياسية هي سيدتنا أو سيدنا أكثر من كونها خادمة لنا » .

فقدان الهدف :

إن ثمة شيء خطأ في طبيعة التفكير السياسي في بعض الظروف الداخلية في ثنايا النظام السياسي نفسه . وكوبان Cobban مقتنع بأن الحال هو ذاك ، أي أن ثمة « سوء توجيه كامن في الفكر المعاصر في مجال السياسة » .

ويؤمن كوبان عن يقين بأن افتقاد الهدف أو الفرض بين علماء السياسة اليوم مسئول عن التدهور الحالي في النظرية السياسية وكل مفكري السياسة العظام في الماضي مثل ميل Mill وبنتام Benthem وبيرك Burke وروسو Rousseau ومنتسكيو Montesque ولوك Locke وهوبز Hobbez وسبينوزا Spinoza ويمكن أن نعود حتى إلى أفلاطون وأرسطو الذين كتبوا وفي

أذهانهم هدف عملي واضح بغرض التأثير على السلوك السياسي القائم « إنهم كتبوا كي يدينوا أو يؤيدوا المؤسسات القائمة أو يبرروا نظاما سياسيا أو يقنعوا إخوانهم المواطنين بأن يغيروه . لأنهم كانوا – بالمقام الأول – مهتمين بالأهداف وبأغراض المجتمع السياسية » ولم ينفصل المفكرون السياسيون عن حقائق الحياة السياسية المعاصرة كما يدعى ذلك علماء السياسة المحدثون . إن مفكرى السياسة القدامى كانوا رجل أهداف – فهم يبغون تغيير وإعادة تشكيل المجتمع – والأهم من كل ذلك كانوا رجال عواطف . لقد كرموا أنفسهم لما اعتبروه النظام الاجتماعى المناسب وأتوا بكل وسعهم بالأفكار واللغة كي يعظوا الناس وينشروا آراءهم التى رأوا فيها الصواب الخلقى . إن النظرية السياسية ابتداء من ميل أو ماركس كانت أساسا فرعا من الأخلاق أو الجمال ، ويعزو كوبان التغير فى المنظور لدى مفكرى السياسة – من الالتزام العاطفى إلى التزام الهدف إلى تأثير المنهج التاريخى .

إن المؤرخ يرى كل الأفكار وأساليب السلوك بأنها ذات طابع تاريخى وأنها عابرة انتقالية ولكن ليس لها حظ من القيم غير أن حظها يكون فى النجاح وحتى هذا الخط من النجاح لا يتأتى إلا بالوصول إلى السلطة أو بقاء قلة من الأفراد أو المؤسسات التى تتبنى ذلك » . إن اعتماد النظرية السياسية على التاريخ فى السنوات الأخيرة يربطها بالماكيافلية « الفجة » ولكن الموقف يصبح أكثر خطورة عندما تتدخل الأخلاق فى العمل التاريخى وذلك مثلما فعل هيجل وماركس – مع اختلاف وجهات النظر والهدف فكلاهما نظر إلى جزء صغير من الكون ، فالأول ركز على الدولة الإقليمية والثانى ركز على طبقة البروليتاريا وحاولا أن يخلطا بين ما هو مرغوب فيه من وجهة نظرهما بما قدره التاريخ سلفا .

وما تركه المؤرخون دمره العلماء تماما . ففى حالة المفكرين السياسيين الأوائل بدءا من أفلاطون وأرسطو فقد قبلوا بعقل مفتوح أى مساعدة قدمتها أنظمة أخرى كالرياضيات أو علم النفس فى سبيل فهم السياسة ولكنهم لم يفكروا مطلقا فى أن طريقة أو منهج العلوم الطبيعية يمكن أن يطبق بحذافيره على دراسة السياسة . ولا يمكننا أن ننكر حقيقة أن علم السياسة يشتمل ضمنا على عرق علمى وليس هناك ما يمنع أبدا من أن تعامل الظاهرة السياسة موضوعات التحديث . إن مفكرى السياسة القدامى كانوا رجال أهداف – فهم يبدوا أنهم كونوا اعتقادا عاما هذه الأيام بأنه من الممكن ومن المرغوب فيه دراسة السياسة بمناهج ثبت نجاحها فى العلوم الطبيعية متناسين أو متجاهلين أن ثمة أسئلة فى مناهج البحث فى العلوم الطبيعية . على الرغم من دقتها – لم يصل إلى إجابات لها . إن العلم يساعدنا على فهم وتحليل الأشياء ولكنه لا يقدم معايير الحكم والتى يفترض أن تكون فى النظرية السياسية ولا يعتقد كوبان Cobban أنه من الضرورى لعالم السياسة أن يسهم فى السياسة النشطة Activeإلا بالقدر الذى يحتاجه متدرب على التجارة لفهم حرفته لا إلى إدراك الأسس الهندسية التى تقوم عليها ، ولابد أن يكون صريحا وواضحا إزاء مسألة عدم التورط الخلقى . « إن العلم يستطيع أن يعطينا توجيها

ذو أهمية قصوى فى بلوغ الأشياء التى نريدها : ولكنه لا يستطيع أن يساعدنا على تقرير ما يجب وما لا يجب من تلك الأشياء » . إن العلم قد يزودنا بمعدات وأدوات فنية رائعة كى نتحرك فى أى مكان ولكنه لا يدلنا إلى أين يجب أن نتجه . أنه لا يعطينا معنى الاتجاه أو الإحساس بالهدف الذى هو أصلا مسئولية النظرية وحدها وعلى النظرية أن تقدمه هو : إن الفلسفة السياسة قد ماتت – بل قد يستطيع كوبان أن يضيف – قتلت . قتلها « المناطقة » ومن خلفهم .

الضحالة الأيديولوجية :

مثل ايستون Easton وكوبان Cobban يرى زميلهم جرمينو Germine أن النظرية السياسية تمر بفترة تدهور فى معظم القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ويعزو هذا التدهور – مثل الفريد كوبان – إلى ما يعرف باسم الـ Postivism فى الفترة الأخيرة ولكنه يدخل شيئا باسم « الأيديولوجية » أو سيطرة « المبادئ السياسية » والتى تتوجت فى الماركسية Marxism ومع ذلك فهو مختلف مع ايستون وكوبان فى أنه يرى أن النظرية السياسية هى الآن فى حالة ارتقاء وانبعاث . إن النظرية السياسية التقليدية التى حجبت خلال المائة والخمسين عاما بسبب القوى الفكرية المناهضة والحركات السياسية من ناحية وبسبب الافتتان « بالعلم » من ناحية أخرى قد أدت حسب تصور جرمينو Germino إلى صحوة ملحوظة هذه الأيام . وحتى فى وقت الاضمحلال التى عاشتها النظرية السياسية فى فترة الانتقال بأن القرن التاسع عشر من ثنايا نظام معرفى فلسفى يأخذ فى اعتبارات أسس المعرفة[١] ، كانت هناك تيارات أخرى فلسفية مقاومة نراها فى كتابات بنديتو كروسBenedetto Croce وهنرى برجسون Henry Bergson وجوليان بندا Bendaوماكس شيللرMax Scheler وآخرين . وقد تبع ذلك الإحياء الجزئى للنظرية السياسية فى مدرسة الصفوة felitist school ويمثلها جيدو دورسو Guido Dorso ومايكل أوكشوط ، وهانا أرندت ، وبرنارد جوفينيل ، وليو شتراوس ، وأريك فوجليه . ونستطيع هنا باختصار أن نتبين الأسباب التى أدت إلى انزواء النظرية السياسية فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

من بين تلك الأسباب التى يقدمها جرمينو Germinoo[٢] « الأهمية الأولية » للانخفاض الأيديولوجى « عند تراسى Tracy وكونت Conte وماركس Marx وكان تراسى Tracy أول

---

(١) والمقصود أصلا أن النظرية السياسية فى هذه الفترة اتخذت شكلا فلسفيا معرفيا من ثنايا الـ Postivist وتعنى لفظة Postivism فى قاموس : New Collins

a philosophical system that bases know ledge on perception

وقد حاولنا جهدنا لتفسيرها بالعربية كما جاء فى المتن . « الباحث » .

(٢) فى تفصيل ضآلة الدور الأيديولوجى فى النظرية السياسية ، راجع :

Dante Germino, Beyond Ideology, The Revival of Political Theory, New York, Harper & Row. 1967.

من استخدم لفظ « أيديولوجية » على أنه « علم تحديد أصل الأفكار » . لقد شرح تراسى Tracy ذلك بقوله أن كل ما نفكر فيه ما هو إلا انعكاس للخبرة والشعور بها وأن عالم الإحساس الفيزيائى والشاهد هو الحقيقة الوحيدة . والأيديولوجية بالنسبة لتراسى Tracy تمثل جزءا من علم الحيوان وأن الفكر الإنسانى يمكن ملاحظته ووصفه « كما يلاحظ الإنسان ويصف خاصية أو خواص معدن أو « خضار » أو يصف ضرفا ملحوظًا فى حياة حيوان .

أما الميتافيزيقا . عند تراسى Tracy فهى وهم وخيال « ويقصد بها التسلية والتسوية عن الناس لا تقليمهم » . والمعرفة عند تراسى تتكون من تلك الأفكار التى تنتمى إلى ما هو « حقيقى » أى ما يقع تحت الخبرة الحسية . ومثل كونديلاك Condillac وهلفيتيوس Helvetius ومفكرين ثوريين آخرين فى فرنسا كان تراسى يرى أنه ليس ثمة مصدر للأفكار سوى الحس وأن جميع صور الفكر يمكن ردها إلى الشعور "Sentio ergo sum" (أنا أشعر ، إذن فأنا موجود) وأنه بتتبع وإسناد جميع الأفكار إلى الخبرة الحسية يمكن خلق علم جديد للإنسان يستطيع أن يوجه الحياة السياسية والاقتصادية للجنس البشرى . وإن الإنسان الذى يقدر أن « يشرح » الأفكار (مع ردها إلى أصولها فى الخبرة الحسية) يستطيع أن يستخدم تلك المعرفة فى إعادة بناء نظام اجتماعى جديد يلائم حاجات هذا المجتمع أو ذلك وفى هذا المجتمع يستطيع الأفراد أن يتلقوا تعليما ملائما لذلك .

ويرجع الفضل إلى أوجست كونت فى أنه أضاف إلى « أيديولوجية » تراسى اصطلاح Positivism[1] وخرج منها بأنه من خلال النمط السليم من التعليم يمكن للإنسانية أن ترقى إلى مدارج تحقيق هدف نظام جديد إلى حد كبير . ومثل تراس حاول كونت Conte أن يقيم « علم العلوم » للإنسان والذى أطلق عليه علم الاجتماع Sociology ويقوم على أساس أن الخبرة الحسية فقط هى الحقة . وقد عرف أن Positivism على أنها تطبيق الطرق العلمية والتجريبية فى مجال من مجالات البحث . وتعنى رفض أى شكل من أشكال المعرفة يقوم على فرض وجود أى حقيقة وراء وجود المادة . وعلم الاجتماع عند كونت هو علم اكتشاف القوانين التى تحكم السلوك الإنسانى بعبارات دقيقة مثلما يحدث فى العلوم الطبيعية تماما . ويعتقد كونت أن :

(أ) العالم مرتب ترتيبا منطقيا وأن ثمة قوانين تحكم التطورات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية .

(ب) أن اكتشاف هذه القوانين ممكن حيث أن لدى الإنسان من الأسباب ما يمكنه من الاضطلاع بهذه المهمة .

---

(١) والذى سبقت الاشارة إليه وتشير لفظة Postivism إلى الشكل الفلسفى المعرفى الذى اتخذته النظرية السياسية فى القرن التاسع عشر ، بالإضافة إلى اتباع الأسلوب العلمى التجريبى فى مجال البحث. « الباحث » .

(جـ) إن الناس ليسوا عقلاء لأداء هذه المهمة فحسب بل عليهم الاستفادة من المعرفة التى يتوصلون إليها لمنفعتهم .

(د) لقد ساعدنا العقل ليس فقط على اكتشاف قوانين السلوك الاجتماعى بل مكننا من كشف الأهداف التى يناضل من أجلها الأفراد . ولقد فسر كونت التطور التاريخى فى ثلاث مراحل :

(أ) المرحلة اللاهوتية : والتى ترى أن مصير الإنسان محكوم بقوى سماوية تمتد من بداية التاريخ حتى الإصلاح البروتستنتى .

(ب) المرحلة الميتافيزيقية وهى عصر النقد والتمرد التى توجتها الثورة الفرنسية .

(جـ) والمرحلة العلمية والتى يمكن أن تطلق على التاريخ المعاصر حيث حلت المعرفة عن الإنسان والطبيعة محل الجهل والخرافات وأوهام العصور السابقة أى عصر المزج والتحليق بين « النظام والتقدم » .

وبينما كان سبنسر Spencer كذلك يؤمن بالبحث عن قوانين التطور والتفاعل ويطلق عليهم أحيانا هو وكونت Conte وماركس بأنهم فرسان القرن التاسع عشر إلا أن ماركس هو الذى سار فى منهجية التدهور الأيديولوجى للنظرة السياسية - الذى ظهر على يد تراسى وكونت Tracy & Conte إلى مداه . وعند ماركس فليس للحقيقة كيان خارج عن النشاط الإنسانى الإنتاجى العملى - أن الإنسان نفسه ليس له جوهر ولا طبيعة ولكنه يتغير خلال تفاعله مع بيئته الطبيعية والاجتماعية . وكل الأفكار ما هى إلا انعكاس للبيئة التى يوجد فيها الإنسان وبينما أوضح تراس Tracy أن الظروف تتحكم فى الإنسان تجد أن ماركس كذلك رأى أنه خلال العصور التاريخية كان الإنسان منقادا لقوى اقتصادية خارجية وأوهام دينية وفلسفية وسياسية وقد استطرد فى الأخيرة كثيرًا لدرجة أنه زعم أن الإنسان إذا كان لديه الفهم العلمى للمجتمع لاستطاع تحديد ظروفه . وأن هذا التغير الثورى فى طبيعته يمكن أن يأتى به العلم الشيوعى (الماركسى) وبينما رأى كل من تراس وسبنسر وكونت أن قوانين النظر الإنسانى يمكن اكتشافها .

وقد رفض كارل ماركس المصادر الثلاثة الكبرى ذات الطابع المركزى الدينى السائد فى الغرب وهى : الفلسفة اليونانية واليهودية والمسيحية وأعلن بدلا من ذلك أنه فى المستقبل فإن الإنسان يمكن أن يصبح أقوى سلاح فى التغير الاجتماعى وكان ماركس يؤمن بوحدة النظرية والتطبيق[١] . "Postivization of Social Sciences"

(١) راجع فى تفصيل آراء هؤلاء الكتاب : Varma. Modern Political Theory, op.. cit.. pp. 127- 149.

البـاب الثـانى

الثورة السلوكية
أو علم السياسة السلوكى

الفصل الأول

اسس المدخل السلوكى ومراحل تطوره

- الأحاسيس والدوافع - السلوكاتية بمعنى السلوك السياسى - أسس المدخل السلوكى - التقليديون والمدخل السلوكى - مراحل تطور السلوكية .

الفصل الأول

أسس المدخل السلوكي ومراحل تطوره

الأحاسيس والدوافع

سواء تعلق الأمر بعلماء السياسة أو كتاب اليسار الجديد بشأن الدراسة التطبيقية للنظرية السياسية الحديثة ، فإن القوة تعتبر صلب الحياة السياسية ، رغم أن تعريف القوة قد خضع لكثير من الجدل وعما إذا كانت القوة هى التوصل إلى الهدف المطلوب تحقيقه ، أم أنها علاقة التبعية والطاعة من جانب ؛ والسلطة والسيطرة من جانب آخر ؛ أم أنها قدرة الإنسان على التحكم فى تفكير وأفعال الآخرين وتعبيرا عن تأكيد الاحترام وفرض الطاعة - فإن هذه التعريفات فى مجملها توحى بأن الحياة السياسية هى مجموعة من نشاطات متفاعلة يستأثر التحليل « السيكولوجى » فيها بدور متعاظم فى النشاط الإنسانى من حيث دوافع الأفعال السياسية للبشر والدور الايكولوجى فى البيئة الاجتماعية بأوضاعها الجغرافية والاقتصادية والثقافية . وفى هذا الإطار توجد علاقة بين القوة والقدرة بمعنى الامكانية التى يتمتع بها طرف للتعامل مع البيئة التى يعيش فيها ، أى أن القوة - كما سبقت الاشارة - هى قدرة طرف ما على التأثير المستخدم لتغيير سلوك الآخرين ، فالقوة هنا هى نتاج القدرة ، وللقوة السياسية جناحان : السلطة الشرعية والنفوذ الاجتماعى ، وأصحاب القوة الحقيقيون هم المؤثرون فى تشكيل الحياة السياسية ، والقوة كقيمة Value ينظر إليها علماء الاجتماع السياسى على أنها سبب النشاطات الاجتماعية المنظمة ، فالتنظيم الاجتماعى هنا يساعد على تحقيق أهداف المجتمع ، فالقوة السياسية كهدف أو قيمة Value مرغوب فيها لذاتها وليس لمجرد تحقيق أهداف آخرين كما يراها الفكر الغربى المعاصر ، وعموما فإنه سواء كانت القوة وسيلة ، أوهدف فإنها تظل أداة الدولة الحديثة فى احتكارها لأدوات العنف بهدف تحقيق المجتمع الهادئ والمستقر سياسيا . وعليه فإن ضبط سلوك المحكومين هو إحدى غايات الدولة المعاصرة .

إن المدرسة السلوكية فى البحوث السياسية تعنى - كما سبقت الإشارة - بالأحاسيس والدوافع فى سلوك الأفراد والجماعات بصفة رسمية من ثنايا الأحزاب السياسية أو بمشاركة المواطنين بتوجهاتهم المتباينة أو من خلال جماعات الضغط والمصالح ؛ بمعنى المشاركة غير الرسمية فى الحياة السياسية[1] ، وعموما فإنه لا مراء فى وجود ارتباط وثيق بين علم السياسة وعلم النفس من هذا التطور حيث تطورت أساليب المعيشة وأصبح ضروريا على الحكام معرفة

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك ، دكتور محمد طه بدوى ، النظرية السياسية - النظرية العامة للمعرفة السياسية ، م .س .ذ ص ص ٢٤٠- ٢٤٧ .

ما يريده الرأى العام سواء فى الدول الديمقراطية أو الدول الدكتاتورية ؛ ففى الأولى تقوم الحكومات بعملية التكييف السياسى لأفكار ومفاهيم مواطنيها الذين يطبق عليهم نظمها وقوانينها نظرا لتباين الاستعداد السياسى لدى كل شعب عن غيره ، فإن ما يناسب شعبا قد لا يناسب شعبا آخر ، أما فى الدول ذات الأنظمة الدكتاتورية فإنها تلجأ إلى القوة كى تحتفظ بالحكم وبالتالى فإنها تحاول ترغيب الشعوب التى تحكمها وتقوم من أجل تحقيق هذا الهدف باستخدام أنواع من التأثير النفسى والدعايات المقروءة والمسموعة والمرئية لتطبيق وسائل علم النفس عليهم لتغيير سلوكهم السياسى ؛ وهذا الاتجاه فى تصاعد ؛ ومن ثنايا الثورة السلوكية وما شهدته كل من لفظتى Behaviourism وBehaviouralism من جدل بين علماء السياسة المعاصرين فى الغرب حول تفسير هاتين اللفظتين وهو ما يستدعى وقفة للتحليل .

فمن الثابت أن دراسة النظرية السياسية تستلزم بالدرجة الأولى قدرًا وافرًا من فهم معنى وهدف محددات ما يطلق عليه الثورة السلوكية وذلك على أسس واضحة جلية(1) . وكما أشار إيستون (Easton) فإنه يجب عدم الخلط بين السلوكاتية والسلوكية Behaviourism و Behaviouralism والتى تعتبر تعبيرا نفسيا(2) طبقا لما ذهب إليه واتسون (J.B. Watson) والتى تهدف من ورائها إلى استبعاد تلك المعلومات الذاتية مثل الأغراض والنوايا والرغبات والأفكار من مجال البحوث العلمية . وتؤكد السلوكية فقط على صلاحية البيانات والمعلومات القائمة والمبنية على الملاحظات المؤسسة باستخدام الأعضاء الحسية أو المعدات الميكانيكية التى يعترف بها كمعلومات . وبمرور الوقت بدأ علماء النفس يدركون وجود خبرات ذاتية بين الدافع الخارجى والاستجابة الملحوظة التى تؤثر على تفسير وآثار الدوافع وكذلك طبيعة الاستجابة .

والواقع أن علماء السياسة لم يلغوا أهمية دراسة الأحاسيس والدوافع والجوانب الأخرى للإدراك الذاتى وتفاعل النظام كما جاء بين الدافع والاستجابة . وعلى هذا تكون الصفة الصحيحة

---

(1) لمزيد من التفاصيل والإيضاحات عن الثورة السلوكية يمكن الرجوع للتالى :

Truman, David B., "The Impact on Political Science of the Revolution in the Behavioural Sciences". In Research Frontiers in Politics and Government, Washington, D.C, Brookings Institution 195›, pp. 202-23.

Dahl, Robert A., "The Behavioural Approach in Political Science" In American Political Science Review. Vol. 55 December 1961. pp. 763-772.

Kirkpatric Evrom M., "The Impact of the Behavioural Approach on Traditional Political Science" In Austin Aanney (ed.) Essay on the Behavioural Study of Politics. Urbana, University of Illionis Press, 1962, pp. 1-29.

Easton David, "The Current Meaning of Behaviouralism in Political Science in Political Science" in Charlesworth tames (ed.) Cotemporary Political Analysis, New York. ree Press, 1967. pp. 11-31.

(2) السلوكية Behaviourism تعد نظرية أو طريقة تقول بأن دراسة سلوك الإنسان والحيوان الظاهر هو موضوع علم النفس الحقيقى .

للتطور الحديث للعلوم السياسية التى ترتكز على دراسة السلوك السياسى هى سلوكياتى Behaviouralist وليست سلوكى Behaviourist . كما هو مؤيد من مسميات المؤسسات المختلفة – مركز الدراسة المتقدمة لعلوم السلوك فى ستانفورد ، قسم علم السلوك لمؤسسة نورك ، معهد العلوم السياسية فى جامعة كلورادو ، مجلات العلم السلوكى وعالم السلوك[1] .ويرى إيستون أن استخدام مصطلح Behaviourlistic بدلا من سلوكى Behavioural سوف يؤدى إلى الخلط والتضليل فى مجال واتجاه الاهتمام بالمنشور[2] .

السلوكاتية بمعنى السلوك السياسى :

يعتبر روبرت داهل Robert Dahl أن السلوكاتية كحركة احتجاج داخل علم السياسة .. وهو هنا يشارك عددا من علماء السياسة أولئك الذين يشتركون فى إحساس قوى لعدم الرضا تجاه منجزات علم السياسة التقليدى وخاصة فى استخدام المداخل التاريخية والفلسفية والوصفية والمؤسساتية ، فضلا عن أنهم يشتركون فى الاعتقاد بأن المداخل والوسائل الإضافية سواء كانت موجودة أو يمكن تطويرها تساعد على تزويد علم السياسة بافتراضات تجريدية ونظريات من نوع منظم ومختبرة تحت ملاحظات أكثر قربا وأكثر إحكاما للأحداث السياسية .

ولقد وصف داهل السلوكاتية – بمعنى السلوك السياسى – بأنها حركة لدمج الدراسات الفلسفية بالنظريات والوسائل والاكتشافات ووجهات النظر المتاحة فى علم النفس والاجتماع والأجناس والاقتصاد ومحاولة جعل مكونات علم السياسة أكثر علمية .

كما تهدف السلوكاتية إلى تحديد كل ظواهر الحكومة على أسس من السلوك الملحوظ والجدير بالملاحظة فى إطار الاهتمام الشديد بدقة الأساليب ومشكلات الملاحظة والتصحيح وبعلمية إضفاء معانى عملية على المفاهيم السياسية للقياس والاختبار والقضاء على المتغيرات المتداخلة غير المنتجة لمصادر فروض بالمعلومات والنظرية فى العلوم الاجتماعية الأخرى وكذلك فى البحث عن تفسيرات ذات جوانب هامة للسياسة تثبت صحتها تماما وتكون أقل عرضة للاعتراضات المتعلقة بالوسائل ومدى امكانية التطبيق كتفسيرات أوسع وأكثر نفعا فى مواجهة المشكلات الحقيقية للحياة السياسية من تلك التفسيرات المراد إحلالها محلها[3] .

---

(١) تعبير السلوك السياسى كان قد استخدم لأول مرة فى التعبيرات السياسية الأمريكية منذ الحرب العالمية الاولى وكان أول من استخدمه فرانك كينت Frank Kent فى كتابه :

Political Behaviour, The Heretofore Unwritten Lawas, Customs and Precepts of Politic s Pracitised in the United states, 1928.

وراجع كذلك : TingstenHerbert, Political Behavior : Studies in Election Statistics, 1937.

(٢) Easton, David, "The Current Meaning of Behaviouralism" Op. Cit., p. 13.

(٣) Dahl, Robert, "The Behavioural Approach in Political.Science" In American Political Science Review Vol. 55 December 1961. p.p. 763-722.

ولقد أثار داهل التساؤل الأساسى حول ما إذا كان المدخل السلوكى شيئا يزيد على مجرد حالة نفسية من الاحتجاج ، والتشكك ، والإصلاح أو التفاؤل باحتمالات تحسين دراسة السياسة ، أو ما إذا كان شيئا أكثر من ذلك ، مكونا من اعتقاد محدد وافتراضات ووسائل أو موضوعات يمكن تعريفها بأنها تشكل سلوكا سياسيا أو المدخل السياسى ، ويذكر الإجابات المختلفة لهذا التساؤل .

وفى أحد الآراء التى يؤيدها إيستون في كتابه « النظام السياسى » عام ١٩٥٣ يجيب على التساؤل المطروح بنعم ، أى أن السلوكاتية أكبر من مجرد حالة نفسية بمعنى أن الباحث الذى يتناول مبدأ السلوك السياسى يود أن ينظر إلى المشاركين فى النظام السياسى كأفراد لهم عواطف وتحيزات وميول عن تلك التى للآدميين الذين نعرفهم فى حياتنا اليومية .

وقد كتب إيستون أن البحث السلوكى يهدف إلى دفع البشر العاديين إلى مركز الاهتمام ، ويعتمد منطقه على أن التقليديين كانوا يجسدون قوانين تعتبرهم كيانات مستقلة عن الأفراد المكونين لهذه المجموعة من البشر[1] .

وفى رأى آخر يجيب الفريد دى جرازيا (Alfred De Grazia)[2] بأنه لم تكن السلوكاتية ولا يمكن أن يشار إليها كموضوع يمثل مركزاً متداخلاً للأنظمة يعد كقياس ، كأى جهد خاص فى أساليب جديدة كعلم نفس سلوكى ؛ « كواقعية » فى مواجهة « المثالية » ؛ وكتجريبية على النقيض من الأنظمة الاستنباطية ، أو أى شيء وأكثر من العلم السياسى كما يحب بعض الناس أن يكون[3] .

وطبقا لرأى ثالث يبدو داهل متعاطفا معه حين يشير إلى أن السلوكاتية لا تزيد عن كونها محاولة لجعل المكون التجريبى للنظام أكثر علمية بمعنى أنها مجرد مدخل يهدف إلى تحسين مهمتنا للسياسة ، بمحاولة شرح الجانب التجريبى للحياة السياسية بواسطة نظريات ومعايير للبرهان تكون مقبولة طبقا للقوانين والاعتقادات الخاصة بالعلم التجريبى الحديث .

والموضوع ببساطة محاولة لجعل المكونات التجريبية للنظام أكثر تجريبية كما يفهم هذا المصطلح فى العلوم التجريبية[4] ، ولقد أيد هذا الرأى ديفيد ترومان[5] حيث عرف السلوك السياسى بعملية فهم تلك الأفعال والأفعال الداخلية للجماعات التى تدخل فى عملية الحكم ، ولقد قال أن هذا المفهوم يقع تحت عنوان السلوك السياسى أى أنشطة بشرية يمكن أن يقال

---

(١) Easton, David, The Political system, An Inquiry into the state of Political Science, Calcuta, Scientific Book Agency, 1953, pp. 201-202.

(٢) Alfred De Grazia من جامعة شيكاغو وهو عضو بلجنة SSRC للسلوك السياسى .

(٣) Grazia Alfred, "What is Political Behaviour ?" PROD, July 1958.

(٤) Dahl, Robert, Op. Cit., p. 126.

(٥) أبدى هذا الرأى فى ندوة عقدت بجامعة شيكاغو عام ١٩٥١ عن بحث السلوك السياسى . (الباحث)

أنها جزء من الحكم . ومن هذه النظرة فإنه لا يمكن أن يعتبر كمجال للعلم الاجتماعى أو حتى مجالا للعلم السياسى ، فالسلوك السياسى ليس ولا يجب أن يكون تخصصا . ويضيف ترومان لأنه يمثل مجرد توجيه أو وجهة نظر تهدف إلى تحديد كل ظواهر الحكومة على أساس من السلوك الملحوظ والقابل للملاحظة ، وأن هدفه الرئيسى يشمل تشغيل وتوسيع معظم المجالات التقليدية للعلوم السياسية[1] .

ويرى ديفيد ترومان أن كل متطلبات علم السلوك السياسى تتمثل فى :

(أ) يجب أن يكون البحث منظما .

(ب) يجب التأكيد على الوسائل التجريبية .

ويعنى ترومان بالبحث المنظم « بيانا دقيقا من الفروض وتنظيما جادا للدليل » ، مع ضرورة التمييز بين الوسائل التجريبية والتجريبية الفجة التى لا توجهها نظرية كافية » أو التأمل الذى لا يمكن أن يخضع للاختبار التجريبى . وإن الهدف المطلق لدارس السلوك السياسى هو « تطوير علم العمليات السياسية » . وقد أنجز ترومان طريقا وسطا بين السلوكيين المتطرفين الذين يرفضون أن يفرقوا بين علم السياسة والعلوم الاجتماعية الأخرى ولا يقفون على أى شىء سوى القياس والصياغة الرياضية ذات النظام العلوى ، أو يصيغوا القيم من الدراسات السياسية ، وبين التقليديين المتطرفين الذين يرفضون ضم علم السياسة مع العلوم الأخرى ويعتبرون القيم كجزء لا ينفصل عن دراسة السياسة . ولم يعلق أهمية كبيرة على الاستفادة من العلوم الاجتماعية الأخرى أو القياس وبينما يكون علم السياسة مستعدا أن يقتبس من نتائج العلوم الاجتماعية ، فإن الاستعارة المطلقة تعد مرفوضة . ولقد تحدث ترومان بشأن القياس فقال إن عالم السياسة يجب أن يؤدى عمله « على أسس قياسية » إذا كان يستطيع ، وعلى أسس قياسية « إذا كان يجب عليه » . وإذا كان هناك اعتقاد بأن التساؤل عن كيفية تصرف الناس لم يكن مجالا للبحث فى السلوك السياسى ، فإن ترومان لم يظن أن دور القيم يمكن أن يلغى تماما من دراسات العلوم السياسية ، ولكونها عوامل محددة هامة لسلوك الإنسان فكان لابد من وضعها فى الاعتبار ، ولقد كانت قيم ترومان فى العلوم الاجتماعية بنفس أهمية العلوم الطبيعية فى اختبار موضوعات الدراسة وفى تحديد خطوط الاستفسار . ولكن حتى فى محاولاته لإيجاد التشابهات فى السلوك السياسى للناس كان عليه أن يكتشف مدى احتمالية أن هذا السلوك يمكن أن يقوى أو يضعف نظام القيم السياسية التى يهتم بها شخصيا .

وقد اعتقد ترومان علاوة على ذلك أن اصطلاح[2] السلوك السياسى ليس من الضرورة

---

(1) Truman, David, "The Implications of Political Behaviour Research" in Social Science Research Councial, Items, December 1951, pp. 37-39.

(2) بل أن ترومان اعتبر السلوك السياسى بمثابة علم Science . (الباحث)

أن يرفض المعرفة التاريخية ، فالمعرفة التاريخية من وجهة أخرى يمكن أن تكون تكملة ضرورية للملاحظة المعاصرة للسلوك السياسى .

وبينما كان ترومان يقترح أن دراسات علم السياسة فى حاجة إلى أن تكمل وتعدل فإنه كان ضد الغاء التقاليد ، وقد قال : « إن أى استبعاد عن نظام ثابت يجب أن يبنى على منجزات الماضى ، وعلى الرغم من أن كثيرا من الكتابات السياسية قد تكون مؤثرة فإنها شاملة وغنية باللمحات ، وبدون معرفة تامة للأجزاء الهامة فى هذه الكتابات ، فإن البحث السلوكى يحتمل أن يكون ساذجا وغير منتج »[1] .

ولقد وصف البعض ترومان بأنه حكيم يتسم بحسن التميز ، وعبر داهل عن اتفاقه التام مع هذه الآراء ، وقال إنه إذا كانت هذه الخواص لعلم السلوك السياسى قد فهمت فهما صحيحا وقبلت من جانب النقاد وأنصار المدخل السلوكى فإن كثيرا من المخاطر الغير ملائمة وغير المثمرة ما كانت لتحدث[2] .

* * *

(١) Truman David, Ibid.

(٢) Dahl, Robert, Op. Cit., p. 128.

أسس المدخل السلوكي

وضع إيستون افتراضات وأهداف معينة للسلوكاتية التي يعتبرها « كحجر الزاوية الفكرية » التي أسست عليها هذه الحركة . وإن كان ايستون يشير إلى الاختلاط أو الخلط في استخدام المصطلحات – كما سبقت الاشارة – والتي يضاف إليها أو تحمل « صفة سلوكي » ، أو سلوكية ، أو سلوكاتية ، كالمذهب السلوكي أو المدرسة السلوكية أو العلوم السلوكية أو السلوك السياسي ، ويتفرع عن ذلك سوء فهم للفظة السلوكية واستخدامها في العلوم الاجتماعية ، غير أن ايستون يؤكد أن اصطلاح « المذهب السلوكي » أو « الاتجاه السلوكي » هو تعبير جديد في منهجية العلوم الاجتماعية ؛ وعموما ففي اعتقادنا أن المدرسة السلوكية أو الاتجاه السلوكي لم يرقيا ليصبحا « منهجًا » فلا تزال محددات الاتجاه السلوكي هلامية ، غير واضحة ، غير مبلورة ، مثيرة للشكوك حول مدى تحقيق اتفاق عام بشأن ماهية السلوكية وافتراضاتها .

ورغم هذه التحفظات – بشأن اتساع مصطلح « السلوكية » وعدم رضا ايستون على الجوانب المتعددة التي ربطت السلوكية بعلم السياسة في مرحلة من مراحل تطوره – فقد اجتهد ايستون في تصور أسس ومقومات للاتجاه السلوكي في علم السياسة ومناقشتها من وجهة نظر التقليديين – على النحو الآتي :

١ – مظاهر للتماثل والانتظام .
٢ – التحقيق .
٣ – الأساليب .
٤ – القياس .
٥ – القيم .
٦ – التنظيم .
٧ – العلم البحت .
٨ – الدمج .

ويمكن تفهم بعض هذه الخواص للسلوكاتية على ضوء الجدل الذى ثار في الخمسينات والستينات بين المداخل التقليدية والسلوكاتية .

ويعتقد التقليديون أن السلوكي قد جعل النظام مدركا لذاته وناقدا لذاته وأن السلوكيين مدركون بقصور نظرياتهم وسوء فهم للمرجعية والقيود الموضوعية على مجالات عملها مما أدى إلى إمكانية تعايش كليهما في حالة طبيعية من الانسجام والقيم ، وإن كان هناك سلوكيون لا يستطيعون أن يكونوا كذلك وهنا فإنهم معرضون للنقد من جانب هاس وبيكر Haosb Becker .

والواقع أن التقليديين الذين رفضوا في الخمسينات أن يكيفوا أنفسهم مع دراسة الأوضاع

النفسية وانعكاسها على السلوك الإنسانى يعتبرون من الناحية الفكرية أهون وأبسط من السلوكيين الذين قرروا فى الستينات رفض التراث التقليدى ورفض الاعتراف بخطأهم الذى يسميه مورتون كابلان (فجاجات وأخطاء) ظلت تقاوم بشكل غريب ما يسمى « علم أساليب التقويم الذاتى »[1] .

وبهذه الملاحظات التمهيدية فإننا نصل للمناقشة المتسعة عن أسس السلوك السياسى ، كما حددها دافيد إيستون .

أولا : مظاهر للتماثل والانتظام

يعتقد السلوكيون أن هناك تشابهات مميزة فى السلوك السياسى يمكن أن يعبر عنها بالتعميمات أو النظريات القادرة على تفسير الظواهر السياسية والتنبؤ بها ، حتى لو كان السلوك السياسى المحدد بعوامل كثيرة ليس دائما متشابها ، فإن البشر طبقا للملاحظة يتصرفون بطريقة متشابهة تقريبا فى مواقف مختلفة . ويعتبر سلوك التصويت مثالا لذلك ، فالمعروف أن المصوتين يدلون بأصواتهم بنفس الطريقة لنفس الشخص أو الحزب السياسى خلال انتخابات متتالية ، وإذا أمكن ربط هذا السلوك بوضعهم الاقتصادى والاجتماعى وولائهم الحرفى .. الخ فقد يظهر ذلك كنمط جيد .

وعلى ضوء التعميمات التى بنيت على أساس ملاحظة انتظامات السلوك يمكن تفسير الظواهر السياسية والتنبؤ بها . وبهذا يصبح علم السياسة علما بشكل مطلق قادرا على التفسير والتنبؤ ورغم كل تلك التعقيدات فإن علم السياسة لن يقترب من العلوم الطبيعية مثل الفيزياء أو الكيمياء ، ولكن يجب أن يقارن بعلم الأحياء أو الفلك .

وعلى أى حال فإن السلوكيين يعتقدون أن علماء السياسة ينبغى أن ينقسموا فى آرائهم وبحوثهم الجادة عن السلوك السياسى والمتغيرات المرتبطة به ويجب أن يتخلوا عن الدراسات الوضعية فى سبيل معالجة تحليلية قوية .

ويرد التقليديون على هذا الجدل بأن العلم السياسى ليس ولا يمكن أن يصبح علما بأى معنى حقيقى للمصطلح . وتتلخص الأسباب التى تساندهم فى موقفهم هذا فيما يلى :

(أ) الظواهر السياسية بطبيعتها الذاتية لا يمكن إخضاعها لأى دراسة جادة ، فالسلوك الإنسانى سواء كان فرديا أو جماعيا لا يمكن دراسته بالموضوعية الضرورية لاكتساب المعرفة العلمية .

(ب) الظواهر السياسية لا تنقاد للأسلوب التجريبى ، فهناك متغيرات بعيدة وكثيرة

---

(١) Hass, Michael and Becker, Theodore "The Behavioural Revolution and After" in Hass, Michael and Kariel, Henry (eds), Approaches to the study of Political Science, Chandler Publishing Co., 1970, p. 480.

واحتمالات تاريخية لا تسمح بأى شىء سوى نوع عام جدا من حالة من الانتظامات ولا يمكن أن تؤدى إلى تعميمات أو اكتشاف قوانين السلوك البشرى .

(جـ) حتى لو أمكن اكتشاف قوانين السلوك البشرى فإن البراعة البشرية كانت دائما قادرة على تجنبها .

(د) بينما لا ينبغى أن يعترض أحد على أن أن يبدأ أى شخص بغرض فى المراحل الأولى للبحث إلا أن غرض البحث يمكن أن يهدر ولا يتحقق إذا ما بذلت محاولة للتمسك بهذا الفرض بحرفية .

(هـ) لم يكن المدخل الوصفى البحت خاليا من المميزات ؛ فكثير من التحليل للظواهر السياسية المبنية على الوصف الدقيق وتنظيم جوانبه المختلفة فى تطور متتابع تلقى ضوءا شديدا على أحداث الماضى وتكون عاملا هاما فى فهمنا للظواهر السياسية عبر التاريخ .

وتتمثل الحجة التقليدية الرئيسية فى أن الحقيقة السياسية تتكون بدرجة كبيرة من عناصر فريدة وأنه لو اكتشفت أى انتظامات فإنها تكون ذات طبيعة تافهة . أى أن هناك مظاهر للتماثل وأوجه للانتظام فى ثنايا السلوك السياسى من وجهة نظر دافيد ايستون ؛ وهذه المظاهر يعبر عنها فى شكل تعميمات أو نظريات تفسيرية أو تنبؤية فى قيمتها .

والواقع أن هذه الحجج لم تقنع السلوكيين ، فهم يرون أنه وإن كانت هناك بعض الظواهر السياسية لا يمكن أن تخضع للفحص العلمى والبحث فإن ذلك لا يعنى التخلى عن كل المحاولات وكل ما قد يكون ضروريا فى تلك الحالات هو استخدام أدوات بحث تكون أكثر تعقيدا .

ثانيا : التحقيق

يميل السلوكيون إلى أن المعرفة لكى تكون صالحة يجب أن تتكون من افتراضات خضعت لاختبارات تجريبية ويجب أن يكون البرهان مبنيا على ملاحظات . وقد أكد علماء السياسة الأمريكيين أكثر من مرة أن علم السياسة يهتم أساسا بالظواهر التى يمكن ملاحظتها فعلا . ويرد التقليديون على ذلك بأن الظواهر التى يمكن ملاحظتها فعلا تشكل جزءا صغيرا فقط من المسألة ككل . وإذا أراد شخص أن يفهم بجدية الظواهر السياسية فعليه أن يكون مستعدا لكى يتصدى للسلوك القابل للملاحظة ، بل وأكثر من ذلك فإن الأفراد والجماعات لا تتصرف من فراغ بل يتحدد سلوكهم بالوضع الاجتماعى والمؤسسات الذى يعملون فيها وتكون معرفة هذا الوضع ضرورية لإعطاء تفسير ذو معنى للسلوك . ويحتجون بأنهم لا يستطيعون تجاهل الوضع الاجتماعى ؛ أو المؤسساتى الذى يتصرف فيه الأفراد أو الجماعات كما أنهم لا يستطيعون إهمال ما يجرى فى العمل الإنسانى ، ويشكل هذا جزءا كبيرا من الحياة السياسية ولا يمكن فهمه مباشرة .

ويدعى السلوكيون من جانب آخر بأنهم لا يتجاهلون ما يجرى تحت السطح فهم أيضا مهتمون بالديناميكيات شبه السطحية والتى ليست معروفة فى نظرهم . وإن كان التقليديون يعتقدون ويدعون أكثر من ذلك ، فقد قاموا خلال العقود الأخيرة بعدد من الدراسات المكثفة للاتجاهات الكامنة وراء السلوك السياسى . بمعنى أن ايستون يرى امكانية اختبار صحة التعميمات وصحة النظرية بحيث تكون قابلة للتحقق من صحتها مبدئيا ؛ واعتمادا على السلوك الملائم .

ثالثا : الأساليب

يعلق السلوكيون قدرا كبيرا من الأهمية على اتباع وسائل سليمة لتحصيل وتجميع وتفسير المعلومات مع استخدام أدوات ووسائل البحث التى تولد معلومات صالحة وموثوق بها ومقارنة ؛ ولجعل الباحث داع وناقد لذاته فإن دافيد ايستون يقترح استعمال الوسائل المعقدة مثل التحليل متعدد المتغيرات ، مسح العينات ، والأنماط الرياضية ... . الخ . ويجب أن يكون الأسلوب المتبع موثوقا به حتى يمكن إيجاد وسائل قوية لملاحظة وتسجيل وتحليل المعلومات .

ويبين التقليديون بعد رفضهم لهذا الرأى تماما أن البيانات فى العلوم الاجتماعية لا يمكن أن تكون موضوعية وأن الأسلوب لا ينبغى الإعلاء من شأنه على حساب المحتوى والوعى الذاتى بالأسلوب إذا ما نفذ بدرجة كبيرة فإنه لا يعتبر عائقا بدلا من أن يقدم متابعة للمعرفة . وإذا ما سمح لهذا الاتجاه بتحديد منطقة الاستفسار كما يحتج التقليديون ، فإن كثيرا من المجالات الحيوية لعلم السياسة قد تترك تماما حيث أن كثيرا من التجديدات الفنية قد تكون معقدة لمعالجة البيانات والمادة العلمية التى يعمل بها علماء السياسة وفى ردهم على هذه الاعتراضات لا يذهب السلوكيون أبعد من قولهم أنه توجد عدة طرق لكشف الأخطاء وعدم الثقة فى مجموعة من المعلومات ؛ وأنهم لا يردون سببا لعدم القيام بمحاولة لجعل المعلومات موضوعية بقدر ما تسمح الجهود البشرية . أى أن دافيد ايستون يؤكد على ضرورة فحص الأدوات الصناعية وتنقيحها للتأكد من دقتها إذ أن الأدوات التى تثور الشكوك بشأن صحتها تفقد فاعلية استخدامها ؛ ومن حيث السلوك فإنه تنبغى ضرورة توافر الوسائل الدقيقة من أجل ملاحظته وتحليله .

رابعا : القياس

يرى السلوكيون انه يجب اللجوء بقدر المستطاع إلى القياس والتحديد ما لم يتم استبدال الأحكام غير الدقيقة بطرق قياس دقيقة وعمليات لمعالجة المعلومات ؛ فإنه يكون فى الامكان الحصول على معرفة دقيقة عن معتقدات الحياة السياسية .

ويجب أن تكون البيانات الخاصة بالبحث فى العلوم السياسية كما فى العلوم الاجتماعية الأخرى مقاسة ومقدرة ، كما يجب أن تبنى كل النتائج على بيانات كمية .

ومن جهة أخرى يرى التقليديون أن القياس يعتبر هدفا لا يمكن الوصول إليه وهو محاولة فاشلة لتحديد ما لا يمكن تحديده ولقياس أشياء غير قابلة للقياس ، فضلا عن أنه يتطلب مفاهيما دقيقة ومواد لا تتوفر للعلم السياسى . ويحتجون بأن الأسئلة الهامة لا يمكن قياسها ، على الرغم من إمكانية قياس الأسئلة السطحية عديمة القيمة .

ويتساءل التقليديون كيف يمكن تحويل الأشياء غير القابلة للقياس إلى صيغ رياضية ؟ ويؤكد السلوكيون فى ردهم على التقليديين أن مدخلهم يبنى على افتراض أن أية عملية لجمع المعلومات تكون مليئة بالأخطاء وغير معتمد عليها ، ومن ثم يؤكدون بدرجة كبيرة على إعادة تصحيح المعلومات والفروض على ضوء اكتشاف معلومات جديدة ومحاولة جمع معلومات جديدة فى ضوء الفروض الجديدة ، ويركز ايستون على ضرورة استخدام الأسلوب الكمى الذى يتكامل مع الأهداف الأخرى من حيث دقة تسجيل البيانات وتقرير النتائج .

خامسا : القيم

ثار جدل كبير بين السلوكيين والتقليديين حول مسألة حياد القيم . فالتقييم الأخلاقى من وجهة نظر السلوكيين يختلف عن التفسير التجريبى . فالقيم والحقائق شيئان منفصلان ، ويجب أن يظهرا متميزين تحليليا ويجب دراستهما فى حالة منفصلة أو مجتمعة ؛ المهم عدم الخلط بين إحداهما والأخر ، فالمساواة والحرية والديمقراطية قد تكون قيما عظيمة ولكن صحتها أو زيفها لا يمكن إثباتها بأسلوب وبطريقة علمية . وتأسيسا على هذا فلكى يكون الاستفسار العلمى موضوعيا يجب تحريره من القيم . ويجب إخضاع القيم للتحليل العلمى بقدر ما تحدد السلوك السياسى كما فى حالة التصويت . إلا أنه فى هذه الحالة يجب أن يبعد الباحث قيمه بعيدا عن دراسته .

وبمعنى آخر فإن علم السياسة يعتبر دراسة علمية للسياسة فى جانبها الوظيفى ويتم من ثنايا طرق تجريبية ولا علاقة له بالمسائل الأخلاقية .

ويرد التقليديون على ذلك بأن القضايا السياسية الهامة تشمل قضايا خلقية وأخلاقية ، ولا يستطيع العلم السياسى أن يرفض إبداء الاهتمام بمسائل الصواب والخطأ حتى إذا لم يمكن تأكيد ذلك علميا . وليس صحيحا أيضا طبقا لرأيهم القول أن القيم لا يمكن وصفها بالصحة أو الخطأ .

ويدعى التقليديون أن الباحث لا يستطيع أن يبعد مسألة تفضيله للقيم عن مجال دراسته ، ومهما بذل من جهد فإن القيم تتخلل بحثه سواء أراد أو لم يرد وأنه إذا أغلق أمامها الباب الأمامى فمن المؤكد أنها ستدخل من الباب الخلفى .

ويرد السلوكيون على ذلك قائلين بأنه ما إذا خشى الباحث حدوث هذه الأشياء فإنه بوسعه الإعلان عن قيمه فى بداية دراسته ، كما يردون بأنه ما دام البحث فى العلوم السياسية مستمرا ومتزايدا فإنه يمكن لباحث آخر عند فحص النتائج أن يكتشف ويصحح ما قد يكون هناك من انحراف قيمى إذا لزم الأمر .

ويذهب السلوكيون إلى أبعد من ذلك قائلين أنه من خلال استخدام وسائل وأساليب متطورة يمكن أن يظل البحث متحررا من القيم ، أو أن يكشف عن انحرافه القيمى بسرعة إذا لم تتخذ الاحتياطات الكافية من جانب الباحثين السابقين فى نفس المجال لإبعاد تلك القيم ؛ ويعتقد ايستون أن البحث فى السلوك السياسى يتطلب تأكيد الافتراضات المرتبطة بكل من التقييم الأخلاقى والتفسير التجريبى « الامبيريقى » ، مع أن كل منهما متميزين من حيث التحليل ، ومنفصلين عن بعضهما البعض .

سادسا : التنظيم

يرى ايستون اضفاء طابع نظامى على البحث فى إطار تنظيرى ، فالبحث الذى لا تصقله النظرية لا قيمة له ، والنظرية بدون بيانات تدعمها لا طائل ورائها . فالحديث عن التنظيم يعنى صياغة النظم ، ويدعى السلوكيون أن البحث فى العلوم السياسية ينبغى أن يكون منظما ويقصدون من ذلك أنه يجب أن يكون مبنيا على النظرية وموجها بالنظرية . وإن النظرية والبحث ينتفى أن يشكلا أجزاء مترابطة ومتجانسة ومنظمة لكم من المعلومات . وإن البحث الذى لا ترشده النظرية قد يبدو تافها وأن النظرية التى لا تقصدها البيانات تكون عميقة . ويدعى السلوكيون أنه بدلا من تجاهل النظرية فإنهم يؤكدون عليها بدرجة أكبر مما يفعل التقليديون . ويتمثل الفرق الوحيد بين فريق التقليديين وفريق السلوكيين أن التقليديين يتحدثون على أساس نظرية القيمة ، ذلك أنهم مهتمون بالنظرية السببية ، فالنظرية بالنسبة لهم لا تتكون من المعالجة والاستبطان (فحص المرء لدوافعه) ولكن من التحليل والتفسير والتنبؤ . ويجب تطوير الفروض على أساس من هيكل مفهوم منظم ومترابط . والفروض بدورها يجب أن تصمد أمام الاختبارات الدقيقة ، ومن ثم تصلح أن تكون أساسا للنظرية الجديدة .

وقد تكون النظرية فى البداية فى مستويات ثلاثة :

١ – منخفضة المستوى فتكون من تعميمات مفردة .

٢ – متوسطة المستوى تركيبية أو ضعيفة القياس .

٣ – عامة واسعة القياس ، منظمة .

ولكن الهدف المطلق للبحث عند السلوكيين هو تطوير التعميمات الشاملة وبمعنى آخر اكتشاف قوانين بوصف وربط الظواهر السياسية بدقة كبيرة كما فى حالة قوانين الميكانيكا أو

الطبيعة . ومن جانب آخر يعتبر التقليديون الحديث عن نظرية شاملة أو عامة من قبيل السخرية فى الوقت الذى لا زال علم السياسة تنقصه صيغ منخفضة المستوى ومتوسطة المستوى . فالسلوكيون فى بحثهم عن نظرية شاملة كما يرى التقليديون قد انتهوا إلى مجرد زيادة المفاهيم والأطر التى يمكن أن تعمل بنجاح فى رأى الآخرين .

سابعا : العلم البحت

يصر السلوكيون بشكل عام على ما يسمونه مدخل العلم البحت وهم يوافقون على أن الفهم النظرى قد يؤدى إلى تطبيق تلك المعرفة على مشكلات الحياة . وكلا من النظرية وتطبيقاتها يعتبران أجزاء من العمل العلمى . ولكن فهم وتفسير السلوك السياسى يسبق ذلك منطقيا ، وهو الوحيد الذى يوفر الأساس لاستغلال هذه المعرفة فى حل المشكلات العملية العاجلة للمجتمع . وعلى هذا فإنهم يعلقون أهمية كبرى على البحث البحت ، ويقنعون به حتى ولم لم يمكن تطبيقه على مشكلات اجتماعية بسيطة ومحددة .

ويعتقد التقليديون على الجانب الآخر أن النظرية ليست بذات قيمة ما لم تطبق على المشاكل السياسية للمجتمع ، وتساعدنا فى إيجاد حلول لها ، ويعتقدون أن الهدف الوحيد للعلماء الاجتماعيين فى محاولاتهم لفهم الظواهر الاجتماعية هو إيجاد حلول ملائمة للصعوبات الموجودة فى المجتمع ، وكيف يمكن إصلاح المجتمع . وفى نظرهم يعتبر البحث التطبيقى والاهتمام بمسائل السياسة العامة مرغوبا وجائزا .

ثامنا : التكامل فى العلوم الاجتماعية وتعدد التخصصات

أخيرا تبقى مسألة دمج علم السياسة بالعلوم الاجتماعية الأخرى ويتفق السلوكيون أن الإنسان كائن اجتماعى ، وبينما يحاول الشخص أن يرسم خطوطا فاصلة بين أنشطته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والأنشطة الأخرى ، فإنه لا يمكن فهم هذه الأنشطة بدون وضعها فى نطاق أوسع فى حياته ككل . وعلى هذا فإن دراسة الظاهرة السياسية ، تتطلب بعض الفهم لكيفية عرض الظواهر الاقتصادية والثقافية لنفسها ، وإذا ما بذل جهد لفصل الإنسان السياسى عن الإنسان الاقتصادى أو الإنسان الاجتماعى أو الثقافى ، فلن يكون من الممكن فهم سلوكه السياسى بخواصه الحقيقية ، ومن جانب آخر فإذا كان عالم السياسة على دراية بهذه العلاقة المتداخلة بين أحد جوانب الحياة الفردية وبين جانب آخر فسوف يساعده ذلك على فهم الجانب السياسى من حياته الاجتماعية التى يهتم بدراستها .

والتقليديون من جانبهم يعترفون بوجود مجالات كثيرة فى دراسة الظواهر السياسية التى يصلح لها مفهوم تداخل الأنظمة ، ولكن إذا استمر علماء السياسة فى تأكيد اعتماد الظواهر السياسية المعرضة للدراسة على جوانب أخرى من سلوك الفرد ، فهناك خطر أن يفقد الاتصال بما يهتم به ، أى دراسة السلوك السياسى على وجه التحديد . ومن ثم تلزم العناية للمحافظة

على كيان وسلامة واستقلال علم السياسة ، وقد تؤدى استعارة بعض المفاهيم والأساليب غير المميزة سواء كانت تتعلق بدراسة خاصة أو لا تتعلق ، إلى قدر كبير من الخلط ؛ فالعلوم الاجتماعية تعالج الموقف الإنسانى ككل ، وتأسيسا على ذلك فإنه لا يمكن تجاهل نتائجها بشأن البحث السياسى ، فالاعتراف بوجود علاقات تكاملية بين العلوم الاجتماعية وعلم السياسة يرفع من منزلة هذا الأخير .

ومع ذلك يعترف التقليديون بميزة الاعتماد على مهارات ووسائل وأساليب العلوم الاجتماعية الأخرى ، إلا أنهم لا يرغبون أن يتأثر الباحث فى علم السياسة بهذا المدخل[١] . وهو ما يقتضى وقفة للتحليل .

إن المناقشة المتسعة التى دارت فى إطار العلوم السياسية بين السلوكيين والتقليديين تتلخص منذ اكتشف ايستون الزاوية الأساسية لفكر السلوكية . ويمكن الاستنتاج بأن الخلاف لم يكن عميق الجذور ولم يتخذ الطرفان مواقف متباينة متناقضة رغم سخونة الجدل فقد كانت المعركة فى معظم الحالات معركة لفظية . ومع هذا فإنه لا يغض الطرف عن تلك الفروق الجوهرية فى كل من المدخلين . ويمكن تفهم الجدل بشكل أفضل إذا ما لمسنا حقيقة واضحة وهى أن علم السياسة فى النصف الأخير من القرن العشرين كان يتحرك على نفس الخطوط تقريبا وفى نفس الاتجاه كباقى العلوم الاجتماعية الأخرى .

ويمكن تلمس خاصتين للتحليل السابق :

١ - هناك جهد مبذول بالرغم من كل المقومات لجعل كل العلوم الاجتماعية أكثر علمية .

٢ - هناك إدراك متزايد فى كل العلوم الاجتماعية لكى تكون متعددة الأنظمة .

ولقد اتضح أنه فى حالة العلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس فإن هاتين الخاصتين تلت إحداهما الأخرى فى تباطؤ ، فقد جاءت حركة جعل المادة علما أولا ثم جاء الجهد لإدخال أبعاد متعددة الأنظمة فيما بعد .

وفى حالة علم السياسة فقد تداخلت الحركتان كل فى الأخرى ، فالسلوكية فى علم السياسة كما يرى ايستون لا تبين النضال نحو العلم كجهد لجعله متعدد الأنظمة .

وعلى هذا توجد ثورة فى كل من الأسلوب والمادة ، فالتقليديون يربطون بين السلوكيين والتجديدات الأساليبية ويشكون بأنهم يركزون على تنقية أدوات الدراسة بدرجة أكبر من تركيزهم على موضوع الدراسة نفسه ، ويزعمون أن عددا كبيرا من علماء السياسة المحدثين يكرسون معظم وقتهم فى بناء أنماط وأطر ومفاهيم رجعية ، أو يستخدمونها فى دراسة المشكلات البسيطة ، وقليلا جدا منهم يهتمون بدراسة المشكلات الرئيسية فى المجتمع من

---

(١) Easton, David, "The Current Meaning of Behaviouralism", Op. Cit. pp. 95-97.

خلال استخدام هذه الأساليب . وأن علم السياسة ظاهرة معقدة يقبع كثير من أجزاءه تحت السطح أو الفجوات الأعمق من العقل فلا يستطيع الفرد أن يرى هذه الأجزاء إلا من خلال « العين الداخلية الفاحصة » .

وفى دراسة كتلك يجب إدخال العنصر الذاتى الذى لا يمكن ولا يجب تجاهله ببساطة لما يتصف به من الذاتية .

والإجماع الذى يتجلى الآن هو أنه إذا كان ينبغى أن تفهم الظاهرة السياسية فهما صحيحا فينبغى النظر إليها من عدة جوانب وقد يبدأ الإنسان بدراسة علمية عن طريق وسائل علمية للجزء الملاحظ من الظاهرة ويقلبها على وجهها مرارا بمساعدة الوسائل المنتقاه وبعد ذلك فإنه يستغل وسائل علم النفس المتاحة له وذلك لفهم ما يختبئ خلف السلوك السياسى الملحوظ فى الفجوات الداخلية لعقل الفرد . فضلا عن أنه يستغل نفاذ بصيرته التى يكتسبها من خلال خبرة دراسة تلك الظاهرة فى الماضى . وقد لا ينتهى الجهد عند هذا الحد .

ولفهم الجزء الملاحظ من الظاهرة السياسية عليه أن يدرس التفاعل المستمر بين النظام السياسى ونظرائه من الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

إن الدراسة الجيدة للظاهرة السياسية على هذا قد تمثل استخدام كل من المدخلين السلوكى والتقليدى فى علم السياسة بالإضافة إلى معرفة جيدة بالمفاهيم والأساليب المستخدمة فى العلوم الاجتماعية الأخرى وربما العلوم الطبيعية كذلك .

التقليديون والمدخل السلوكى :

بينما بدأ علماء السياسة التقليديون يدركون المدخل السلوكى فى بعض جوانبه فإنه لا تزال توجد بعض النقاط الحرجة التى لم يتم التوصل فيها إلى اتفاق فهى ما زالت محور خلاف بين التقليديين والسلوكيين(١) .

وبينما يرى التقليديون أن السلوكية بأشكالها المتعددة لها إسهامات هامة تقوم بها فى دراسة السياسة فإنهم فى نفس الوقت متشككون فى مدى كفاية المدخل السلوكى ككيان قائم بذاته فى فهم السياسة . ويؤكدون أن الأدوات السلوكية يمكن أن تساعدنا فى تحليل وفهم الأجزاء أو العلاقات بين الأجزاء . بل ذهبوا إلى أن السلوكية قد تساعد على نطاق محدود فى فهم العلاقة بين الأجزاء والكل ولكنها غير كافية تماما لفهم حقائق هذا الكل » فالمتسيس « Politicist » — وهو الاصطلاح الذى يفضل التقليديون أن يطلقوه على علماء السياسة حتى

(١) Charlesworth, James c., Op. cit., pp. 51-71.

Strauss Leo, "An Epiliogue" in storing, Herbert (ed). Essays on the Scientific Study of Politics, New York. Holt, Rinehart and Winston Inc., pp. 305-328.

يتجنبوا ترديد كلمة عالم – ينبغى أن يكون أكثر من مجرد سلوكى إذ يجب أن يكون مؤرخا ومدافعا ورجل مبادئ . وفى ذلك يكتب ملفورد سبلى (Mulford Sibley) قائلا أن « فهم السياسة يتضمن نفاد البصيرة الذى يتميز به الفنان بالإضافة إلى الدقة التى ترتبط بالعلم ، وفهم العلاقات المتداخلة بين الأجزاء والكليات بالإضافة لتحليل الأجزاء نفسها »(١) .

والسلوكية كما يوضحها سبلى « سوف تستخدم حتما داخل إطار من أحكام القيم التى لا يمكن تعزيزها عن طريق الأساليب السلوكية وحدها »(٢) .

ويرى التقليديون أن الخطر الرئيسى يكمن فى التقدم لدراسة السياسة دون تحديد ماهية السياسة أولا وكيف نميزها عن الأشياء غير السياسية كذلك يكمن فى حقيقة أن عالم السلوك السياسى يكون مستعدا لتبنى المفاهيم المستنبطة فى مجالات علم الاجتماع وعلم النفس ، والطب النفسى ... إلخ دون معرفة كيفية التمييز بين المجال السياسى ومجال المجتمع والعقل البشرى .

ويرى سبلى أن فشل الفرد فى أن يبدأ بمفاهيمه المميزة المحملة بالقيم هو الذى أدى إلى أن يسيطر الباحثون المحترفون فى علم الاجتماع وعلم النفس والطب النفسى على مقاليد البحث فى العلوم السياسية فى فترة ظهور السلوكية .

وفى الحقيقة فإنه لا يمكن تعريف السياسة سلوكيا ولكن يمكن تمييزها بالعقل وهنا يقول سبلى « ... . مهما كانت القيمة التى نضيفها على الدراسات السلوكية تلك – وهنا نضم تحت هذا المصطلح كلا من النظرية العلمية وعملية التحقيق – فإن الأفكار التى نبدأ بها والمفاهيم التى تقودنا إلى البحث العلمى يجب أن تعتمد مطلقا على بصائر كلية وعلى ما أسماه « ليواشتراوس » Leostraus بالمعرفة قبل العلمية بالإضافة إلى شىء شبيه بالخبرة الجمالية »(٣) .

وهناك أشياء معينة كما أوضح ليواشتراوس Leoustrot وهى أنه يكون من الضرورى أن نراها من الدقة بمكان من خلال الميكروسكوب أو التلسكوب ولكن هناك أشياء أخرى يمكن أن ترى جيدا بالعين المجردة .

ويعترف التقليديون أن الأساليب السلوكية تستطيع أن تنجز أشياء كثيرة فى مجالات الاكتشاف العلمى والتنبؤ العلمى ، ولكن لا يجب خلط التنبؤ العلمى بالتخمين فقد يكون من الأسهل عمل تنبؤات سلبية مثل ما قاله Karl Popper عن حمل الماء فى غربال .

ولا تمكن التنبؤات العلمية عالم السياسة أن يتخطى افتراضات – (إذا – عندئذ) . وإذا

---

(١) Sibley, Mulford, "The Limitations of Behaviouralism in, Charlesworth, James, Op. cit. p. 25.

(٢) Ibid., p. 54.

(٣) Ibid., p. 56.

حدثت أشياء معينة يمكن التنبؤ بأشياء معينة أخرى ولكن لا يمكن أن يقال بأى تحديد أن الأشياء من الضرورى أن تحدث بشكل معين . بمعنى آخر فإنه قد لا تكون التفسيرات والتنبؤات العلمية هى العلمية أو التنبؤات العلمية الوحيدة – فهناك أشياء عديدة يحاول عالم السياسة أن يفهمها ، ولا يستطيع المدخل السلوكى تفهم أى منها . فكل البحوث السلوكية فى العالم مهما كانت مقتبسة لن تستطيع أن تخبرنا عن الأهداف التى نبحث عنها بذاتها . وقد أوضح Arnold Brecht فى مفهومه عن « نسبية القيم العلمية » أن التساؤل عما إذا كان شىء له قيمة يمكن الرد عليه بطريقة علمية فقط فى ضوء :

(أ) هدف أو غرض يكون هذا الشىء ذا قيمة أو نافعة لتحقيقه .

(ب) الأفكار التى يعتنقها الشخص أو مجموعة من الأشخاص والتى تتعلق بما هو ذو قيمة وما هو ليس بذات قيمة .

(جـ) وإنه نتيجة لذلك يكون مستحيلا عمليا أن نحدد أن الأهداف أو الأغراض تكون ذا قيمة بغض النظر عن :

١ – القيمة التى لها فى متابعة أهداف أو أغراض أخرى .

٢ – أفكار شخص ما عن الأغراض والأهداف المطلقة أو البعيدة[1] .

وأخيرا فإنه بينما يكون التقليديون مستعدين لاعتبار المدخل السلوكى مدخلا نافعا فإنهم يعتبرونه نافعا لنقطة معينة فقط ومهما كان الاهتمام بتطبيق الأسلوب العلمى على أى مشكلة وكل مشكلة والتجميع النهائى للأجزاء المختلفة فى الحيوة .

ويكتب Joseph R. Royceأن عالم النفس « سوف تكون له مهمة ذاتية شخصية بدرجة كبيرة ولا يمكن جعل هذا العمل علميا » .

ويواصل سبلى قائلا « ... . إن علم السلوك القائم على إذا – إذن – ينقلنا كثيرا من العالم الكونى للسياسة الحقيقية إلى عالم الجدل العلمى البحت . وهو بالفعل عالم هام نحن مدعوون إليه من جانب علماء السلوك » ويستمر سبلى قائلا : « إذا كان فهمنا للسياسة يتطلب الإلمام أيضا بماهية السلوك فى الماضى والحاضر والمستقبل وما يجب أن يكون عليه السلوك ... فيجب علينا أن نتجه ليس فقط إلى السلوكى ولكن أيضا لمؤرخ الأفكار السياسية ، والفيلسوف الأخلاقى ، والمؤرخ الثقافى ، الفيلسوف السياسى الجدلى الكلاسيكى التقليدى ، المتسيس الوطنى والرجل صاحب الخبرة السياسية المباشرة » .

وينتقد التقليديون أيضا عدم كفاءة المدخل السلوكى من وجهة نظر إنشاء سياسة بكل جوانبها الأخلاقية والتجريبية والتشريعية . فالسلوكى غير قادر على أى شىء فى الجانب الأول ، الأخلاقى

(١) Brecht, Arnold, Political Theory, Princeton, Princeton University Press, 1959, pp. 117-118.

الذى يشمل إدراك وصياغة القيم المبهمة التى تستخدم ، وقد يتواءم مع الجانب الثانى التجريبى ، ولكن فى هذا الجانب أيضا قد لا يكون قادرا على التسامى بفهمه للأجزاء ويتجه لفهم الكل الذى يشتمل على تحليل عناصر الحياة مثل محنة السياسة التاريخية ، وليس بمساعدة الوسائل السلوكية على الأقل ، ولن يكون له أى فائدة فى الجانب الثالث التشريعى الذى يبنى على أسس العلم العملى والفلسفة . وعن الاحتجاج بأن علم السياسة السلوكى قد يكون قادرا على معالجة كل هذه المشاكل عندما ترسخ احترامه وعندما يطور أدوات أكثر تعقيدا لفهم المشكلات الكبرى . وعلى هذا الاحتجاج يرد التقليديون بأن قيود العلم السلوكى ليست قيودا ناتجة من حداثة هذا العلم ولكنها تتمثل فى المعرفة الفرضية المبنية على (إذا - عندئذ) .

وباختصار فإن الاحتجاج لا يزال قائما حيث يحتاج فهم السياسة لأكثر من بيان مستنبط بشكل سلوكى وهناك وسائل فهم خلال الوسائل العلمية برغم أنه ليس هناك من يدعى أن المداخل السلوكية ليست لديها قيودها الشديدة . وعند التأكيد على المدخل السياسى دون كل المداخل الأخرى والاعتماد على الأساليب العلمية ، فإن علم السياسة يكون قد انتقص على حد قول Alfred Coblan« إن أداة اخترعها أساتذة الجامعة دون لوصول لأى علم[1].

مراحل تطور السلوكية :

يمكن أن نبين أن علم السياسة السلوكى قد مر بثلاث مراحل . وتبدأ المرحلة الأولى بالفترة التى سبقت قيام الحرب العالمية الثانية ، حيث كان هناك استخدام متزايد للأساليب التجريبية القاسية ، وقد بدأ علماء السياسة الذين كانوا يتبعون قيادة هارولد جوزدل Harold Gosdell فى استخدام Stuart Rice لبيانات قياسية لجداول إحصائية فى كتاباتهم ، ولكن لا يمكن اعتبار ذلك دخولا منظما لهذا المجال .

وبرغم استخدام أساليب معقدة والانتقال من مرحلة الوصف التأثيرى إلى وصف الحقائق التفصيلية فقد استمر علم السياسة فى السير فى القنوات التقليدية وكما أوضح Lozarsfled فلقد استخدمت وسائل جديدة لتمكن من عمل وصف وتحليل دقيق للنماذج السائدة والدائمة للعالم السياسى[2] .

وكان قمة ما أنجز فى هذه الفترة هو استخدام هارولد لاسويل Harold Lasswellلتحليل المحتوى من ثنايا الاهتمام بنظرية التحليل النفسى التى يمكن أن تعتبر همزة وصل بين السلوكيين المتقدمين والمتأخرين .

---

(١) Cobblan, Alfred, "Ethics and Decline of Political Theory", in Political Science Quarterly LXVIII, 3. September 1953, p. 336.

(٢) Lozar fled Paul E, and Rosenberg, Morris, (eds). The Language of Social Research, Glencoe; Free Prees. 1955, p. 4.

ولقد بدأت الهجمات التجريبية والقياسية بعد الحرب العالمية الثانية واستنبط عدد من الكتاب منهم جابريل الموند ، روبرت داهل ، ديفيد السبو ، كارل ديوكسن ، هارولد لاسويل وآخرين عددا كبيرا من الخطط النظرية التجريدية أو النظرية السببية .

وتتمثل انجازات الخمسينات فى مدخل النظم ، ونظرية صناعة القرار والتركيز على الاتصال وبعض التجديدات الأخرى . وقد أدى ذلك إلى تحويلات إيجابية داخل المجالات الجانبية لعلم السياسة . وقد حدث فى أسلوب البحث تقدم هائل خلال هذه الفترة ، ولكن فيما يختص بكونها وسيلة لبناء النظريات فقط .

وقد استخدم علماء السياسة السلوكيون بشكل متزايد تحليل الحالة ، تحليل المحتوى ، المسح ، التجارب ، التحليل الاحصائى الكلى ، بناء الأنماط السببي . وعددا آخر من أدوات البحث والتحليل الأخرى . ويعتقدون أن البحث التجريبى يجب أن يؤدى إلى صياغة الفروض ، التى تعرض على الاختبار الدقيق خلال البحث التجريبى .

وإن كانت الصروح التحليلية للسلوكيات فى الخمسينات ضخمة لدرجة أن التقدم فى استنباط أساليب بحث لاختبار النظرية وجد صعوبات كثيرة فإن ذلك لا يضفى خطأ على سلوك هذا الأسلوب .

ولقد شهدت الستينات نموا فى الأساليب الرياضية والتحليل متعدد المتغيرات واستراتيجيات القياس لدرجة جعلت الأدوات النظرية على درجة من الابتكار . وكانت نتيجة ذلك أنه فى ذلك الوقت فقد التأم فيه الانقسام التقليدى إلى مدرستين فكريتين :

(أ) السلوكيون النظريون ، الذين استمروا فى استنباط النظريات . التى لا تضبط بالنتائج الدائمة .

(ب) السلوكيون الإيجابيون الذين استهوتهم الأساليب لدرجة أنهم بدوا كما لو كانوا يهملون كلا من النظرية وعلم السياسة نفسه . ونتج عن ذلك أنه بنهاية الحقبة انقسم السلوكيون النظريون والإيجابيون بعضهم على بعض وأصبحوا ينتقدون بعضهم بدرجة أقسى مما كان يدور بين التقليديين والسلوكيين فى بداية الحقبة .

وكما فعل التقليديون فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات من اتهامهم للسلوكيين بإهمال لب الدراسات السياسية التى كانت تحتاج بصائر فلسفية من أجل قضايا هامشية تافهة يمكن أن تتناسب مع أدوات عبثهم ، فقد كان السلوكيون النظريون فى نهاية الستينات ينتقدون السلوكيين الإيجابيين لعدة أسباب أهمها :

(أ) اهتمامهم الأساسى بالخواص العامة أو المنتظمة للسلوك الإنسانى .

(ب) إهمال فائدة وصلاحية التفسيرات التأثيرية للظواهر السياسية .

(جـ) فرض الواقع السياسى (كفرض التناسب بالعنف) على الحقيقة وبهذا يخدعون أنفسهم عن ملائمة الظروف للموضوع .

(د) اختراع أساليب للاتصال عاقت عملية الاتصال ذاته .

(هـ) العجز عن إصدار توصيات سياسية فعالة[١] .

وقد كثر الحديث الآن عن تحرير بحوث علم السياسة الحالية من قيودها المتعلقة بالقياس والركود فى تطوير النظرية .

ويرى Becker & Has أن السلوكيين قد فشلوا فى « أن يعيشوا طبقا لأساليبهم أو يجربوا أنماطا بديلة أو أن يصيغوا نظرية متماسكة مختبرة تفيد صناع السياسة[٢] .

ورغم هذا فإن السلوكيين قد خلصوا علم السياسة من سباته العميق والطويل وفتحوا أفاقا بالإضافة لأساليب البحث .

إن الظاهرة السياسية ظاهرة معقدة لأن أى حدث سياسى يعمل من ثنايا بيئة اجتماعية تتضمن فعل السلوك الذى يقبع خلفه الوعى الإنسانى والخبرات والتجارب. ودراسة السلوك السياسى تركز – كما سبقت الاشارة – على تصرفات الفرد واتجاهاته وتوقعاته السياسية ، وإذا ما اختلفت مشكلات ونماذج السلوك السياسى فإن الصياغات النظرية المتعلقة بالسلوك الإنسانى لا تتم فى عزلة عن جوانب السلوك الأخرى ، ويعنى تنظير النظم فى أبسط صورة أنها قد أثمرت وتؤذن بازدهار أساليب البحوث ، وتأسيسا على ذلك فإن علم السياسة قد استعار من علم النفس فى البحوث والدراسات السياسية[٣].

* * *

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع :

Becker, Hass, Op. cit., pp. 485 - 503.

(٢) Ibid., p. 503.

(٣) راجع فى تفصيل ذلك دكتور/ عبد الغفار رشاد، قضايا نظرية فى السياسة المقارنة، إصدار مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ١٩٩٣ وراجع أيضا :

Douid Easton, op. cit, pp. 90-92.

الفصل الثانى

السلوكية « المتاخرة »
« ما بعد السلوكية التقليدية »
Post - Behaviourlism

- ماهية السلوكية المتأخرة - المميزات - المنجزات
- محددات علم السياسة السلوكى - التقويم .

الفصل الثانى

السلوكية « المتأخرة » Post -Behaviourlism

« ما بعد السلوكية التقليدية »

واجه علم السياسة التقليدى انتقادات متتالية سواء تعلق ذلك بمناهج دراسته أو أساليب تحليله وطرق معالجته مما جعله ذا طابع وصفى ، سكونى ، ضيق – وهذه الانتقادات كانت بمثابة تمهيد للثورة السلوكية فى علم السياسة من ثنايا مناهج وأدوات جديدة للبحث والتحليل والمعالجة مما جعل علم السياسة يمر بمرحلة جديدة أطلق عليها « علم السياسة السلوكى أو المعاصر » أو علم السياسة الامبيريقى – كما يطلق عليه علماء السياسة العرب ذلك – تمييزا له عن مرحلته التقليدية التى سبقت الحرب العالمية الثانية .

غير أنه سرعان ما تم انتقاد هذه المرحلة هى الأخرى من ثنايا المدرسة السلوكية ذاتها فضلا عن دعاة علم السياسة التقليدى بالطبع ؛ وبعض هذه الانتقادات اعتمدت على أساليب عقلانية رشيدة من جانب ايفرون كيرك باتريك Evron Kirk patrick وبعضها الآخر كان مبالغا فيه مثل ما عرضه دينيس كافانج Dennis Kavangh لكن هذه الانتقادات كانت بمثابة دافع لاتجاه جديد للسلوكية أطلق عليه اصطلاح السلوكية المتأخرة أو ما بعد السلوكية بالتأكيد على نموذج « المثير – الكائن الحى – الاستجابة » بدلا من نموذج « المثير – الاستجابة » حيث يحمل النموذج الأول معانى الاهتمام بالإنسان – الكائن الحى – باعتباره الفاعل السياسى بما يعكسه من اتجاهات وقيم ودوافع وثقافة وادراك وبيئة يتفاعل معها سيكولوجيا ، أى أن نقطة ارتكاز الدراسة قد انصبت على السلوك الإنسانى الذى يقتبس من العملية الاجتماعية الأخرى ولكنه فى ذات الوقت يعترف بالاختلاف ويركز على الفرد فى المؤسسات السياسية .

وهكذا انطلق ايستون فى هجومه على موقف السلوكيين فى منتصف الستينيات[1] بالرغم من كونه أحد دعاة الثورة السلوكية منذ الخمسينيات ، وربما يأتى هذا التحول فى فكر إيستون نتيجة إحساسه بالاستياء تجاه تطور البحوث السياسية ؛ وكانت تجربته فى التدريس بالجامعة تتركز حول محاولة تطبيق الأسلوب العلمى فى دراسة السياسة بوسائل العلوم الطبيعية .

إن هذا التحول من جانب إيستون جاء فى مرحلة عدم ملاءمة البحوث السياسية لمواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والقلق الفكرى الذى ساد هذه الفترة وأنه فى حين أن

(١) Kariel, Hass, Op. Cit.

السلوكيين « التقليديين » كانوا منغمسين فى بناء نماذج وأطر لدراسة علم السياسة فإن انعزالهم وانشغالهم بالتدريس فى الجامعة كان عائقا أمام مواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فى الولايات المتحدة وغرب أوروبا ؛ وانشغل علماء السياسة التقليديون بالتركيز على الاستقرار السياسى والتوازن بين الأنشطة فى الحياة السياسية من ثنايا الأحزاب السياسية وجماعات الضغط وجماعات المصالح مع بعض الدراسات الميدانية فى بعض الأحيان ، وانغمس العلماء فى تفاصيل من القياس والأساليب التخصصية لجمع وتحليل المعلومات ... إلخ وقد بدى المجتمع الخارجى فى حالة تمزق وتحليل وانهيار .. فالخوف من القنبلة النووية ، وصراع القوى الكبرى وحالات من الحروب الإقليمية والمحلية التى اشتد رحاها . إن كل هذه الظروف لم يتنبأ بها علم السياسة سواء التقليدى أو السلوكى . وهنا يثار تساؤل حول جدوى علم السياسة إذ لم يستطع أن يحلل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية المعاصرة بل ويسهم فى حلها .

وقد تساءل إيستون « هل يجب علينا أن نتمسك دائما بصورة ثابتة للنظام سواء كان سلوكيا أو غير سلوكى ؟ .. ألسنا ملزمين أن نهتم بالأحوال المتغيرة وأن نكون جاهزين ومستعدين أن نفكر فى الصور القديمة وأن نعد لها للمدى الذى يعتبر ضروريا ؟ ؟ » . وهكذا تعرضت دراسات علم السياسة للمدرسة السلوكية وما ارتبط بها من أدوات للتحليل بمستوياته المتباينة – للعديد من الآراء المتباينة ، بعضها ذو فائدة ، وإيجابية فى تطورها ، وبعضها الآخر تعرض للانتقاد وفق أسانيد تبرر هذا الانتقاد .

ماهية السلوكية المتأخرة :

يعتقد ايستون أن الباحث السلوكى هو في الواقع نتاج لخليط من جانبين : التقليدى والسلوكى ، بينما افترض داهل Robert Dahl أن الباحثين التقليديين فى علم السياسة هم فى حاجة إلى ما يكملهم وأن السلوكية لا تتطلب إلغاء التقليدية . ومن ثم فإنه لا يجب الخلط بين السلوكية المتأخرة والتقليدية بالرغم من أن كل منهما يعتبر شديد الانتقاد للسلوكية . ويمكن ابراز التفرقة بين المدخلين فى أنه بينما أنكر التقليديون صلاحية المدخل السلوكى وقرروا إيمانهم بالتقاليد الكلاسيكية لعلم السياسة ، فإن السلوكى المتأخر يقبل منجزات الفترة السلوكية ولكنه يبحث فى دفع علم السياسة أبعد وإلى آفاق جديدة . من ثنايا أدوات تحليل تأخذ بالتجريب المستخدم فى العلوم الاجتماعية والامبيريقية Empirical وأصبح السلوك الذى يقبل الملاحظة ركيزة البحث السياسى .

ولقد أشار ديفيد إيستون إلى أن السلوكية المتأخرة كانت متجهة للمستقبل باحثة فى دفع علم السياسة فى اتجاهات جديدة وأن تضيف إلى تراثها السابق بدلا من أن تنكره .

كانت السلوكية المتأخرة ثورة حقيقية وليست رد فعل ، كانت اصطلاحا وليست تشكيلا مضادا . ولقد كانت حركة واتجاها فكريا فى نفس الوقت ولربما يكون من الخطأ أن نربط

بين السلوكية المتأخرة وأى فكر سياسى معين ، ذلك أن مؤيديها كانوا يضمون علماء سياسة من كل الصفات بين محافظين وليبراليين ويساريين ومتطرفين ومن كل الاتجاهات الأسلوبية ، وعلماء مدققين من كل فئات العمر[1] .

ولقد ارتبط هذا الكل المتنوع السياسى والأسلوبى بعاطفة وحيدة وهى استياء عميق بشأن اتجاه البحوث السياسية المعاصرة ويتمثل المطلبان الرئيسيان للسلوكية المتأخرة فى الملائمة relevance والفعل action.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ديفيد إيستون الذى عدد ثمان نواحى رئيسية للسلوكية وأطلق عليها أحجار الأساس الفكرية – كما سبقت الاشارة – قد توصل أيضا إلى سبع مزايا للسلوكية المتأخرة – ووصفها بأنها عقيدة الملائمة . Credo of Relevance

مزايا السلوكية المتأخرة :

يمكن إجمال مزايا السلوكية المتأخرة فيما يأتى :

١ – يجب أن تسبق المادة الأسلوب فى البحوث السياسية فقد يكون مناسبا أن تمتلك أدوات فحص معقدة ولكن أهم نقطة هو الغرض الذى سوف يستخدم هذه الأدوات لتحقيقه . وما لم يكن البحث العلمى ملائما وذا معنى بالنسبة للمشكلات الاجتماعية العاجلة فإنه لا يستحق القيام به . وبالنسبة للشعار الذى رفعه السلوكيون والقائل بأن الخطأ أفضل من الغموض فإن السلوكيين المتأخرين رفعوا الشعار المضاد القائل بأن الغموض أفضل من عدم الملائمة والدقة .

٢ – ينبغى أن يؤكد علم السياسة المعاصر أساسا على التغيير الاجتماعى وليس على الثبات ، كما كان يفعل السلوكيون . فقد كرس السلوكيون كل جهودهم لوصف وتحليل الحقائق دون الاهتمام الكافى بفهم هذه الحقيقة فى نطاقها الاجتماعى الواسع . الذى جعل علم السياسة السلوكى « أيديولوجية للثبات الاجتماعى ستتسم بالتغيير والتواضع » ؛ وهى الطفرة التى شهدها علم السياسة وفق آراء كتاب اليسار الجديد فى الغرب[2] .

٣ – العلم السياسى ، خلال الفترة السلوكية فصل علم السياسة التقليدى نفسه تماما عن بعض حقائق السياسة ، فإن أساس الاستفسار السلوكى كان يتمثل فى التجريد والتحليل ، ولم يكن ممكنا لعلماء السياسة أن يغلقوا عيونهم عن حقائق الموقف ، فقد كانت الفترة فترة أزمات وقلق ، وكان العالم الغربى مع ما يتوفر فيه من ثروة هائلة ومصادر فنية ودرجة كبيرة من زيادة

---

(١) وهو ما سوف يتم التعرض تفصيلا عن كتاب اليسار الجديد فى موضع لاحق من الدراسة . « الباحث » .

(٢) وهو ما سوف يتم التعرض له تفصيلا فى الباب الرابع من الكتاب عن اليسار الجديد فى غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية .

مستوى الوسائل المادية التى تسعى لخدمة الإنسان ، كان العالم الغربى فى نفس الوقت يتحرك نحو الصراع الاجتماعى المتزايد والخوف والقلق العميقين ؛ وهو ما كشف عنه كتاب اليسار الجديد فى الغرب .

ولو لم تكن مسئولية رجل السياسة أن يصل إلى الاحتياجات الحقيقية للإنسان فعندئذ يثار تساؤل وهو ما فائدة علم السياسة للمجتمع إذن ؟ .

٤ – بالرغم من أن السلوكيين لا ينكرون دور القيم كلية فقد أكدوا بدرجة كبيرة على العملية المرتبطة بالقيم الموضوعية والتى يفضل فيها دور القيم تماما لأى غرض من الأغراض .. ولقد اعتمدت كل أنواع المعرفة على مقدمات منطقية قيمية وما لم نعتبر القيم قوة دافعة خلف المعرفة فهناك خطر استقلال المعرفة لأغراض خاطئة . فلقد لعبت القيم دورا هاما فى السياسة والبحث باسم العلم ولم يسمح بالتخلص منها فى الدراسات السياسية .

ولو استخدمت المعرفة للأهداف الصحيحة فيجب أن تعود القيم إلى مركز الصدارة .

٥ – أراد السلوكيون المتأخرون أن يذكروا علماء السياسة أنه لكونهم فكريين فعليهم دور يقومون به وواجبات رئيسية يؤدونها للمجتمع وكان من مسئوليتهم بذل الجهد لحماية القيم الإنسانية المتحضرة . ولو أن علماء السياسة من أجل الموضوعية والانفصال ظلوا بعيدا عن المشكلات الاجتماعية .

٦ – لو فهم المفكرون المشكلات الاجتماعية وشعروا أنها تمسهم فلن يستطيعوا أن يظلوا بعيدا عن العمل ، فيجب أن تستغل المعرفة ويوضح إيستون أن المعرفة هى تحمل مسئولية العمل ، والعمل هو الاهتمام بإعادة تشكيل المجتمع . فالعلم « التأملى » ربما كان ملائما فى القرن التاسع عشر عندما كان هناك اتفاق كبير بين الأمم ولكنه غير ملائم للمجتمع المعاصر الذى انقسم انقساما حادا حول القيم وأساليب التفكير ، ويطالب السلوكيون « المتأخرون » بالعلم العملى بدلا من العلم التأملى ويناشدون بأن يتخلل الإحساس بالالتزام والعمل كل بحوث علم السياسة .

٧ – اعترف إيستون بأن المفكرين لهم دور إيجابى فى المجتمع وأن هذا الدور كان محاولة تحديد الأهداف الصحيحة للمجتمع وأنه يجب دفع المجتمع فى اتجاه هذه الأهداف . وقد أصبح من المحتم استنتاج أن تسييس الحرف – كل الجمعيات الحرفية بالإضافة إلى الجامعات – قد أصبح أمرا لا مفر منه ومرغوب فى نفس الوقت ؛ وقد لاقت هذه الدعوة استجابة ملحوظة لدى كتاب اليسار الجديد .

ويرد السلوكيون المتأخرون على حجة أن العلم له بعض الالتزامات المثالية ، وأن السلوكية قسمت تلك الالتزامات المثالية للعلم ، بأنه إذا كان العلم يدفع أنصاره لأن يغمضوا أعينهم فى وجه المشكلات الاجتماعية الملحة فإن صورة العلم يجب أن تتغير .

وقد ارتبطت صورة العلم عند السلوكيين لفترة طويلة ببراعة فنية فى البحث عن معرفة موثوقة واتباع الفهم الأساسى مع فعله الضرورى عن الاهتمامات العملية مع استبعاد تعقيدات القيم كشىء بعيد عن الكفاءة العلمية .

ولم ينكر السلوكيون المتأخرون أهمية المهارة الفنية ولكنهم لم يوافقوا على أن البحث عن الفهم الأساسى والمعرفة الموثوقة يتضمن بالضرورة أن يعزل العالم نفسه عن الاهتمامات العملية للمجتمع ، كما أنهم لم يعتقدوا أن القيم يمكن عزلها عن النشاطات العلمية .

ولقد كان السلوكيين « المتأخرون » يرون أن البحث ينبغى أن يرتبط بمشكلات المجتمع العاجلة وأن يكون ذا غرض . وكان من واجب علماء السياسة أن يكتشفوا حلولا للمشكلات المعاصرة . ولم يكن هدفهم مجرد الاستقرار أو المحافظة على الوضع القائم .

ولا يجب أن يظل علم السياسة قابعا فى الظل تابعا لما يحدده له السياسيون المحافظون ، وبالتحديد المحافظة على النظام الاجتماعى القائم . ويجب أن يكون البحث ملائما لفهم هذه المشكلات الاجتماعية .

وبالإضافة لاقتراح حلول فإن عالم السياسة قد يمارس دورا رائدا للعمل على تحقيق التغيير الاجتماعى المنشود .

ولو أن أسباب الأزمة المالية فى المجتمع كانت ناتجة عن صراعات اجتماعية عميقة فإن هذه الصراعات يجب القضاء عليها . وإذا تطلب القضاء على هذه الصراعات خرقا للنظام السياسى القائم ، ويجب على عالم السياسة أن يطالب بذلك بجرأة وشجاعة ، وأنه لا يجب أن يكتفى باقتراح الإصلاحات ولكن ينبغى أن يسهم بجهد فى إعادة تشكيل المجتمع فى الاتجاه الذى يجعله يخدم الأهداف المطلوبة بشكل فعال .

السلوكية المتأخرة – المنجزات :

يمكن تناول منجزات السلوكية المتأخرة فى مجالين ، بناء النظرية وأساليب البحث .

ومن الملاحظ أن المسح الشامل للمرحلة السلوكية خاصة مع إضافة منجزات الستينات يترك أثرا لا يستهان به ويشير إلى أن هناك ثورتين ، النظرية والفنية . ولكن بمجرد أن بدأت السلوكية فإن الثورة الفنية تغلبت كثيرا على الثورة النظرية .

ولقد تمت منجزات مهمة فى تطوير وتنقية أدوات البحث وأساليبه ، منها تطويرات فى عدة مجالات .

١ – تحليل المحتوى .
٢ – تحليل الحالة .
٣ – إجراء المقابلات والمشاهدات .
٤ – الإحصائيات هامة بشكل خاص .

والواقع أن طريقة تحليل المحتوى فى شكلها الكيفى معروفة لعلماء السياسة فى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

ولقد تم أول استخدام منظم لتحليل المحتوى فى علم السياسة فى دراسة هارولد لاسويل عن الدعاية فى الحرب العالمية الأولى :

وكتاب لاسويل « أسلوب الدعاية فى الحرب العالمية ، نيويورك ، ١٩٣٨ » .

وكتاب لاسويل ، لوتس وزملاءهم « لغة السياسة ، نيويورك ، ١٩٤٩ » .

وكتاب لاسويل « دراسات مقارنة للرموز ، ستافورد ، ١٩٥٢ » .

وتعتبر هذه الكتب جهودا رائدة فى هذا المجال . كذلك دراسات رادير Radir عن الرموز الدولية والديمقراطية وبعض الأفكار المجردة ، واستعمال روبرت نورث لتحليل المحتوى لكشف اتجاهات مفهوم العداء عند صناع القرار ، الإحباط ، ومبدأ ضخامة الصراع ، وكتاب ريتشارد ميريت « رموز المجتمع الأمريكى ، ١٩٦٦ » وجميع هذه الدراسات كانت ذات أثر فى هذا المجال . واستفاد منها كتاب اليسار الجديد فى فترة السبعينيات .

وبرغم الإتفاق الضخم على هذه الدراسات فإنها رفعت أهمية تحليل المحتوى مسافات بعيدة . بدءا باستخدام حالات للتحليل ، مما جعلها تسجل منجزات هامة فى مجال تحليل الحالة المقارنة .

ويرى بروث ردسيب الذى طور إطار التحليل لحالة المقارنة الدقيقة لدراسة الردع أن هذا التحليل يمكن أن يطبق متميزا على كثير من المواقف الأخرى .

ولقد قام كل من هـ . سكوبرت ووليام كروتى بعمل كبير فى هذا الميدان وذلك بتطبيق نفس الأسلوب على مهنة المحكمة العليا وفى تحليل مقارن للأحزاب السياسية ونظم الأحزاب على التوالى . وقد سهل البحث فى السياسات المقارنة خلال البحوث الوضنية .

وقد أحدثت أساليب إجراء المقابلات والمشاهدات نموا مطردا فى التعقيد . لقد كان علماء السياسة يسألون الأسئلة ويعقدون اللقاءات فى فترة السلوكية المتقدمة كذلك . لكن أساليبهم كان يصعب تمييزها عن أساليب الصحفيين .

وعلى أى حال فإن أعظم إنجاز فى هذا المجال ظهر على شكل مسح عينى ، والذى أصبح أداة رئيسية فى البحث الاجتماعى وشجع مجموعة من المنجزات ليست قاصرة على تطوير أساليب مساعدة . ولكن أدت إلى انشاء نظرية تفسيرية . ولقد بدى فى تقييم عينات من السكان خاصة فى مجال التصويت . وقد تبعت عينة الحصة النسبية Quatasample فى الثلاثينات بالعينات المحكمة فى الأربعينات ، ولقد استطاع بول لازار فيلد Paul Lazars Flad فى دراسة عن التصويت الانتخابى أن يدعى أنه تمكن من أن يفسر ٩٥٪ من التنبؤ بالأصوات فى بلده الميرا عام ١٩٤٠ على أساس ثلاث متغيرات فقط وهى السكن ، الوضع الاقتصادى والاجتماعى

والديانة[١] . ولقد سهل أسلوب مسح الصناعات لدراسة بنية السلطة للجماعة والتطبيع السياسى النسبى[٢] ويدون التهذيب فى مسح العينات ما كان من الممكن إجراء تجربة المجموعة الصغيرة أو تطوير نظرية التنظيم التى تعتمد أساسا على اختبارات تجارب المجموعات الصغيرة وسهلت أيضا زيادة التظاهر simulation كأسلوب[٣] .

وفى مجال المقابلة كان هناك تعقيد متزايد فى تعميم أسئلة المسح والاستطلاعات ، وفى الجوانب الأساسية فى اللقاء أو المقابلة .

وفى ذلك يكتب ترومان « بالاعتماد على المعالجة النفسية للبحوث ، والخبرة فى المشاورة فإن تعميم الأسئلة وتوجيهها قد ابتعدت كثيرا عن التخمين وغالبا أساليب الصواب والخطأ المستخدمة فى الرأى المبكر والمسح الاجتماعى » .

ولا شك أن مزايا الأسئلة المفتوحة بالمقارنة بالبديل الثابت أو الأسئلة الاختيارية أو اللقاء المركز أو لقاء العمق قد نظمت وتطورت بصورة كبيرة لدرجة أن مجال اختيار الباحثين بين أدوات اللقاء قد اتسعت كثيرا[٤] .

ولقد تقاربت أساليب القياس وبالتحديد تحليل الاتجاهات عن طريق استخدام المقاييس مع أساليب مسح العينة فى الوقت الذى استعملت فيه وسائل القياس السابقة وتعدد استعمالها خاصة من جانب ل . جوتمان وبول لازار سفيلد لتشجيع التحليل لبيانات المسح . دون ما يسمى بأسلوب الاستضافة Guttman Paneltechnique وهى لقاءات متتالية مع عينة من السكان تعرف بضيوف البرنامج ، قد جعل من الممكن دراسة الاتجاهات والسلوك من خلال تغيرات متابعة . وقد حدث تطور كبير وتوسع فى التجريب فى كل من التجارب المعملية المحكومة والمواقف الطبيعية المسئولة عن تطور حركات الجماعة وقياس العلاقات الاجتماعية .

وأخيرا فى مجال الإحصاءات حدثت تغيرات ملحوظة ، فعلم الإحصاء المبكر كان مهتما فقط بحجم بيان مفرد أو اتجاهات متغير وحيد عبر الزمن . وقد تبع ذلك بتحليل ثنائى المتغير bi-varicte الذى وفر فرصا كثيرة للمقارنة لكنه لا يعتبر تجديدا أسلوبيا أساسيا .

وعلماء السياسة أمثال جوليوس تيرنر Julius Turner[٥] الذى يهتم بدراسة أثر خواص

---

(١) Lazarsfeld, Paul F., Berelson and Gruadet, Hazel, The People's Choice 2nd edition, New York, 1948.

(٢) Almond, Gabriel A. and Verba Sidney, The civic culture, Political Atitudes and Democracy in Five Nations, Princetion University Press, 1963.

(٣) Guetzkow, Harlod, (ed.), Simulation in Science, Englewood Cliff, Prentice Hall, 1962.

(٤) Truman David, "What is Behaviouralism ?" in Research Frontiers in Politics and Government, Brookings Lectures, 1955, pp. 202-231.

(٥) .Turner, Julius C, Party and Constituency, Baltimore, John Hopkins Press, 1952

الناخبين على السلوك التشريعي ، كذلك كيي Keeyالذى تتبع طبيعة المساندة الانتخابية بالنسبة للأحزاب السياسية وخاصة البحوث ثنائية المتغير[١] .

غير أن الكتاب المعاصرين قد طوّروا ما يوصف بالعمليات متعددة المتغير multi-variate التى تساعد الباحثين على اختيار نماذج كاملة دفعة واحدة .

والأساليب متعددة التغير مثل التحليل ضيق المسافة Smallest- space Analysis والتحليل الجمعى Cluster Analysis والتحليل العاملى actor Analysis تسمح بالاكتشاف الأساسى فى العديد من المتغيرات . وقد أدت هذه التطورات فى مجال علم الإحصاء إلى زيادة الأنماط السببية ، الذى يساعد على اختبار مسار المسبب فى نظام من المتغيرات ، طبقا لرأى Kariel, Hass سوف يكون اتجاها الباحثون بمقتضاه فى السنوات القادمة .

وإذا ما نظرنا إلى أساليب القياس فى البحوث ، نستطيع أن نتحدث عن تطور فى مجال تحليل المحتوى ، من التحليل الكيفى إلى التحليل الكمى ، وفى مجال تحليل الحالة من التفرد إلى التحليل المقارن ، وفى مجال المقابلة والمشاهدة من الاستعناء إلى المسح وفى مجال علم الإحصاء من التحليل الثابت إلى التحليل متعدد المتغيرات .

وأى نظام يدعى أنه علم يستطيع أن يفخر بتلك المنجزات فى مجالات تكنولوجيا البحث .

وثمة تساؤل عما إذا كان يمكن أن يقال نفس الشيء عن السلوكية فى مجال البحث الوجودى . فإن توثق العلاقة بين أساليب البحث والنظرية لا يمكن تأكيده بقوة ، فكلما أزدادت وسائل البحث تعقيدًا كلما زادت الحاجة للتحليل والإبداع . ولتوضيح ذلك بالإشارة للتحليل متعدد المتغيرات يقول هاس . وكاريل :

« إن الحقيقة ليست شيئًا على الأبواب فى انتظار من يأخذها وبدلا من أن نجعل الشعور التخمينى عن ماهية الحقيقة يوجه عملية اختبار التغيرات ، والمؤشرات الخاصة سوف تختار على أساس من الصياغات المفهومة » .

وفى ظل تأثير نظرية النظم العامة بشكل عام ، فإن عددا من المداخل الجديدة فى مجال علم السياسة قد ظهرت وأن أطرا أساسية للتساؤل السياسى - مثل التحليل البنائى الوظيفى وتحليل المدخلات والمخرجات - قد صممت .

وثمة مداخل جديدة مثل مدخل صناعة القرار ، نظرية نقاط الفوز ، وقد حظيت نماذج المجال بمعاملة دقيقة مستمرة من جانب السلوكيين وقد كان هناك قدرا من التأكيد على علم الضبط ونموذج الاتصال ولم يستقر علماء السياسة بعد على ما إذا كانت تلك النماذج يمكن

---

(١) Keey v.o., Politics Parties and Pressures Groups,th (ed), New York, Crowell, 1964.Text of Footnote

أن توصف بأنها نماذج أو خطط مفهومية أو مداخل أو نظريات ، ولكن هناك اجماع تام على الرأى الذى يقول بأن هذه الأمثلة كنظريات لم تتخطى مرحلة البدائية بعد .

وتلك الجهود من جانب علماء السياسة السلوكيين لبناء أطر للفهم والاستيعاب يشوبها القصور الواضح كنظرية فهى تهتم فقط بالسلوك الفردى أو العمل بمجموعات صغيرة متقابلة . وهم بطبيعتهم يركزون على السلوك الفردى والجماعى بدرجة معينة ولكن تركيزهم على المؤسسات يقل كثيرًا .

ويتحدد ذلك مرة أخرى بحقيقة أن النظريات السلوكية فى علم السياسة قد تأثرت بالعلوم الاجتماعية بدرجة كبيرة مثل علم النفس وعلم الاجتماع التى تتناول المجموعات الصغيرة المتقابلة .

ففى كل من المواقف التجريبية والطبيعية يتعامل علماء النفس الاجتماعيون على مجموعات متقابلة مثل الأسرة والنادى والفصل أو ببيئة الحى وهى مجموعات تفى بمتطلبات العمل العلمى أكثر من التكوينات الشاملة .

إن قدرا معينا من النظرية يرتبط بدراسة القيادة بشكل واضح وينبع من تطور تحركات الجماعة التى تتداخل فى مجالات علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأجناس (الأنثروبولوجى) ولكن الاهتمام الأساسى بتحركات الجماعة يعتبر أصغر حجمًا مما لدى علماء النفس وأقل فى دراسة مؤسساته .

وإن أعظم إنجاز تجريبى فى هذه المجالات كما أوضح ديفيد ترومان هو المدينة الصغيرة أو الجماعة .

كذلك فإن صياغة النظرية أو الحركة الشاملة ليس بالهدف أو بنتائج الجهد للعلماء السياسيين . وإن جزءا من البحث السلوكى فى علم السياسة الذى قام به علماء الاجتماع أو علماء الأجناس والمهتمين بالتاريخ أو الفلسفة ، يهتم – أى البحث السلوكى – بالتفكير فى أحوال المجتمع على طريقة ماكس فيبر وأن التطورات فى مجال العلوم السياسية تعتبر أكثر ثورية فى مجال الأساليب أكثر منها فى المجال النظرى . ففى مجال النظرية ، فقد تركز أكبر أثر على دراسة سلوك التصويت الانتخابى وهو أقل العناصر أهمية فى العملية السياسية .

ويقول ترومان : « إن النظرية التى ظهرت فى هذا المجال ، ومن خلال أسلوب تحليل العينات تعتبر نظرية اجتماعية للاختيار الانتخابى وليس بها أى اقتراحات ذات مضامين بالنسبة لجوانب أخرى للعملية الانتخابية أو السياسية .

وقد سهلت عملية البحث التجريبى خلال تلك الفترة بفضل إنشاء عدد كبير من مراكز تجميع وتحليل البيانات فى الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الأخرى .

ولقد كانت الأمم المتحدة رائدة فى انشاء برامج للجمع المنظم ومقارنة البيانات الكمية ذات

الاهتمام السياسى أو الاجتماعى .. وبينما زادت البيانات الإحصائية التى تسجلها الدول المختلفة للأمم المتحدة عشر مرات ما بين عامى ١٩٥٠ ، ١٩٦٠ فإن نوعية تلك البيانات أيضًا تحسنت بشكل ملحوظ بسبب تبنى معايير متشابهة أكبر للتسجيل تدريب بعض الموظفين على الإحصاء بمساعدة الأمم المتحدة فى بلاد عديدة .

ولقد أسهمت المؤسسات والأفراد كثيرا فى إثراء عملية جمع البيانات وتطوير الأساليب المنتقاه لمعالجة المعلومات ، وتخزين المعلومات واستردادها .

كما أدت زيادة التسهيلات فى جمع وتحليل البيانات الكمية الاجتماعية والسياسية إلى ظهور مسح سياسى شامل أعده أرثر بانكس وروبرت تيكستو[1] Banks & Robert Texto وكذلك الكتيب الدولى للمؤشرات السياسية والاجتماعية الذى أعده بروس رويسيت وزملاء Brucce Russett وكذلك استخدام البيانات الكمية فى البحث الدولى الشامل الذى أصدره ريتشارد ل . ميريت وستين روكان Richard L. Merritt And Stein Rokhan ولقد كان مركز روديرليموت للرأى العام يحتفظ بحوالى عشرة ملايين بطاقة مثقبة لقياس الرأى العام مرسلة بواسطة سبعين مؤسسة فى حوالى أربعين دولة ، ولقد كان ذلك فى أواخر الستينات . كذلك قام معهد البحوث الاجتماعية بجامعة ميتشجان بالتعاون مع اتحاد خريجى الجامعة الذى يضم أكثر من مائة خريج من خريجى أقسام السياسة بضم عدة ملايين من بطاقات البيانات بتسهيلات كبيرة فى تفسيرها وتحليلها .

وبالمثل تم تطوير مراكز مشابهة فى جامعات أخرى وخاصة فى جامعة بيركلى وشيكاغو وشمال كارولينا .

وأخيرا فهناك برنامج البيانات السياسية بجامعة يل التخصصى فى أساليب تحليل البيانات وتفسيرها وتطبيقها والذى يميل بطبيعته كمعمل أكثر منه كأرشيف حيث يقدم تسهيلات كبيرة فى معالجة واستغلال البيانات .

ولقد بدأت حركة البيانات كما يطلقون عليها فى الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بمساعدة اليونسكو ومجلس العلوم الاجتماعية الدولى ومراكز البيانات السياسية والاجتماعية العديدة التى أنشئت فى المراكز التعليمية المتعددة فى أوربا وأمريكا .

وقد أصبحت الآن حركة قوية وتقوم بتسهيل البحث التجريبى بدرجة واضحة فى مجال علم السياسة[2].

---

(١) Banks Arthur and Textor Robert. Across Policy survey. Cambridge. Mass., M.I.I. Press. 1963.

(٢) حيث بدأ علماء السياسة فى استخدام أساليب سلوكية من ثنايا الإحصاءات والدراسات الكمية حول الانتخابات والتصويت ومسوح الرأى العام وأمكن للسلوكيين تحقيق اسهامات ملحوظة فى علم السياسة ؛ ولعل أوضح مثال على ذلك ما أسفرت عنه الانتخابات الأمريكية الأخيرة . « الباحث » .

محددات علم السياسة السلوكى :

يمكن أن يميز المدخل السلوكى للعلوم السياسية باختصار عن المدخل التقليدى من جهة طبيعة المدخل ، أهدافهما ، وسائلهما ، وأطرهما المفهومية المرجعية وفقا للمحددات الآتية :

أولا : هناك استخدام متزايد لأساليب التجريبية للاستفسار (الاستطلاع) ويعير التحليل السياسى السلوكى على استخدام « الوسائل العلمية » ، وعلى عمل بيانات دقيقة عن الظواهر السياسية ، وعلى البحث التراكمى ، وعلى التعميمات الواسعة التى قد تؤدى إلى نظرية متوسطة المدى بل ونظرية شاملة ، والاعتماد على موضوعية الباحث .

ثانيا : هناك علوم اجتماعية أخرى مثل علم الاجتماع أو علوم طبيعية مثل الفيزياء والكيمياء كانت تستخدم أساليب علمية منذ فترة طويلة ، مما وفر لعلم السياسة مادة مصدرية لتشكيل نفسه بنفس النمط . وتهدف الأساليب العلمية التى يستخدمونها الآن إلى تحديد المشكلة واكتشاف العلاقات المتداخلة بين العوامل المختلفة ، وجمع البيانات التى قد تنطبق على مجموعة مماثلة من العوامل الموجودة فى مكان آخر .

ويتركز التأكيد باستمرار على الخبرة الفعلية أو الملاحظة ، وتفضل البيانات التى تجمع عن طريق حواس الفرد وليس من خلال مبادىء أخرى ، أو المنطق الاستنباطى .

ثالثا : مهما بنى من فروض على أساس من الدراسة الموضوعية للظواهر الملحوظة بمساعدة الوسائل التجريبية المتاحة أما إثبات صحتها أو عدم إثباتها عن طريق البحث الذى يتم تنفيذه على أسس متشابهة وبوسائل متشابهة وبنفس الباحث أو باحثين آخرين فى نفس المجال . ويؤدى ذلك إلى ما يطلق عليه التراكمية . وعند التأكد من صحة فرض نتج من بحث سابق عن طريق البحث المتواصل فعندئذ يستطيع هذا الفرض أن يساعد الباحث إن يكتشف انتظاما أو نمطا فى طبيعة الظاهرة السياسية مما يؤدى إلى بناء نظرية .

رابعا : إذا كانت طبيعة تحليل السلوك السياسى مختلفة عن طبيعة المدخل التقليدى فإن هناك تفاوتا كبيرا فى أهدافهما أيضًا . ذلك أن هدف علم السلوك السياسى (أو علم السياسة السلوكى) كما حدده السلوكيون ليس تحقيق الحياة الطيبة ، ولكن فهم ووصف الظواهر السياسية بطريقة واقعية ، وكما يمكن القول ، التنبؤ بالأشياء (وإذا أمكن التحكم فيها) ولكن الهدف الأساسى يحدد بأنه « المعرفة من أجل المعرفة » والتى تعنى بلغة علم السياسية المعاصر « بناء النظرية » .

خامسا : إن بناء النظرية ليس بالمعنى الذى يشتمل على جدول حول الحالة المثلى ولكن بالمعنى الذى يمكن من تفسير الظاهرة السياسية عن طريق استراتيجيات البحث مثل تحليل النظم والأساليب الميدانية .

وقد عرفت النظرية بهذا المعنى بأنها كم من المعرفة تنظم بطريقة تجعلها تضم الحقائق مع بعضها وتضفى عليها معنى وأهمية ليست واضحة بشكل آخر » .

وبمعنى آخر فإنها تعرف وتصف بين الحقائق المكتشفة عن طريق الملاحظة .

ومحاولة بناء النظرية تساعد على تطوير خطة تفسير عامة بدرجة تكفى لتعليل وتفسير أعداد ضخمة من الظواهر المتشابهة ، وقد تؤدى إلى القدرة على التنبؤ (الذى يصبح ممكنا على أسس خطة تفسير جيدة ، على الرغم من أن أفضل التفسيرات قد لا تؤدى للتنبؤ بالضرورة ، وقد يمكن التنبؤ حتى رغم عدم وجود تفسير حقيقى مقنع) أو اكتشاف « العوامل المسببة » - وهى ليست بالمهمة السهلة ، وإنشاء فرض ، وهى خطة أولى حرجة فى تقدم المعرفة .

سادسا : يختلف علم السياسة السلوكى عن المدخل التقليدى فى الوسائل كذلك ، ويوجه قدر كبير من الاهتمام لجمع وتحليل البيانات التى يمكن استخدامها كدليل لتأييد الفرض أو رفضه ، الفرض الذى يوصف بأنه « بيان يحدد علاقة بين عاملين أو أكثر » وينتظر أن يبدأ الإنسان بجمع البيانات ثم تحليلها ثم عرضها بطريقة منظمة جيدًا . يجب أن تكون البيانات المجمعة متعلقة بموضوع الظاهرة موضوع البحث ويجب أن تحلل بوسائل بالغة الدقة مثل التحليل التسجيلى ، المشاهدة ، المقابلة ، التجريب . ويجب استخلاص النتائج بعناية وفهم وموضوعية . وتحليل البيانات الذى كان يعتمد فى بعض الأوقات على اساليب بسيطة مثل الجداول التكرارية وجداول التوزيع والنسب المئوية ويتم تنفيذ ذلك الآن بأساليب عالية التعقيد مثل التحليل المقياسى ، المقارنة الازدواجية ، التحليل العاملى ، والأنماط السببية .

وتعتمد صحة النتائج المستخلصة ليس فقط على النوع الصحيح للبيانات المجمعة ولكن أيضًا على الوسائل الصحيحة التى تستخدم فى تحليلها . ويتم عمل ذلك فى السنوات الأخيرة عن طريق معدات ميكانيكية والكترونية غاية فى التعقيد ، ساعدت على تحليل البيانات بطريقة دقيقة عالية الكفاءة .

ولكن أحسن العقول الالكترونية قد لا يكون قادرا أن يحتل مكان المهارة البشرية التى تعتبر عاملا هاما فى الوصول إلى نتائج صحيحة . فالحكم المتواضع أو التفسير الخاطىء من جانب الباحث يمكن أن يدمر المعنى الكلى للاستطلاع على الرغم أنه من المسلم به أنه ينبغى عليه أن يكون موضوعيا فى تفسيره للحقائق والأرقام .

وفى الفقرات السابقة محاولة لمناقشة طبيعية وأهداف ووسائل الاستطلاع السياسى السلوكى . وبتحليل الوسائل فقد أكدنا على أهمية طبيعة البيانات المجمعة ، ووسائل جمع ومعالجة تلك البيانات ، والأساليب التى تحلل بها إلا أن هناك مشكلة تواجهنا فى هذا المجال وهى كيف يمكن توصيل النتائج المتحصل عليها من هذا الاستبيان فى شكل نمط شامل يمكن أن يساعدنا فى فهم السياسة ؟

سابعا : إن الهدف الأكبر لعلم السياسة السلوكى ، كما يخبرنا ايستون هو خلق نظرية انتظامية – ولكى تكون أكثر دقة ، نظرية سببية « ليست نظرية قيمية » فالنظرية السببية تبحث لإظهار العلاقة بين الحقائق السياسية ، وتعتبر دالة على تطور العلم بل ومطلبا ضروريا لتحقيق المعرفة الموثوقة .

وهذا النوع من الجهد الذى يبذل لاكتشاف نظرية سببية يكون مألوفًا فى العلوم الطبيعية ، والمعرفة النظرية كما فى العلوم الطبيعية ، يجب أن تكون تراكمية بمعنى أن النظرية التى يطورها أحد العلماء على اساس من تجاربه تكون متاحة للبحث بواسطة عالم آخر .

وإذا أكدت تجارب هذا الباحث الآخر تلك النظرية فإنها تصبح أكثر صلاحية .

وسواء أمكن تنظيم الظواهر السياسية بحيث تنطوى تحت نظرية عامة ، فإن هذا الأمر لا يوافق عليه التقليديون ، ولكن السلوكى يعتقد أنه إذا حدثت الظاهرة موضوع البحث بشكل مشابه تمامًا مرارا حتى لو لم يكن التشابه تمامًا ، فإنها يمكن أن تشكل أساسا لحالات شبيهة بالقوانين يمكن أن تصبح أساسا لتطوير نظرية سببية .

ثامنا : إن النظرية كما يقول ناروود هانسون Narwood Hansonوهو أحد فلاسفة العلوم الطبيعية ، يجب أن تكون قادرة على أن تقدم « تفسيرا مفهوميا ملموسا ومنظما للبيانات المشاهدة » . وتتركز قيمة ذلك النمط فى قدرته على توحيد الظواهر التى بدون النظرية تكون إما مثيرة للدهشة أو شاذة أو تترك كليا دون أن تلحظ(١) وعلى هذا فالنظرية ليست ببساطة وصفا ولكنها أداة تحليلية لمجموعة من المبادىء أو نمط مفهومى مما يساعد على الأقل فى تفسير الظاهرة والتنبؤ بها .

ويدرك السلوكيون حقيقة أنه ليس من السهل إنشاء نظرية شاملة وهم على استعداد أن يبقوا فترة من الوقت حتى أنه فى بناء النظرية ستظهر فترات خالية من النظرية .

وإذا استطاع أى منهم أن يميز القوانين سواء فى سلوك الأفراد (على سبيل المثال عند التصويت لصالح الأحزاب السياسية) أو فى سلوك مجموعات من الأفراد (الأحزاب السياسية) أو فى سلوك المؤسسات التى تتكون من أفراد (مثل الحكومات) فإنه يمكن خلق نماذج لهذا السلوك أو نماذج لهذا النشاط .

وقد يحتمل أن يسهل عدد من هذه الأنماط عملية صياغة نظرية بينما يمكن أن تكون هناك نظرية واحدة يمكن أن تفسر السلوك السياسى ، فيمكن أن توجد أنماط بديلة للسلوك السياسى للأفراد والجماعات والمؤسسات حسب المشكلة المعنية التى نهتم بدراستها .

وهذا التنوع فى الأنماط يمكن أن يساعدنا على تطوير أساس تجريبى للنظرية .

---

(١) Varma, op. cit, pp. 49-53.

فالنظرية السياسية الحديثة قد طورت عددا كبيرا من تلك المفاهيم بمساعدتها تصاغ عدة أنماط ، ويتمنى السلوكيون أن ينجحوا فى بناء نظرية للعلم السياسى .

تاسعا : ثمة اصطلاح آخر يستخدم في السلوك السياسى يمكن أن يعتبر مزيجا من المفاهيم والأنماط التى تؤدى إلى صياغة النظرية ألا وهو الإطار المفهومى المرجعى . فالمشكلة أمام الباحث كما توضح بالفعل ، هى مشكلة تأصيل نتائج الاستبيان السلوكى إلى نمط شامل . ويمكن محاولة ذلك من خلال تطوير اطار مفهومى . قد يوفر أساسا لإضفاء معان على نتائج الظواهر .

فالتحليل المنظم ، التحليل البنائى الوظيفى ، المدخل الجمعى ؛ تحليل الدور يمثل تلك الأنماط المفهومية المرجعية ، لكل منها أسلوبه الخاص فى تنظيم الحقيقة السياسية وتأصيل البحث فى مبدأ شامل هام عن طبيعة ومعنى السياسة .

والإطار المفهومى المرجعى يصلح كمرشد للباحث يبين له ما يمكن أن يبحث عنه فى بحثه ويزوده بخطة مجردة يستطيع من خلالها أن يضبط نتائجة ويؤصلها فى تفسير مفهوم للظواهر السياسية .

ومرة أخرى فإن الإطار المفهومى المرجعى يمكن أن يكون على نوعين :

(أ) النوع الذى يركز على الوحدات السياسية .

(ب) النوع الذى يركز على العمليات السياسية .

ويمكن أن تكون نقاط التركيز هى الفرد ، المجتمع ، ويستطيع الفرد أن يركز على خواص وسلوك وتنظيم تلك الوحدات وتتركز بؤرة العملية من جهة أخرى فى دراسة تتابع الأحداث ومحاولة تفسير الظاهرة على أساس هذا التتابع .

وباختصار فإنه بينما يهتم النمط السابق بعمل الوحدات ، فإن النمط الأخير يتناول تتابع الأحداث .

ولقد أكدت الدراسات التى تبنى على اعتبار الفرد كوحدة تركيز إما على « مفهوم الدور » أو مفهوم « التطبيع الاجتماعى » .

ويتحدد قدر كبير من عمل الفرد كما أوضح Eulau[1] يوضع الفرد فى الوسط الاجتماعى والدور الذى يتحتم عليه القيام به .

---

(١) راجع :

Eulau, Heinz: Rlitics Self and Society. A theme and Variations. Harvard Univ. Press 1986 p. 23.

فللأفراد أدوار مختلفة فى الأوساط المختلفة ويمكن أن تفسر هذا الاختلاف ذلك التنوع فى سلوكهم السياسى .

ويجب تفسير الاتجاه الشخصى والأفكار والسلوك الشخصى من وجهة نظر دور الفرد .

ولقد حاول بعض الكتاب تطبيق « تحليل الدور » على دراسة سلوك الجماعات والمجتمعات .

عاشرا : الأطر المرجعية :

يمكن التعبير عن التركيز على الوحدة فى دراسة « التطبيع الاجتماعى » للفرد . ويتحدد سلوك الفرد فى المجتمع عن طريق التطبيع الاجتماعى الذى تصبغ فيه القيم والمعتقدات والمعابر بالصبغة الذاتية .

وهناك عدة ظروف مسئولة عن تحقيق التطبيع الاجتماعى ويستطيع الفرد أن يفهم السياسة أو الأنشطة السياسية بالتركيز إما على دور الفرد أو عملية تطبيعه الاجتماعية أو بدمج الوسيلتين .

وثمة وحدة أخرى للتركيز يمكن أن تكون جماعية معينة ، وقد تكون جماعة ذات مصلحة أو جماعة ضغط .

ولقد كان دور الجماعات فى السياسة موضوعا شائعا للدراسة لعلماء السياسة فى الأربعينات والخمسينات ، وتركز قدر كبير من التأكيد على دراسة السلوك المتبادل فى الأوساط الجماعية ولكن ذلك لا يبدو وحده تحليل مرضية ، وتحول التركيز بسرعة إلى دراسة المجتمعات كلية .

ولقد أدى ذلك إلى تطوير ما يعرف بمبدأ الأنظمة ، والمفهوم الذى بدأ بنظرية الأنظمة العامة التى تطورت فى العشرينات بواسطة مجموعة من العلماء الطبيعيين سرعان ما تبناه علماء الأنثروبولوجيا ، ثم علماء الاجتماع وأخيرا استخدم على نطاق واسع تماما بواسطة لفيف من العلماء المتعددى التخصصات multidiscpline.

ولقد كان ايستون من أوائل علماء السياسة الذين طوروا اطارا مرجعيا نظاميا لعلم السياسة ، وقد اعتبر النظام السياسى كوحدة تنظم ذاتها ومكتفية بذاتها تحدث داخلها جميع الأنشطة السياسية للمجتمع .

كما حاول ايستون أن يطور مفهوما للنظام السياسى غلفه بقدرة معينة على البقاء عن طريق ضبطه على الطلب الواقع عليه من جانب المجتمع وعن طريق عمليات المراجعة التى تقوى هياكل المساندة للنظام السياسى .

وقد تم استخدام مختلف للمجتمع كوحدة تحليل بواسطة مجموعة أخرى من علماء السياسة حاولوا تفسير السياسة على أساس أوساط أبرزتها القيم السياسية الملائمة فى الاتجاهات والمعتقدات .

ولقد كان ذلك مدخلا للثقافة السياسية الذى حاول تفسير الفرق السياسى بين المجتمعات وكذلك الفرق السياسى داخل المجتمعات على أساس التباين فى ثقافاتها السياسية .

ويمكن أن نذكر هنا أن مفهوم الثقافة السياسية هو مفهوم اجتماعى بينما يعتبر مبدأ التطبيع الاجتماعى مفهوما متعلقا بعلم النفس .

فالأفراد الذين يمرون بعملية التطبيع الاجتماعى يفرض عليهم من خلال الملابسات والظروف المختلفة ؛ شكلا للثقافة السياسية للمجتمع بطريقة خاصة .

إن الأطر المرجعية التي تركز على الوحدة السياسية كبؤرة للتحليل غالبا ما تتميز بكونها ساكنة بطبيعتها ، بمعنى أنها تفكر فى الظاهرة السياسية فى وقت معين .

وبذا يتأكد أنها غير قادرة على تفسير سبب وأثر العلاقات بين الظواهر السياسية .

وقد أدى ذلك إلى تطوير مئات الأطر المفهومية المرجعية الأخرى التى تدعى استخدام العملية السياسية كبؤرة للتحليل ، وكل منها يؤكد أنه قد اهتم بملاحظة التحركات السياسية .

التقويم :

كان هذا المدخل هو الذى أدى إلى تطوير الاطر المفهومية المرجعية مثل نمط الاتصالات الذى طوره كارل دوتش KarlW. Deutsch وفكرة القوة التى طورها روبرت داهل ، ومدخل اتخاذ القرار الذى ارتبط باسم سايندر Snyder المدخل التطريرى والتحليل والوظيفى الهيكلى .

ويؤكد نموذج الاتصالات على أهمية دراسة ما يسمى بحجم وتدفق المعلومات ومحتوى الرسائل ، ووسيلة الاتصال واستجابات بنية المعلومات ولقد حاول داهل[1] أن يميز بين السلطة والتأثير ، ولكن تحليله يوضح أن السلطة التى تعامل كمبدأ تنظيمى فى السياسة يحتمل أن يظل إطار عملها مضللا للدراسة السليمة .

ولقد حاول سنايدر وزملاءه الذين اهتمو بدراسة قرار حكومة الولايات المتحدة الأمريكية . بالدخول فى حرب كوريا عام ١٩٥٠ أن يخلصوا إلى أهمية قصوى على تتابع الأحداث المحيطة بالقرار فى خلق أفضل للبنية السياسية والسلوك الفردى .

ويؤكد نموذج الموند السابق عن التطور السياسى والذى تعدل بمعاونة بول ؛ على أهمية دراسة التغيير السياسى خاصة فى المجتمعات المتقدمة بواسطة مدخل سياسى مقارن ويحاول أن يفسر التطور الاجتماعى والسياسى على أساس الجوانب الفريدة للبيئة الثقافية للمجتمع .

ويرتبط التحليل فى الهيكل الوظيفى ارتباطا وثيقا بتنظيم التحليل . ولكن الفرق الأساسى

---

(١) راجع :

Dahl, Robert. "The Behahavioral Approuch in Political Science, in. David Eastor. "The Current Meaning of Behavioralism in Politicai Science" op, cit, pp. 112-116.

يتمثل فى أنه بينما ينصب تأكيد الأنظمة على كيفية تصرف النظام السياسى تجاه التحديات المنبعثة من البيئة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والمحافظة على كيانه رغم كل هذه التحديات ، فإن التحليل الوظيفى الهيكلى يركز على دراسة الطرق التى تؤدى بها الوظائف المختلفة فى الأنظمة المختلفة بواسطة البنى المختلفة .

وتتمثل قيمة الاستبيان فى تحديد تلك البنى المختلفة ووظائفها وتفسير لماذا هى مختلفة ولا يعتبر أى من هذه الأطر المفهومية المرجعية بأنه قريب من وضع النظرية ، ولكنها أدوات نافعة وتنظيم للبيانات وتأصيل للظواهر السياسية بطريقة متماسكة ومنظمة .

وقد توصل العديد من الباحثين[1] لنتائج هامة على صعيد مزايا المدخل السلوكى تجاه علم السياسة فى أن هذا المدخل أو التوجه قد أصبح مندمجا فى صلب علم السياسة رغم أن اقتحام الثورة السلوكية لعالم السياسة جاء متأخرا ؛ وأنه بدون هذه الثورة كان علم السياسة سيلاقى حالة بين الاغتراب عن العلوم الاجتماعية الأخرى ؛ فالثورة السلوكية جاءت لتكرس فكرة الوحدة بين العلوم الاجتماعية وابراز الدور المتعاظم الأهمية للباحثين متعددى التخصصات Multi discplines من ثنايا مفهوم التكامل المنهجى ؛ ومع ذلك فقد وجه العلماء التقليديون الكثير من النقد الذى تراوح فى مجمله بين علم السياسة الامبيريقى وعلم السياسة القيمى ، ووصف روبرت Robert Dahl ذلك بالتشرذم داخل علم السياسة ذاته وناقش علاقات كل من الفيلسوف السياسى ، والمؤرخ السياسى ، والباحث العلمى ، واستخدام الأدوات العلمية فى البحث السياسى وخبرة علماء السياسة تجاه دراسات « السلوك » التصويتى خاصة .

أما دافيد ايستون David Easton فقد استمر فى مناقشة حركة السلوكية المتأخرة (أو ما بعد السلوكية) باعتبارها صورة جديدة لعلم السياسة من حيث طابعه وموضوعاته وقضايا البحث فيه والربط بين البحوث السياسية والغايات الإنسانية والحاجات الأساسية للإنسان وأهمية السياسة في الماضى ، وأحداث التاريخ ، قديمة ووسيطة وحديثة ؛ والتجارب والخبرات ؛ ويشير داهل إلى أهمية قضية « التغيير السياسى » حيث جذبت كل من عالم السياسة السلوكى ؛ وعالم السياسة المؤرخ ، وأنه من الأفضل أن يصبح المؤرخ السياسى منظرا ؛ وأن يألف المؤرخ المشكلات والمناهج فى العلوم الاجتماعية ، ويجب أن تتوقع استراتيجيات البحث السياسى الحوادث والوقائع مسبقا وإلى جانب تحليلها للماضى بأحداثه ووقائعه ، فالبحوث السياسية من هذه الناحية تتطلع أيضا لآفاق المستقبل من ثنايا ردود الأفعال المتوقعة مسبقا بمعنى ضرورة الجمع بين الإحساس بالتاريخ ؛ قديمة ووسيطة وحديثة ؛ ورؤية المستقبل وتوقعاته .

ويهدف المضمون الأساسى للسلوكية المتأخرة – أو ما بعد السلوكية إلى التعامل مع

---

(١) راجع على سبيل المثال : دكتور محمد طه بدوى ، النظرية السياسية ، مرجع سابق . دكتور عبد الغفار رشاد ، قضايا نظرية فى السياسة المقارنة ، مرجع سابق ص‌ص٢٠٤–٢١٠ .

المشكلات الراهنة والملحة لطبيعة العصر ، بالإضافة الى أهمية ممارسة التأمل والتخيل والحدس وهى جوانب يهملها المنهج الكمى . فالصورة الجديدة لعلم السياسة فيما بعد السلوكية تجمع مكونات سلوكية امبيريقية ، وتقليدية تاريخية ، وتأملية مستقبلية .

الباب الثالث

علم السياسة السلوكى بين نظريتى الصفوة والجماعة

الفصل الأول

الصفوة السياسية والسلطة

- نظرية الصفوة - أصول النظرية - نظرية الصفوة طبقا لآراء باريتو ، موسكا ، ميشلز - الديمقراطية ونظرية الصفوة - نقد الاشتراكية بين ريمون آرون وماكس فيبر وآخرون - صفوة السلطة والطبقة الحاكمة - المثقفون والتنمية السياسية .

الفصل الأول

(الصفوة السياسية والسلطة)

نظرية الصفوة :

أصبحت نظرية الصفوة وعلاقتها بالسلطة من النظريات الشائعة جدا فى والولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول أوربا الغربية فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية . وكل منها تدعى أنها نظرية سياسية ناضجة مستقلة بذاتها .

ولقد بنيت نظرية الصفوة على فكرة أن كل مجتمع يتكون من قسمين رئيسيين :

(أ) الصفوة المختارة وهى قلة قادرة ومن ثم لها الحق فى القيادة العليا .

(ب) القاعدة العريضة من السكان المقدر لهم أن يكونوا محكومين .

ولقد استخدمت كلمة « صفوة » منذ القرن السابع عشر وإن كان أول استخدام لها كان يعنى وصف السلع ذات النوعية الممتازة ، وما لبث هذا الاستخدام أن اتسع للإشارة إلى الجماعات الاجتماعية العليا كبعض الوحدات العسكرية أو المراتب العليا من النبالة[1] .

وطبقا لقاموس أكسفورد فان أقدم استخدام معروف فى اللغة الإنجليزية لكلمة صفوة كان فى عام ١٨٢٣ حينما كانت تنطبق بالفعل على الجماعات الاجتماعية . إلا أن المصطلح

---

(١) راجع Dictionnaire de Trévous حيث يذكر فى معنى كلمة الصفوة : « أفضل ما يوجد من كل نوع من أنواع السلع . ثم أضيف إليه العبارة التالية : « هذا المصطلح تحول من مجال الاستخدام التجارى إلى استخدامات أخرى » .

وراجع : Edmond Huguet, Dictionnaire de la langue franaise du Seizime sicle

وللتعرف أيضا على الاستخدامات المبكرة لكلمة صفوة راجع :

Hans P. Dreitzel, Elitebegriff und Sozialstrucktur; H.D. Lasswell et al; The comparative study of Elities.

بينما البدايات الحقيقية لفكرة حكم المجتمع بواسطة جماعة من الأفراد النابهين فتعود إلى أعمال أفلاطون ، كما تعود إلى المذهب الذى تقوم عليه طائفة البراهما ، وهو مذهب ساد الهند فى فترة مبكرة من تاريخها وهناك مذاهب دينية كثيرة عبرت عن فكرة الصفوة .

ويرجع التصور الفكرى الحديث سياسيا واجتماعيا الخاص بالصفوة إلى دفاع سان سيمون عن حكم العلماء ورجال رل الصناعة . وإن كانت فكرة الصفوة لدى سان سيمون اتخذت معانى مختلفة وتضمنت مفاهيم متنوعة . وراجع فى الصفوة كدراسة فى علم الاجتماع السياسى :

بوتومور . الصفوة والمجتمع ، ترجمة د . محمد الجوهرى وآخرون ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨ ، ص ٢٥ وما بعدها .

لم يستخدم استخداما واسعا فى الكتابات الاجتماعية والسياسية الأوربية بوجه عام إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وفى ثلاثينات القرن العشرين فى بريطانيا وأمريكا بوجه خاص ، حينما انتشر المصطلح وساد استخدامه فى النظريات السوسيولوجية للصفوة وعلى الأخص تلك التى تضمنتها كتابات فلفريد وباريتو .

ويبدأ باريتو بتعريف عام للصفوة قائلا : « دعنا نفترض أن كل فرد فى أى مجال من مجالات النشاط الإنسانى لديه دليل أو مؤشر يشير إلى قدراته وإن هذه العملية تماثل تماما العملية التى بمقتضاها تتوزع الدرجات فى الموضوعات المختلفة للامتحانات فى مدرسة معينة .

بهذه الطريقة يمكننا أن نفترض أن أنجح المحامين مثلا سيحصل على رقم (١٠) وإن الشخص الذى لم يستطع الحصول على مكانه عميل سيحصل على رقم (١) بحيث يتم الاحتفاظ (بالصفر) للشخص المعنوى أو المختل عقليا . وطبقا لهذا التصور فإن الشخص الذى يتمكن من جمع ملايين الجنيهات - مثلا - سيحصل على رقم (١٠) بغض لنظر عن الطريقة التى جمع بها هذا المال ، وأن الشخص الذى يكسب فقط آلاف الجنيهات سيحصل على رقم (٦) وأن الشخص الذى يتمكن بصعوبة من مواجهة أعباء الحياة سيحصل على رقم (١) . وسيكون الصفر فى هذه الحالة إشارة للشخص الذى فشل بالفعل فى مواجهة ظروف الحياة ... وهذا المثل يمكن تطبيقه - بالطبع - على كل مجالات النشاط الانسانى ... . وبذلك يمكننا أن نتصور طبقة من الناس لديها أعلى المؤشرات المتعلقة بنشاطات ، وأن هذه الطبقة يمكن أن نطلق عليها الصفوة »[١] .

ويتضح أن المفهوم لدى باريتو يؤكد تمايز الأفراد المنتمين إلى أى مجال من مجالات الحياة الاجتماعية وأن ذلك يمثل نقطة البداية لتعريف (الصفوة الحاكمة) .

والواقع أن دراسة التوازن الاجتماعى تمكن من تقسيم الطبقة الحاكمة وأعلاها منزلة هى الحكومة المثالية ، ولكن ، حيث أن ذلك لا يمكن تحقيقه ، فيمكننا القول بوجود مستويين أساسيين للصفوة :

(أ) صفوة حاكمة تتألف من الذين ينجزون دورا ملحوظا سواء كان هذا الدور مباشرا أو غير مباشر فى شئون الحكومة .

(ب) صفوة غير حاكمة وهى تلك التى تتكون من باقى أفراد الطبقة ، والتى تتفرع هى الأخرى على النحو الآتى :

---

(١) Pareto, V. The Mind and Society, III, pp. 1422 - 1423.

١ - مستوى أدنى (اللاصفوة) ويشمل أولئك الذين لا يمارسون أى تأثير ممكن على الحكومة .

٢ - مستوى أعلى (صفوة) وينقسم إلى مستويين فرعين :

(أ) صفوة حاكمة . (ب) صفوة غير حاكمة .

وبالرغم من أن هناك قدرا ملحوظا من الاتفاق بين علماء الصفوة حول عدة أمور إلا أن هناك فروقا ملحوظة بينهم بشأن خصائص الصفوة وفرصها فى الحصول على القوة .

وتأسيسا على ذلك يمكن التمييز بين أربعة اتجاهات أساسية فى دراسة الصفوة :

الأول : هو الاتجاه التنظيمى الذى يمثله موسكا Mosca وتلميذه روبرت ميشلز Michels والثانى هو الاتجاه السيكولوجى وتمثله كتابات باريتو Pareto والثالث هو الاتجاه الاقتصادى ويمثله بيرنهام Burnham بينما الاتجاه الرابع والأخير فهو الاتجاه النظامى ويمثله س . رايت ميلز[1] . Mills

وبالرغم من أن نظرية الصفوة قد بدأت فى بلدان وسط وغرب أوربا كنقد للديمقراطية والاشتراكية فقد قام عدد من الكتاب فى الولايات المتحدة بتركيبها تماما لكى تشرح العمليات السياسية كما هى موجودة فى بلدهم أو لنفس ذلك الموضوع فى أى بلد ديمقراطى آخر . وقد فسرت الجذور العميقة للنظرية كما هى ثابتة فى أصولها الأوروبية بالقول بأنه من بين هؤلاء الذين شكلوا الطبقة الحاكمة بالإضافة للنخبة أو الصفوة الحاكمة فإن هناك طائفة مضادة يمكن أن تكون قد وصلت للسلطة بواسطة الجماهير ، بفضل لامبالاتهم بلعبة السياسة[2] .

وعندما يتم التسليم بأن الصفوة لا يتحتم أن تكون جماعة متماسكة ولكن يمكن أن تتكون من عدد من الجماعات الاجتماعية ، فإن المنادين بنظرية الجماعة قد أكدوا أنه ينبغى أن يقبل الشخص وضع أن كل مجتمع يشمل بداخله عددًا كبيرًا من الجماعات التى تظل داخلة فى صراع مستمر على السلطة والسيطرة بعضها على بعض . وهذه الجماعات تكون داخلة فى عملية موازنة وتحديد لبعضها البعض مما يؤدى إلى حفظ الانسجام والتوازن بين المصالح المختلفة فى المجتمع .

---

(١) Bottonore, Elite and Society, Perguin Books, 1964, pp. 5-7.

(٢) فى الأسس النظرية لدراسات الصفوة راجع :

Dahl, Robert, who Governs Yale University Press, 1963.

Burnham, The Machiavellians, London Putnam & Co. 1943.

Meisel, J.H. The Myth of Ruling Class. Gaetano Mosca and the Elite, University of Michigan Press, 1958.

Keller, Suzanne, Beyound the Ruling class: Strategic Elites in Modern Society, Random House, 1963.

وعلى هذا يمكن فهم السياسة على أساس من التفاعل بين الجماعات المختلفة . وقد توضح أن نظرية الجماعة فى السياسة تفسر وظيفة الدولة المجتمع تفسيرا مرضيا[1] ، فالذى يدفع النخبة السياسية أو الجماعات المنتخبة كما توصف لكى تنجز دورًا فعالاً فى السياسة هو كما أوضح أصحاب نظريات السلطة ، الإلحاح الحتمى الذى يصعب كبحه لدى البشر للوصول للسلطة .

ويرى هؤلاء الكتاب أن السياسة هى لعبة السلطة وأن الأفراد مسئولون بدرجة كبيرة على أسلوبهم الخاص فى التطبيع الاجتماعى وغرس القيم ووجود تعبير وصيغة لهذا الانجذاب الملح للسلطة ، فقد تمت محاولة من جانبهم لتحويل الاهتمام عن الصفوة إلى الجماعة للفرد .

وقد توضح أن السياسة كانت عبارة عن دراسة من حصل على أى قدر من السلطة متى وكيف ؟

وإذا ما تعمقنا قليلا فى هذه النظريات نستطيع أن نتبين خلق النظريات الخاصة بالصفوة والجماعة أيضا أن السلطة هى الدافع الأساسى وبدون أساس مفهومى كافى لدراسة السلطة كما أوضح ميهان Meehan فإن نظريتا الصفوة والجماعة سوف تفقدان أهميتهما[2] .

إن الدافع للسلطة هو الذى يدفع الأفراد أو يرغمهم على تكوين جماعات وأن يؤكد ولاءهم من خلال هذه الجماعات .

ويوضح رنزو سيرينو Renzo Sereno أن نظرية الصفوة تنزل بدراسة السياسة إلى مجرد دراسة العلاقة بالسلطة .

ويقول روى س . ماكريدس Roy C. Macrids نفس الشيء عن تحليل الجماعة عندما يصفها بأنها : « شكل فج للتجديد ، ويقول إن المصلحة » هى القوة الدافعة الأساسية وأن كل عمل مبنى على المصالح المشتركة وأن شكل السلطة يكون أساسا شكل المصالح المتضاربة المنظمة فى جماعات «[3] . وإذا برهنت السلطة على أنها مبدأ غير كاف لفهم السياسة فسوف تنهار كل من نظرية الصفوة ونظرية الجماعة فإنها شأن نظرية السلطة كمفسر مقبول للظواهر السياسية ، على الرغم من أنها قد تستمر فى تأدية عرض نافع كتقسيمات وصفية .

---

(١) فى الأدب السياسى لنظرية الجماعة راجع :

Bottonore, Elite and Society, Penguin Books 1964.

Bentley, A.F. The Process of Government, Chicago University, 1988.

Truman David, The Government Process, Political Interest and Public Opinion, New York.

Alfred Knopf, 1951. Latham, Pertram, Group Basis of Politics, Cornell University Press, 1952.

(٢) Mechan, G.J., Contemporary Political Thought, The Dorsey Press, 1967, pp. 101-104.

(٣) Macridis, Roy and Brown Bernard; Comparative Politics: Notes and Readings, Illinois, The Dorsey Tress, Inc., 1964, p. 139.

أصول النظرية :

يمكن تتبع أصول نظرية الصفوة السياسية التى خضعت لمنافسة جادة من جانب العلماء الاجتماعيين فى الولايات المتحدة الأمريكية وغرب أوروبا فى الخمسينات مثل عالم الاقتصاد شوميتر Schumpeter[1] ، وعالم السياسة لاسويل[2] /Lasswell بالإضافة إلى أبرز علماء الاجتماع س . رايت ميلز Wright Mills[3] فى كتابات عدد من المفكرين الأوربيين فى السنوات التى سبقت ظهور الفاشية وخاصة باريتو Pareto، وموسكا[4] ومايكلز[5] وجوس أورتجا جراسف[6] .

ولقد اعتقد باريتو (١٨٤٨ - ١٩٢٣) كما سبق ذكره أن كل مجتمع كانت تحكمه أقلية تمتلك الخواص اللازمة لاكتساب السلطة الاجتماعية والسياسية الكاملة وأن الذين يصلون إلى القمة هم دائما الأفضل وهم ما يعرفون بالصفوة .

وتتكون الصفوة من الأفراد الناجحين الذين يرتفعون للقمة فى كل مهنة فى المجتمع فهناك نخبة المحامين ونخبة الميكانيكيين وحتى نخبة اللصوص من وجهة نظر باريتو.

كما كان باريتو يعتقد أيضا أن الصفوة من كل منهم وطبقات المجتمع عادة تأتى من نفس الطبقة فالأغنياء أذكياء ولهم استعداد للرياضات والمواهب الموسيقية ومميزات خلقية ... الخ .

وهكذا ينقسم المجتمع فى رأى باريتو إلى طبقتين كما سبق الإشارة إليه .

غير أن باريتو طور مفهوم تحول الصفـــوة وقال إن « التاريخ هو مقبرة الأرستقراطيـــات » .

ففى كل مجتمع توجد حركة دائبة للأفراد والطوائف من المستويات العليا إلى الدنيا ومن المستويات الدنيا إلى المستويات العليا مما يؤدى إلى « زيادة ملحوظة فى العناصر المنحلة فى الطبقات والتى لا تزال تتولى لسلطة ، ومن جهة أخرى ، إلى زيادة العناصر ذات الصفات العليا فى الطبقات المحكومة » ويؤدى ذلك إلى التميز المطلق لكل جماعة فى المجتمع . وأن تحلل الجماعة يجعل التوازن الاجتماعى - الذى كان الاهتمام الرئيسى لباريتو - غير مستقر .

وقد كتب باريتو ، فى مناسبات مختلفة ، عن أنواع مختلفة من الدورة السياسية بين

---

(١) Lasswell, Harold Lerner. D. and Rothwell C&É., The Comparative Study of Elites, Hoover Institute Studies Oxford, Basil Blackwell, 1951.

(٢) Schumpeter, J&Á. Imperialism and Social Classes, series B, Elites No. 1, Stanford. 1952.

(٣) Mills, Wright. The Power Elite, New York, Oxford University Press, 1956.

(٤) Mosca, Gaetano, The Rulling Class, New York, McGraw Hill, 1939.

(٥) Michels Roberto, Political, Parties. A Sociological of Modern Democracy, Dower Publications, 1959.Text of Footnote

(٦) Ortega Y. Grassef, The Revolt of Masses New York, Norton, 1932.

الطوائف[1] وبيّن أنواع مختلفة من النخبة الحاكمة نفسها[2] بين النخبة وبقية السكان . وقد تشمل الدورة على :

١ - أفراد من الطبقات الدنيا يدخلون النخبة القائمة .

٢ - أفراد فى الطبقة الدنيا يشكلون وظائف جديدة يدخلون فى صراع على السلطة مع النخبة القائمة . ولكن ما الذى يؤدى إلى تحلل النخبة الحاكمة ، مما يقضى على التوازن الاجتماعى ، ويسبب تحول دوران الطوائف ؟ يجيب باريتو على هذا السؤال على أساس من التغيرات التى تحدث فى الخواص النفسية لأنواع الطوائف المختلفة . وفى هذا لخصوص طور باريتو مفهومه عن التفضلة أو الأثر المتخلف Risidue . وينبع المفهوم من التمييز الذى يتخذه بين التصرفات المنطقية وغير المنطقية للأفراد فى الحياة الاجتماعية . ويعنى بالتصرفات المنطقية تلك الأعمال التى توجه لتحقيق غايات وتستخدم وسائل ملائمة لتحقيق تلك الغايات . ويعنى بالتصرفات غير المنطقية تلك التصرفات التى لا توجه لأى غرض أو توجه لأغراض لا يمكن تحقيقها أو التى تدعم بوسائل لا تستطيع أن تحقق الفرص . ومن ثنايا الفضائل فان باريتو يتبنى الصفات التى ترفع الفرد فى الحياة ، ويبين نظما قائمة من ستة فضائل ، ويعلق أعظم أهمية على فضيلتى « التوحد » و « استمرار التجمع » والتى بواسطتها تحاول النخبة الحاكمة أن تبقى فى السلطة من ثنايا عدة اعتبارات أساسية هى :

أولاً : تعنى « فضيلة » « التوحد » الدهاء فى العمل المشترك كما تعنى « فضيلة » . « استمرار التجمع » القوة . وقد وصف باريتو بلغة انجليزية واضحة كلا النوعين من الطوائف مثل « المضادين « Speculators » وأصحاب الدخول Rentiers وهما يحملان شبها قريبا من وصف ميكافيلى للزمرة الحاكمة مثل « ثعالب » و « أسود » وهناك نوعان من الطوائف - النوع الذى يحكم بالدهاء والنوع الذى يحكم بالقوة ولكن يبرروا أن يمنطقوا استخدامهم للسلطة فإنهم يلجأون « للنسب » ، أو الأساطير التى يختلقونها لكى يخدعوا الجماهير . أما الوسائل فهى التى تكتسب بها الأفعال التى تحددها تلك « الفضائل » شكل الأفعال المنطقية . ولأنه كان مهتما بالتوازن الاجتماعى ، فإن باريتو سلم بضرورة حدوث تغيير فى النخبة من وقت لآخر . وقد كتب أن « الثورات تظهر فى التجمعات فى الطبقات العليا فى المجتمع - إما بسبب بطء فى دوران الطبقات ، أو نتيجة أسباب أخرى لعناصر متردية لم تعد تملك الفضيلة المناسبة لبقائهم فى السلطة ، أو إنكماشهم بعيدا عن السلطة ، بينما عناصر الطبقات الدنيا فى

---

(١) Ortega Y. Grassef. The Revolt of the Masses, New York, Norton, 1932.

(٢) لمزيد من التفاصيل فى آراء باريتو راجع :

George and Curtis, Charles, An Introduction to Pareto, New York, knapf, 1934.

Hunderson, Lawrence, Pareto's General Sociology, Cambridge, Mass, Harvard University Press, 1935.

Borkenau, Franz, Pareto, London, Chapman and Hall, 1936.

المجتمع ذات الخواص العليا تتقدم إلى الأمام ، وتملك الفضائل المناسبة لممارسة وظائف المحكومين وتكون على استعداد كاف لاستعمال القوة »[١] .

ثانيا : بينما كان باريتو عالم اجتماع وعالم نفس فى الأساس ، فإن Gaetano Mosca (1858 - 1941)[٢] الذى دفع نظرية الطوائف السياسية للأمام وكذا مفهوم دوران تحول الطبقات ، كان أساسا عالم سياسة . وقد كان يرفض بشدة تقسيم الحكومات إلى ملكية ، وارستقراطية وديمقراطية ، وهو التقسيم الذى بدأ على يد أرسطو ، وأكد أنه لا يوجد إلا نوع واحد من الحكومات وهو بالتحديد حكومة الأقلية . ففى كل المجتمعات من المجتمعات المتخلفة والتى لم تصل إلى بدايات المدنية ، حتى المجتمعات المتقدمة جدا والقوية – تظهر طبقتان من الناس – طبقة حاكمة وطبقة محكومة . والطبقة الأولى هى الطبقة الأقل عددا دائما تؤدى كل الوظائف السياسية ، وتحتكر السلطة وتتمتع بالمميزات التى تجلبها السلطة ، بينما الطبقة الثانية ، الأكثر عددا ، تحكم وتوجه بواسطة الطبقة الأولى بطريقة تعتبر شرعية ، عشوائية وقاسية تقريبا ... »[٣] .

ثالثا : اعتقد موسكا كما كان يعتقد باريتو فى نظرية تحول النخبة . وكون الصفة المميزة للنخبة هى « الاستعداد للزعامة وممارسة السيطرة السياسية » فحينما تخسر الطبقة الحاكمة هذا الاستعداد ويقوم الناس من خارج الطبقة الحاكمة غرس هذا الاستعداد فى عدد كبير من الناس ، فهناك احتمال كبير أن تتحلل الطبقة القديمة ويحل محلها طبقة جديدة . ويؤمن موسكا بنوع من القانون ، وهو أن النخبة السياسية لا تستطيع ، بمرور الوقت أن توفر الخدمات الضرورية للجماهير ، أو أن الخدمات التى تقدمها لم تعد ذات قيمة ، أو أن يظهر مذهب جديد ، أو أن تحدث تغيرات مماثلة فى القوى الاجتماعية السائدة فى المجتمع ، وأنه فى تلك الحالة يصبح التغيير حتمى . ولا يهتم موسكا بالأسباب النفسية للتغيير ، كما فعل باريتو ، ولكنه يهتم بالأسباب الاجتماعية كذلك . وقد استطاع أن ينشئ علاقة بين التغييرات التى تعترى الظروف الاجتماعية والخواص الفردية . فهناك مصالح ومثل جديدة تظهر فى المجتمع ، وكذا تظهر مشاكل جديدة ، وتسرع عملية تحول الطوائف . ولم ينتقد موسكا المثالية والإنسانية ، كما فعل باريتو ، وكان ينظر إلى أن عملية استخدام القوة نظرة متواضعة . ويميل إلى تفضيل الحراك الاجتماعى والتغيير عن طريق الاقناع .

---

(١) Pareto, V., op. cit., p. 1431.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن كتابات موسكا وآرائه راجع: Meisel. James, H. The Myth of Ruling Class, Op cit.

(٣) وهى نفس الآراء التى أكدها فيما بعد الأستاذ الدكتور محمد طه بدوى ، النظرية السياسية ، النظرية العامة للمعرفة السياسية ، مرجع سابق .

وكذلك ينصح النخبة الحاكمة أن تحدث تغييرا متدرجا في النظام السياسي لكي تجعله متوافقا مع تغير الرأى العام .

ويفسر موسكا تحكم الأقلية في الأغلبية بأن الأقلية منظمة ، بينما يقف الفرد وحيدا أمام الغالبية ، وبأن الأقلية غالبا ما تتكون من أفراد متفوقين .

رابعا : بينما ذكر باريتو أن غالبية الطبقة السياسية تتكون من مجموعات اجتماعية ، فإن موسكا يفحص تكوين النخبة فحصا دقيقا ، ويتعرف على دور « قوى اجتماعية » معينة ، وهو التعبير الذى يطلقه على « الطبقات غير الحاكمة » عند بارتيو ، في موازنة وتحديد تأثير « القوى الاجتماعية » الأخرى . ويقدم لنا موسكا أيضا مفهوم « النخبة الجانبية Sub-elite » التى تتكون بالفعل من كل الطبقة الوسطى الجديدة من الموظفين المدنيين ، ومديرى الصناعات والعلماء والباحثين ، وينظر إليها كعنصر فعال في حكم المجتمع ، وقد كتب قائلا : « إن استقرار أى نظام سياسى يعتمد على مستوى الأخلاق والذكاء والنشاط الذى تكتسبه تلك الطبقة الثانية » .

خامسا : يعلق موسكا قدرا كبيرا من الأهمية على ما يسميه « المعادلة السياسية » وتعتبر معادلة موسكا السياسية مرادفا « للنسب » عند بارتيو . حيث يعتقد بأنه في كل مجتمع ، تحاول النخبة الحاكمة أن تجد الأساس الشرعى والأخلاقى لبقائها في قلاع السلطة ويمثلها بأنها النتيجة المنطقية اللازمة للعقائد والمعتقدات المعترف بها والمقبولة » وقد لا تجسد المعادلة السياسية ولا تجسد دائما حقيقة مطلقة . فقد تكون مجرد أسطورة تقبلها الجماهير . ولم يكن موسكا مستعدا أن يقبلها إلا على أنها حيلة بسيطة ساذجة تخترعها الطبقة الحاكمة بمهارة لخداع الجماهير حتى يضمنوا تبعيتهم . إن سياسات الطبقة الحاكمة ، رغم أنها تصاغ وفقا لمصالحها ، تغلف بثوب شرعى وأخلاقى يشبع ، كما يرى موسكا ، حاجة اجتماعية محددة ، وترضى مطلبا اجتماعيا عميق الإحساس ، بأن المطلب البشرى بأن يحكم الإنسان على أساس من المبادئ الأخلاقية وليس بمجرد القوة المادية . وهى تعمل أيضا كعامل توحيد المؤسسات السياسية والشعوب والمدنيات . ويعتبر موسكا ذلك وسيلة للتماسك الأخلاقى .

سادسا : يرتبط اسم روبرتو مايكلز (١٨٦٧ - ١٩٣٦) بما يعرف « بالقانون الحديدى لحكم الأقلية » والذى يعلن أنه « أحد القوانين الصارمة للتاريخ ، التى لم تستطع المجتمعات الديمقراطية الحديثة ، والأحزاب المتقدمة في تلك المجتمعات الفكاك منه »[1] . والعامل الرئيسى الذى يساند هذا القانون هو عنصر التنظيم . ولا توجد حركة أو حزب يأمل أن ينجح في العصر الحديث بدون التنظيم . « فالتنظيم » هو طريقة أخرى لترجمة « حكم الأقلية » . وقد كتب مايكلز قائلا : « إن اتجاهات الأقلية الحاكمة المتأصلة توجد في كل نوع من التنظيم

---

(١) Alfred de Grazia trans, Roberto Michel's First Lectures in Political Sociology, Minneopolis, University of Minnesota Press, p. 142.

البشرى التى تناضل من أجل تحقيق أهداف محدودة .. وأن حكم الأقلية .. هو .. شكل مقدر للحياة العامة لتجمعات اجتماعية كبيرة .. وأن غالبية البشر ، فى حالة الوصاية الأبدية ، محكوم عليها مقدما .. أن تخضع لسيطرة أقلية صغيرة .. والقيادة ظاهرة ضرورية فى كل شكل من أشكال الحياة الاجتماعية .. ويجب أن يوفر النظام والمدنية ملامح أرستقراطية[١] . وعندما ينمو حجم الحركة أو الحزب ، فيجب أن تنتقل وظائف أكثر وأكثر لدائرة داخلية من القادة ، وبمرور الوقت ، يصبح أعضاء المنظمة أقل كفاءة لتوجيههم والسيطرة عليهم ، مما يؤدى إلى أن يكتسب الضباط حرية كبيرة للعمل واهتماما راسخا بوضعهم . ومن ثم يتمسكون باستماتة بسلطاتهم ومميزاتهم الجديدة ويصبح من الصعب ازاحتهم . ويلقى هذا النوع من حكم الأقلية التأييد من جانب مايكلز فى مفهومه للعقل الجمعى . حيث يرى مايكلز أن غالبية البشر لا مبالين ، كسولين ، حقيرين وغير قادرين على حكم نفسهم . ولديهم قابلية للنفاق ، خانعين عندما يواجهون القوة . ويستفيد القادة بسهولة من هذه المميزات لكى يستمروا فى السلطة . وهم يستمتعون بكل أنواع الوسائل – الخطابة ، الإقناع ، اللعب بالعواطف لكى يخدعوهم . وعندما يميل القادة للسلطة ، فلن يستطيع أى شيء أن يزحزحهم عنها .

وإذا ما صدرت القوانين لضبط سيطرة القادة[٢] ، فإن القوانين هى التى تضعف وليس القادة » . وأحيانا تحدث الثورات فى التاريخ ويسقط بعض الطغاة ، ولكن الطغاة الجدد يظهرون ، ويستمر الحال على ما كان عليه . « إن تيارات التاريخ المتتابعة تشبه الأمواج المتدفقة . وهى تتحطم باستمرار على نفس الصخر »[٣] وكما لو كان يحاول زيادة إلقاء الضوء على الصفوة والنخبة السياسية ، وقد ذهب أورتجا. جاست (١٨٨٣–١٩٥٥) . إن عظمة الأمة ، تعتمد على قدرة « الناس » ، « الجماهير » ، « الحشود » ، « الغوغاء » أن يجدوا « رمزهم فى أناس معينين مختارين ، تصب عليهم رصيدها من الحماس الوفير » . وهؤلاء « الناس المختارين » هم البارزون ، وهم الذين يقودون « الجماهير » غير المختارة . « فالرجل يكون فعالا فى المجتمع ككل » ، فى رأى أورتجا ، ليس بسبب خواصه الفردية كما هو بسبب الجهود الاجتماعية التى تخلفها عليهم الجماهير[٤] . « الأمة عبارة عن كتلة بشرية منظمة ، وبينها أقلية من الأفراد المختارين . والشكل الشرعى الذى تتبناه الأمة يمكن أن يكون ديمقراطيا أو

---

(١) Roberto Michels, Op. Cit., pp. 11, 32, 390, 400, 402.

(٢) Ibid., p. 406.

(٣) Ibid., p. 408.

(٤) Quoted by Manuel Maldonado, Devis "Ortega" Grasset and the Theory of the masses, in Downton, James and David K. Hart, (eds), Perspectives on Political Philosophy, Marx through Marcuse, Horisdate, III., The Dryden Press, 1973, p. 246, from ortegay. Obras Completass 6 Vols, 4 thed., Madrid, Revista de Occidente, 1947, III, p. 91.

شيوعيا كما يجب ، ولكن جبهاتها وتشكيلها الشرعى يكمن فى التأثير الديناميكى للأقلية التى تطبع الجماهير وهذا قانون طبيعى ، وهام فى حياة التنظيمات الاجتماعية مثل قانون الكثافات فى الفيزياء »[١] . وقد كتب أيضا أن « الحقيقة الاجتماعية الأساسية هى تنظيم الكم البشرى إلى قادة ومقودين . ويفترض ذلك أن بعض الناس لديهم القدرة على القيادة[٢] ، وفى البعض الآخر قدرة على أن يكونوا مقودين » . فالجماهير تثور عندما تصبح الأرستقراطية فاسدة وعديمة الكفاءة وأن الدافع وراء ذلك ليس هو رفضها أن تكون محكومة من جانب الأرستقراطية ولكن لأنهم يحبون أن يحكموا بواسطة أرستقراطية أكثر كفاءة . وحيث لا توجد أقلية تسيطر على غالبية ، وأغلبية لا تقبل تدفق الأقلية ، فلن يوجد مجتمع[٣] . وعندما تعتقد الجماهير فى مجتمع ما أنها تستطيع أن تستغنى عن الأرستقراطية فإن الدولة قد تهدد بالانهيار ، وعندما تتحرر الجماهير من الوهم ، فإنها تتجه لقيادة جديدة وتظهر أرستقراطية جديدة . « ويبين التاريخ تأرجحا مستمرا بين نوعين من العصور - فترات تتشكل فيها الأرستقراطيات والمجتمعات بعدها مباشرة ، وفترات تتحلل منها تلك الأرستقراطيات وتتلاشى مجتمعاتها معها »[٤] .

نظرية الصفوة طبقا لآراء باريتو ، موسكا ، ميشلز :

قد لا يكون صحيحا أن نعرف دعاة نظرية الصفوة السياسية فى غرب أوربا بأنهم فاشيون ، ولكنهم يشاركون الفاشين فى اتجاهاتهم اللاجتماعية واللاديمقراطية . ويمكن التدليل على أن باريتو لم يكن فاشيا من دفاعه عن حق الإضراب وإصراره على حرية التعبير كشىء ضرورى للوصول للحقيقة . وقد كان ينتقد الاستعمار كذلك ، واتهم الدول الأوربية بالنفاق عندما ادعت أنها تعمل لصالح رعاياها باضطهادهم وإبادتهم . وقد كتب باريتو « إن القطة تمسك الفأر وتأكله . ولكنها لا تتظاهر بأنها تفعل ذلك من أجل مصلحة الفأر . وهى لا تعلن أى شعار بأن كل الحيوانات متساوية ، ولا ترفع عينها إلى السماء نفاقا فى عبادة الله »[٥] . ومع ذلك ، فقد كان باريتو يؤمن بأن يحكم أقلية صغيرة ، وكان يبرر العنف ، وكان يكره الاشتراكية ، الدعوة للسلام ، والحركات الخيرية . وقد ربط الديمقراطية بالفساد . وكان يسخر من فكرة التقدم . وعلى أية حال ، فإن خلف تلك الآراء القوية التى عبر عنها بخصوص تلك الموضوعات . كانت هناك رغبة فى أن يبرهن أنه لا يعانى من نقطة ضعف المثالية ، التى كان دائما يربط بينها وبين الدعوات السلمية والاشتراكية والدعوات الخيرية والديمقراطية ، ولكى يبدو منطقيا وعلميا .

---

(١) Ibid., p.247.

(٢) Ibid.,

(٣) Ibid.,

(٤) Ibid., p.248.

(٥) Pareto, V., Op. Cit., Vol. II, pp. 626 - 27.

وكان موسكا أيضا معارضا للديمقراطية ، ولكنه لم يكن فاشيا . ولم تتولد لديه نفس درجة احتقار المثالية والخيرية كما كان يفعل باريتو ، وكان يفضل التأثيرات السطحية لعادات الطاعة والدين والوطنية على استعمال العنف . وقد بارك موسكا الحرب ، التي لا تهدف للاحتلال ، ولكن لأنه كان يعتقد أنه بدون الصراع المسلح ، أو على الأقل الاستعداد له ، فإن الأمم كانت تصبح كسولة ولا يتمتع مواطنوها بلهب الوطنية ، أو الرغبة في الدفاع عن أنفسهم . وكان موسكا يفضل الحكومة الدستورية ، التي يكون الوزراء ومجلس الوزراء مسئولين في ظلها أمام رئيس الدولة . وكان يعتقد أنها أحسن نظام على الأرض حيث أنها أتاحت الحد الأقصى من الحرية . وكان يرى أن الديمقراطية ، من حيث أنها تمثل مصالح الأغلبية التي لا تملك ، فإنها من المحتمل أن تعادى الحرية . ولم يخطئ Burns عندما يقول أن « موسكا يتبع مدرسة كافور Cavourوبسمارك وهيجل المحافظة وليس مدرسة الاستبداديين ، وأن الديمقراطية التي كان يحاربها كانت ديمقراطية روسو المطلقة وليس الديمقرطية الليبيرالية الموجودة في سويسرا وإنجلترا والولايات المتحدة »[1] .

كان ميشلز Michels معارضا تماما للاشتراكية ، ولم يكن معارضا للديمقراطية . ومعرفته أن الديمقراطية لا تتيح الفرصة للخلافة في الحكم ، فقد فضلها على الملكية الوراثية ، التي كان يعتبرها « أقل من أكثر الديكتاتوريات ثورية » وكان ميشلز يعتقد أن الأرستقراطية من أكثر الفضائل حكمة ولكن حيث أن ذلك لا يمكن تحقيقه فقد كان مستعدا لأن يعد على الديمقراطية كامل الأضرار ويرى ميشلز أن أكبر عيب للديمقراطية هو أخلاق الجماهير وسخافتهم وعجزهم ، وأن المخرج الوحيد من ذلك هو بذل الجهد لرفع المستوى التعليمي للجماهير واستنباط بعض الرقابة على اتجاهات الأقلية من داخل طبقتهم . والتنظيم يعوق الديمقراطية ويمكن أن يقضى عليها ، ولكنه يمكن أن يسهل عملية التحول للديمقراطية – كان هذا هو الرأى الذى عبر عنه ميشلز[2] . ولم يكن ميشلز رجلا ديمقراطيا . وكان يميل أكثر إلى طبيعة الثورى الرومانتيكى ، أو عالم أبوى . والتنظيم بالنسبة له يسهل عملية ظهور والإبقاء على القادة القادرين والمستعدين للتعبير عن الرغبات الواضحة للجماهير الذين يتبعونهم .

الديمقراطية ونظرية الصفوة :

حاول الجيل التالى جيل من أصحاب نظريات حكم الصفوة السياسية ، الذى ازدهر فيما وراء المحيط الأطلنطى ، أن يبنى نظرية جديدة عن الديمقراطية يمكن أن تتوافق مع نظرية

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع ::Burns, Edward, M., Ideas in conflict, London, Methueng.. Co. 1960, pp. 85 -86.

(٢) May, John D., "Democracy, Organization Michels", in Downton, James V., Op. Cit., pp. 227 - 43.

الطوائف السياسية . وقد طوروا مفهوما للديمقراطية كنظام سياسى تتنافس فيه الأحزاب السياسية على أصوات الناخبين فى الانتخابات الجماعية ، وكانت الطوائف مفتوحة نسبيا ، وتظهر على أساس من المزايا وأن غالبية الشعوب قادرة على المشاركة فى حكم المجتمع على الأقل بمعنى أنها تستطيع أن تختار بين الطوائف المختلفة . وقد أدى كارل مانهيم (١٨٩٣ - ١٩٤٧) دورا هاما فى كتاباته المبكرة حيث ربط نظريات الصفوة بالدعوة السلمية وأنجز دورا هاما فى المطالبة بهذا التوفيق . وقد كتب قائلا : « إن التشكيل الفعلى للسياسة يتركز فى أيدى الطوائف ، ولكن ذلك لا يعنى إن المجتمع ليس ديمقراطيا » ويكفى الديمقراطية أن المواطنين الأفراد ، على الرغم من أنهم يمنعون من القيام بدور مباشر فى الحكومة باستمرار ، فإن لديهم إمكانية التعبير عن طموحاتهم فى فترات معينة .. فى الديمقراطية يستطيع المحكومون أن يعملوا للقضاء على قادتهم أو يرغموهم على اتخاذ قرارات لصالح الأغلبية »[١] . وقد توصل مانهيم إلى الاعتقاد أن باريتو كان على حق عندما أكد أن السلطة السياسية كانت دائما تمارس بواسطة الأقلية ، وكذا ميشلز فى تطويره لقانون الاتجاه نحو الأقلية فى التنظيمات الحزبية ، وفى كتاباته المتأخرة لا يرى أى تناقض بين نظرية الطوائف السياسية والديمقراطية . والفرق بين النظام الاستبدادى والديمقراطية يتمثل فى أنه بينما تحكم الأقلية حكما مستبدا فى الديكتاتورية فإنه فى الديمقراطية يمكن إسقاط هذه الأقلية أو إرغامها على اتخاذ قرارات لصالح المحكومين . ويرى مانهيم أن الخلفية الجماهيرية للطائفة الديمقراطية بالإضافة إلى طريقة جديدة لاختيار الصفوة والتفسير الذاتى الجديد للطائفة قد أحدث هذا الخلاف فى طبيعتها[٢] .

وقد أوضح Schumpeter (١٨٨٣ - ١٩٥٠) أن الديمقراطية ظهرت مع النظام الاقتصادى الرأسمالى وارتبطت ارتباطا سببيا به ، وعلى هذا يجب أن تفهم فى هذا النطاق . وقد اقتبس التشابه بين رجل الأعمال الذى يتعامل فى البترول ورجل السياسة الذى يتعامل فى الأصوات وكان موافقا تماما على هذا التشابه[٣] .. وأطلق شومبيتر عليها « نظرية أخرى فى الديمقراطية » ، ربما لكى يميزها عن المفهوم الكلاسيكى للديمقراطية ، فى حين وصفها بعض الاقتصاديين بالنظرية الاقتصادية للديمقراطية » . وقد كتب « أنطونى داونس » « أن الأحزاب فى النظم السياسية الديمقراطية يشبهون المديرين فى الاقتصاد الرأسمالى الذى يسعى للربح . فلكى يحققوا أهدافهم من الربح ، فإنهم يصيغون السياسات التى يعتقدون أنها تكسبهم أكثر الأصوات ، كما أن المديرين ينتجون المنتجات التى يعتقدون أنها تجلب

---

(١) Mannheim, Karl, Ideology and Utpia, trans, Louis, Wirth and Edward Shils, Harper & Brothers, 1936, p. 119.

(٢) Mannhiem, Karl, Essays on the Sociology of Culture, London, Routledge and Kegan Paul, 1956.

(٣) Schumpeter, J&Á., Op. Cit., p. 285 - 6

أكثر الأرباح لنفس الأسباب[1] . وحيث تبحث الجماعات المختلفة عن طرق مختلفة لاكتساب تأييد الجماهير ، فإن الأحزاب السياسية المختلفة تشكل وتدخل فى منافسة مع بعضها البعض . ويؤدى ذلك إلى تعدد الطوائف وإلى ظهور نوع من الضوابط والتوازن فى المجتمعات الديمقراطية ، التى توصف لهذا السبب بالمجتمعات التعددية . وتتكون جمعيات من كل نوع ، حرفية وسياسية ، وتصبح الحكومة مشروعا للتوفيق . ويؤكد Raymond Aron أن تعدد الطوائف ، وما يصاحبه من صخب الإضراب العام بين ملاك وسائل الإنتاج ، وزعماء الاتحادات العمالية ، الذين لهم حق تكوين الجمعيات ، وكل جمعية (اتحاد) تدافع عن مصالح أعضائها ، كل ذلك يضع المجتمعات الديمقراطية فى مواقع مختلفة[2] .

ولكن أليس هذا الجهد الذى يبذل للتوفيق بين الحزب السياسى والديمقراطية مبنى على رؤية محرفة للديمقراطية ؟ ومهما أعطى بارتيو وموسكا ومانهايم وغيرهم من تفسيرات للديمقراطية ، فإن الديمقراطية بمعناها الكلاسيكى . فهمت بأنها عملية مستمرة يتم فيها انتقال الحقوق السياسية والقوة من ثنايا التأثير فى القرارات المتعلقة بالسياسة الاجتماعية إلى جماعات من السكان كانت محرومة منها سابقا . والديمقراطية . بمعنى آخر ، تتضمن الحركة السياسية للطبقات الدنيا فى المجتمع ضد سيطرة الطبقات الغنية والارستقراطية . وما فعله أصحاب النظريات فى القرن العشرين ، بشكل عشوائى هو ربط الديمقراطية بنظام سياسى ثابت يسمح فيه بحكم الصفوة المختارة عن طريق انتخابات دورية . وعلى أى حال ، فلو أخذنا بالمفهوم الكلاسيكى للديمقراطية ، فإن الأحزاب السياسية المنظمة أو الجماعات الطائفية المنظمة قد لا تعتبر ضرورية أو كافية لوجود نظام ديمقراطى للحكومة . فالدولة الديمقراطية السليمة تتجه إلى خلق مجتمع بلا طبقات ، وإذا ألغيت الطبقات الاجتماعية فإن مجرد أساس تكوين الأحزاب السياسية سوف يختفى. والرأى الذى عبر عنه كارل مانهيم والذى يقول بأن احتمال أن يجعل الأفراد « أحلامهم محسوسة فى فترات محددة» فى النظام السياسى – هذا الرأى يؤكدان الديمقراطية ليست صحيحة .

وقد حاول سكوميتر وأرون وآخرون أن يضعوا شروطا لنجاح الديمقراطية ليست صحيحة مثل شروط الرقابة الذاتية الديمقراطية . ولكن هذه الشروط ليست موجودة حتى فى العديد من الديمقراطيات الغربية . فالطبقات الحاكمة فى الديمقراطيات الغربية تستمر فى الخروج من الطبقات العليا التقليدية . فكما قال أرسطو « من لحظة الميلاد ، يحدد مصير البعض للقيادة

---

(١) Downs, Anthony, An Economic Theory of Democracy, Harper & Row, Publishers, 1957, pp. 295-96.

(٢) Aron, Raymond, "Social Structure and the Ruling Class", British Journal of Sociology, Vol. 1, March 1950, p. 10.

والبعض الآخر للتبعية » . وبمحاولة فهم نظرية الطوائف السياسية فهما شاملا ، فالديمقراطية الحديثة تبدو وكأنها تبذل الجهود للتغلب على الصراع الأساسي بين الطبقتين . قد يندهش المرء عما إذا كانت الديمقراطية الصحيحة لن تشمل مساواة كبيرة في الثروة والدخل بين المواطنين ، ونوعا عاليا من التعليم وتقشفا أكبر في مستوى المعيشة من جانب الطبقات الحاكمة . على أساس ديمقراطي ، وفي الواقع ، لكي تثبت الديمقراطية جدارتها عليها أن توسع مفاهيمها نحو الاشتراكية .

ريمون أرون وماكس فيبر وآخرون « نقد الاشتراكية » :

حتى المجتمع الاشتراكي اللاطبقي قبل انهيار الشيوعية – كما أوضح العديد من الكتاب ، كان يحكم بواسطة عدد قليل من الرجال الذين سوف يديرون الشركات الصناعية ، ويقودون الجيش ، ويحددون النسبة المخصصة للادخار والاستثمار من الدخل القومي وتحديد مقاييس التعويض . وقد سبقت الاشارة لآراء ريمون أرون حول تقييمه للشيوعية أن « تتمتع هذه الأقلية بقوة أكثر من الحكام السياسيين في المجتمعات الديمقراطية ، لأن كلا من السلطة السياسية والاقتصادية تتركز في أيديهم .. فالسياسيون ، وزعماء الاتحادات العمالية ، والموظفون العموميون ، والمديرون ينتسبون جميعا لحزب واحد ويكونون جزءا من نظام استبدادي . وتتمتع الصفوة الموحدة بسلطة مطلقة غير مقيدة . وكل الأجهزة الوسيطة ، وكل التجمعات الفردية ، وخاصة الجماعات المهنية يسيطر عليها مندوبون عن الصفوة الحاكمة ، أو بالأحرى ، ممثلين عن الدولة .. والمجتمع اللاطبقي يترك غالبية السكان بدون أي وسائل دفاع ممكنة في مواجهة الصفوة »[1] . ويرى أرون أن الاحتكار الأيديولوجي الذي تمارسه النخبة الحاكمة يبدو متأصلا في أنظمة الحكم من هذا النوع ، وغير منفصل عن تركيز كل السلطات السياسية والاقتصادية في أيدي تلك الصفوة ، وأن هذا التركيز في حد ذاته جزء لا ينفصل عن التخطيط الكلي للاقتصاد الجماعي[2] . وقد أوضح كتاب آخرون مثل ماكس فيبر وملفان دجلاس Djilas اللذان يكتبان على أساس ديكتاتورية الحزب وثروستين فبلن وجيمس برنهام ، على أساس ما يسمى « الثورة الإدارية » – أوضح هؤلاء كيف أدى انشاء الاشتراكية إلى تركيز كل السلطة في البلدان الاشتراكية في أيدي نخبة قليلة . وحيث أن هذه الاتهامات قد صدرت بحماس شديد ، فيلزم أن نستعرضها في تفصيل غير قليل .

لقد كان ماكس فيبر هو الذي أوضح في نطاق حديث طويل « مع كارل ماركس » أن البيروقراطية قوية ليس في البلدان الرأسمالية فقط ولكن في المجتمع الشيوعي كذلك . وقد أوضح ماركس أن هناك اتجاها في المجتمعات الحديثة لتركيز وسائل الإنتاج في أيدى

---

(١) Ibid, p. 133.

(٢) Ibid., pp. 121-32.

الطبقة الرأسمالية الصغيرة . وقد أوضح فيبر أن هناك اتجاها مشابها فى المجتمعات الاشتراكية لتركيز وسائل الإدارة فى أيدى البروقراطية الصغيرة[1] . وكان فيبر يعتقد أن سلطة البيروقراطية لا يمكن ضبطها بواسطة السلطات السياسية ، سواء فى نظام ديمقراطى أو مجتمع شيوعى . وقد طبقت آراؤه على النظام الشيوعى بواسطة ميلفون دجلاس[2] . ويميز دجلاس بين البروقراطية بشكل عام ، والطبقات الخاصة من البروقراطيين ، الذين ليسوا موظفين إداريين ، ولكنهم يشكلون البيروقراطية الحاكمة (أو الطبقة الجديدة) . وقد وصفها دجلاس كحزب أو بيروقراطية سياسية ، طبقة جديدة « تكون من هؤلاء الذين لهم امتيازات خاصة وأهمية اقتصادية بسبب الاحتكار الإدارى الذى يمارسونه » . وهذه الطبقة تتخذ الحزب كأساس ، وبمرور الوقت « تصبح الطبقة أكثر قوة ، بينما يزداد الحزب ضعفا » .

وعلى أى حال ، فقد كان دجلاس يخلط القيادة السياسية بالبيروقراطية . والقادة السياسيون ، كما يقول Battomore يصلون للسلطة فى الحزب الشيوعى فى أى بلد يسيطر فيه . وأخيرا ، فمن الخطأ أن نفترض الماركسية اللينينية . والسلطة التى يمارسونها سلطة سياسية وليست بيروقراطية . واقتراحه بأن الحزب يزداد ضعفا لا يجد التأييد فى تاريخ الحزب الشيوعى فى أى بلد يسيطر فيه . وأخيرا ، فمن الخطأ أن نفترض أن الحزب يحكم لأنه يسيطر على وسائل الإنتاج لأنه يملك السلطة السياسية[3] . وبينما ينبغى الاعتراف أن كبار الموظفين فى الاتحاد السوفيتى وبعض البلاد الأخرى لهم تأثير قوى ، فلا يمكن تعريفهم كطبقة حاكمة

وإذا ما رجعنا إلى دعاة نظرية الثورة الإدارية ، فيجدر بنا أن نبدأ بفبلن[4] ، الذى يتفق مع ماركس فى الاعتقاد أن الرأسمالية كنظام إنتاج محكوم عليها بالانهيار ، ولكنه اختلف معه فى اعتقاد ماركس بأن انهيار الرأسمالية سيعقبه حكم الطبقة العاملة ثم يتلو ذلك مجتمع بدون طبقات . ومن جهة أخرى ، اعتقد فبلن أن « المهندسين » أو « الاخصائيين التقنيين » يعتبرون بقوة الظروف حماة المصالح المادية للمجتمع ، والذين سوف يحلون محل الرأسماليين ويصبحون وسطاء فى الرفاهية المادية للمجتمع بمجرد أن تتبلور اتجاهاتهم الطبقية . إن جيمس برنهام

---

(١) Weher, Max, "Politics as a Vocation", in Gerth, H.H., and Milks, C. Wright, (eds), From Max W eber, London, Kegan Pau, 1947.

(٢) Djilas, Milovan, The New Class, London, Thomas & Hudson, 1957.

(٣) Bo tomore, T.B., Elites and Society, Penguin Books, 1964, p. 84.. وقد ثبت فيما بعد أن هذه الآراء قد جانبها الصواب بدليل انهيار الاتحاد السوفيتى ، ومع ذلك فإن وقتا طويلا قد يمر قبل معرفة أسباب انهياره الحقيقية وعما إذا كانت الأيديولوجية التى قام عليها قد انهارت إلى الأبد . « الباحث » .

(٤) Veblen, Thorstein, The Engineers and the Price System, New York, The Viking Press, 1971, p. 74

الذى يطور نظرية الثورة الإدارية بشكل تام ؛ قد اتبع خط الجدل الذى افترضه فبلن اتباعا ليس تامًا ، واختلف معه فى التفاصيل . ويعبر برنهام عن الرأى الذى يقول بأن المجتمع الرأسمالى سوف يحل محله ليس ثورة الطبقة العاملة وديكتارية الطبقة العاملة ولكنه ستحل محله « ثورة إدارية » وظهور مجتمع إدارى . ويوضح أن الثورة الروسية عام ١٩١٧ ، لم تنجح فى إقامة مجتمع اشتراكى ، وفى معظم الدول الصناعية المتقدمة الأخرى التى قامت فيها محاولات لتلك الثورات قد نجحت . ويرى برنهام أن المديرين الذين يصلون للقمة فى البلاد الشيوعية ، يتكونون من العلماء والتقنيين ، من جانب ، ومديرى ومنظمى عمليات الإنتاج من الجانب الآخر . ويصف الأخيرين ، كمديرين بالامتياز (ليفرق بينهم وبين « المهندسين » عند فبلن) حتى برغم أن معظمهم قد يكون حاصلا على مؤهلات فنية . ويوضح برنهام أنه فى المجتمعات الصناعية الحديثة ، حدث فصل جذرى بين الملكية والإشراف على الصناعة ، وأنه بينما يظل الرأسماليون مالكين للصناعة ، فإن المديرين يكتسبون السيطرة عليهم ويرى برنهام أيضا أن المديرين ليسوا بطبقة متميزة ، ولكن حيث يصبحون مدركين لمصالحهم بدرجة أكبر فى الصراع على السلطة ، فإنها تصبح جماعة متماسكة[1] .

صفوة السلطة والطبقة الحاكمة :

إن الجدل الذى أثاره كل من فبلن وبرنهام بخصوص تحول الثورة الشيوعية فى روسيا إلى ثورة إدارية يبدو بعيدًا عن الواقع حيث يعتقد ماكس فيبر ودجلاس أن البيروقراطيين استولوا على السلطة فى هذا البلد . ومهما كانت نقاط الضعف فإن الحزب الشيوعى ، برغم كونه مثاليا فى الأفكار واستبداديا فى الواقع ، فإنه لم يحقق دور صفوة السلطة كما حددها الكتاب من موسكا حتى لاسويل . ويحاول ميلز الذى لم يدخل هذا الجدل ، أن يحدد الظروف فى المجتمع الغربى ويثبت أن النظرية لا تزال صالحة هناك . ويقول ، رافضًا الرأى الذى يقول بفصل الملكية والرقابة فى المجتمعات الصناعة الحديثة ، خاصة الولايات المتحدة « إن المسئولين التنفيذيين والأثرياء جدا ليسوا جماعتين متميزتين منفصلتين تمامًا . وهم مختلطون تمامًا فى عالم الملكية والامتياز »[2] ويوضح بمساعدة الإحصائيات ، أن تخريج مديرى الإدارة العليا يحدث من أعالى الطبقات الوسطى ، التى يتخرج منها أصحاب الصناعات . وقد أكدت دراسات أخرى على ذلك . بمساعدة هده البيانات ، حيث حاول أن ينشىء حقيقة أن المديرين الكبار والملاك يرتبطون ارتباطا وثيقًا كما لو كانوا يكونون جماعة اجتماعية واحدة ، صفوة السلطة، كما يسميها ميلز Mills[3].

وقد تحدى كارل فريدريك Carl Friedrich الرأى الذى يقول أن الطبقة الحاكمة تكون ،

---

(١) Burnham, Tames, The Managerial Revolution, London, Putnam & Co., 1943.

(٢) Mills, C., Wright, The Power Elite, New York, Oxford University Press, 1956, p. 119.

(٣) سوف يتم التعرض تفصيلا لآراء ميلز فى الفصل الأول من الباب الرابع .

أو يمكن أن تكون جماعة متماسكة[1] وتقول دراسة أخرى تمت فى انجلترا أن « الحكام ليسوا متحدين على الإطلاق . وهم ليسوا فى مركز الاهتمام ، كما فى مجموعة من الدوائر المتداخلة ، كل منها مشغولة بحرفها وخبرائها وتلمس الدوائر الأخرى فى أحد الحواف وهم ليسوا مؤسسة واحدة ولكن سلسلة من المؤسسات ذات ارتباطات وأهمية . وأن الاحتكاكات والتوازنات بين الدوائر المختلفة هى الحامى الأعظم للديمقراطية .

ولا يستطيع رجل واحد أن يقف وحيدا فى مركز السلطة[2] وقد فشل دعاة نظرية الصفوة تماما فى إثبات حقيقة صفوة السلطة المتماسكة التى تركز كل القوة والسلطة والرقابة فى ايديها ، كنوع من القوانين الطبيعية ، سواء فى المجتمعات الاشتراكية أو فى ظل حكومات ديمقراطية . لأى مدى ، وتأسيسا على ذلك تعتبر هذه النظرية متفوقة على نظرية ماركس عن الطبقة الحاكمة .

وتنادى نظرية ماركس عن الطبقة الحاكمة ، والتى برزت نظرية صفوة السلطة كنظرية مقابلة لها بأن :

١ – كل مجتمع يتكون من قسمين من الناس

(أ) طبقة حاكمة .

(ب) طبقة أو أكثر من الطبقات التابعة .

٢ – الطبقة الحاكمة لكونها مالكة لوسائل الإنتاج الاقتصادى الرئيسية ، تملك السيطرة السياسية كذلك .

٣ – هناك صراع مستمر بين الطبقات الحاكمة والطبقات التابعة ، وأن طبيعة وطريق هذا الصراع تتأثر أساسا بالتغيرات التكنولوجية

٤ – يصل الصراع الطبقى إلى ذروته وتستقطب الطبقات بسبب تركيز الثروة فى جانب والفقر فى الجانب الآخر والقضاء التدريجى على الطبقة الاقتصادية الوسطى .

٥ – ينتهى الصراع الطبقى داخل المجتمعات الرأسمالية بانتصار الطبقة العاملة ، ويتبع ذلك ظهور المجتمع اللاطبقى (الشيوعى) .

ولقد تطورت نظرية ماركس عن الطبقة الحاكمة ، فى نطاق فهمه للتحول الاجتماعى ، ولكونها تنتقد المصالح الأصيلة ، فقد تعرضت للنقد من عدة جهات ، كان أولهم بطبيعة الحال هم أصحاب نظرية صفوة السلطة . الذين وجهوا قدرًا كبيرًا من النقد ، وهو الذى وجهه

---

(١) Friedrich, Carl, J., The New Image of the Common Man Boston, Beacon Press 2nd ed. 1950, pp. 259 - 60.

(٢) Sampson, Anthony; Anatomy of Britain, London, Hodder & Stoughton, 1962, p. 624.

موسكا وباريتو الذى كان يرى أنها نظرية وحيدة السبب لم تستطع تعطى التغيرات التاريخية قدرها العادل وأنها مبنية على انحراف تفسير ماركس الاقتصادى للتاريخ . إن ماركس لم يوحى بأن العوامل الاقتصادية كانت السبب الوحيد للتغيير ويتخذ كل من سكومبتر وفيبر اتجاها مختلفًا فى النقد عندما يحاولان أن يشرحا أن التغيير الاجتماعى لم يكن لاحقا لأسباب اقتصادية ولكنهما لم يحاولا مواجهة نقطة ماركس الرئيسية . ويؤكد ماكس فيبر أن الأخلاق البروتستنتية تلعب دورا رئيسيا فى نمو الاقطاع والرأسمالية فى أوربا ، ولكنه لم ينجح فى بلورة دور مستقل لها ، أو فى إنكار افتراض ماركس بأن العوامل الاقتصادية كانت تؤدى دورًا هامًا .

ومن المسلم به أن نظرية ماركس لم تلق التأييد من التطورات التاريخية ، وهو ما أثبته التطورات اللاحقة عن انهيار ماركسية الاتحاد السوفيتى . وأن فكرته عن تماسك الطبقة الرأسمالية باستمرار كطبقة حاكمة لم تثبت صحتها بعد : فالبرجوازية الحالية أقل تماسكًا كطبقة حاكمة من طبقة البلاد الإقطاعيين . حيث أن نفس الأشخاص لا يشغلون وظائف عسكرية وسياسية واقتصادية فى نفس الوقت واحتمال دخول الطبقات المختلفة فى صراع مع بعضها البعض لم يتحدد بعد . وقد خابت توقعاته عن تجمع الطبقتين بظهور الطبقات المتوسطة ونمو قوتها . فلم يضع ماركس عامل أصوات كبار السن فى الاعتبار ، وحتى لو اعتبر ذلك كخطوة ثورية بشأن تصويت البالغين فإنه لم يلحظها فى تفسير نظريته العامة . ولكنه برغم أن وجود الطبقة الوسطى قد أصبح حقيقة واقعة ، فلا يمكن إقامة الدليل على أن السلطة يمكن أن تنتقل سلميا إلى الطبقات العاملة فى المجتمعات الديمقراطية عن طريق عمليات ديمقراطية .

وعلى أى حال ، لا يمكن إنكار أن إدخال عنصر امتياز البالغين ، وضرورة لجوء الطبقة الحاكمة للجماهير من وقت لآخر وطلب المساندة منهم ، قد جعل الحكم السياسى أكثر اعتدالا واقل قمعا عما كان يمكن أن يكون .

ولو أغفلنا نقاط الضعف السالفة للنظرية الماركسية ، فلا زال يصعب قبول نظرية زمرة السلطة كتفسير مقنع للتغيير الاجتماعى . وقد أكد ماركس أساسا على أن الطبقتين التى يتكون منهما المجتمع تقابلان بعضهما البعض فى صراع مستمر ، يمكن أن يحل بطريق الصراع الطبقى الحاد والتعرف على الطبقة المستغلة . ولم يهتم أصحاب نظريات زمرة السلطة ، أو لم ينجحوا ، فى تفسير طبيعة العلاقة بين الزمرة الحاكمة والأغلبية غير الحاكمة . وبالنسبة لهم ، فإن التقسيم طبيعى ومحدد مسبقا ، ورغم ذلك فإن كاتبا كتابا مثل رايت[1] ميلز قد اعتبر ذلك من سوء الحظ وحتميا . وليكمن تفوق نظرية ماركس عن الطبقة الحاكمة فى أن ماركس لم يأخذ نظرة سلبية من الموقف . وإذا سلمنا بإمكانية وجود ظلال من الخلاف فى المجتمعات المختلفة يتراوح ما بين سيطرة كاملة للرأسمالية فى رأى ماركس ،

(١) راجع آراء رايت ميلز تفصيلا فى الباب الرابع .

إلى المشاركة التى تهدف للرفاهية - فإن ماركس استمر يؤكد على أن المجتمع المؤسس على الاستقلال لا يمكن أن يستمر للأبد . فالقوى القوية كان محتمًا ظهورها ولا زال فى أجزاء مختلفة من العالم ، نتيجة لهذا الظهور . وفى نفس الوقت ، يجب الاعتراف أن طبيعة واستمرارية الصراع ، بالإضافة لشكله ونتيجته ، سوف تختلف من مجتمع لآخر . فهناك مجتمعات يوجد بها طبقة حاكمة وفى نفس الوقت زمرات تمثيل جوانب خاصة لمصالحها ، ومجتمعات لا توجد بها طبقة حاكمة ولكن زمرة سياسية تتحكم فى النظام الإدارى ، ومجتمعات ذات قوة عسكرية بالإضافة إلى ملكيات ، ومجتمعات بها طوائف عديدة ولكن لا توجد بها أى جماعة قوية من الأفراد أو عائلات على قمة السلطة . ومن الواضح أن طبيعة التغير الاجتماعى فى هذه الأنواع المختلفة من المجتمعات سوف تختلف . وإن التحدى المحتمل الذى تعنيه نظرية زمرة السلطة على مفهوم ماركس للطبقة الحاكمة . وتأكيدها المتضمن على حفظ التوازن الاجتماعى القائم ، يبدو فاشلا . وهو ما اتضح فيما بعد عند انهيار النظرية الماركسية فى الاتحاد السوفيتى .

المثقفون والتنمية السياسية :

وأخيرًا ، فهناك رأى اعتنقه عدد من علماء الاجتماع السياسى فى السنوات الأخيرة يقول ، بأنه مهما يكن للطوائف من دور فى المجتمعات الصناعية أو الاشتراكية أو الديمقراطية ، فإنها أدت دور هاما فى أحداث التنمية السياسية والتقدم الاقتصادى فى البلدان المتقدمة . ومن هذا المنطلق فإننا لا نسمع الكثير عن المديرين أو البيروقراطين ، الذى يمكن أن يزدهروا بقوة فى المجتمعات الصناعية فقط . ولكن يمكن أن نسمع كثيرًا عن دور المثقفين . إن المثقفين هم المجموعات الصغيرة من الأفراد الذين يسهمون فى نقل وخلق ونقد الأفكار ، ويضمون الكتاب ، الفنانين ، والعلماء والباحثين الاجتماعيين . ولقد وجدت دائمًا طائفة من المثقفين فى كل المجتمعات : ففى الصين كانت توجد طبقة الطبقة المثقفة وفى الهند طبقة البراهمة . وفى الأزمنة الحديثة ، ارتبط المثقفون بالجامعات التى ظهرت فى العصور الوسطى . فى أوروبا ، وخاصة فى فرنسا وأنجزوا دورا هاما فى افكار التنوير . وقد عرف المثقفون عبر التاريخ بدورهم كناقدين اجتماعيين وقادة للحركات الثورية . وقد قبلت أهمية دورهم ووضعهم فى شكل مثالى حتى بواسطة هؤلاء الكتاب المعروفين بتعبيراتهم الساخرة . وقد اعتبر موسكا المثقفين جماعة مشتعلة تقريبًا وتقف فى موقع وسط بين طبقة العمال والبرجوازيين ، واعتقد أنه إذا كانت هناك أى طبقة اجتماعية يتوقع أن « تنحى ، ولو لبعض الوقت ، المصالح الخاصة جانبا وتقدر على إدراك الصالح العام بالتجرد المطلوب » ، فإنها تلك الطبقة ، أى طبقة المثقفين ومن بين علماء الاجتماع المحدثين ، فقد وصف ما نهيم تلك الطبقة من المثقفين كطبقة لا طبقية وترتبط بواسطة التعليم وتضم فى ذاتها تلك المصالح التى تتخلل الحياة الاجتماعية . وبسبب

هذا التكوين ، ينتظر أن يكتسب المثقفون نظرة موضوعية تامة لمجتمعهم ، وأن يعملوا باستقلال لكى يطوروا مصالح اجتماعية عامة أكثر . وبينما توجد ظلال من الحقيقة فى كلا الموقفين ، فإن المثقفين يختلفون من دولة لدولة فى الدور الذى يؤدونه فى التغيير الاجتماعى ، وفى الدور الذى ينجزوته نتيجة لأصلهم الاجتماعى وليس لكونهم مثقفين .

وفى المجتمعات المتقدمة ، التى يفترض أن يكون المثقفون قد أدوا فيها الدور الرائد لإحداث التغيير السياسى والاجتماعى ، فإنهم عامة كانوا ينتمون للأنواع التالية :

١ – الزمرة العائلية . ٢ – الطبقة الوسطى

٣ – المثقفون الثوريون ٤ – المديرون الاستعماريون

٥ – القادة الوطنيون .

فالزمرة العائلية والمديرون الاستعماريون كانوا مسئولين أحيانًا عن خلق آليات ، مثل خلق نظام إدارى ونظام قضائى فعال ، وإدخال تعليم حديث ، وتطوير العمل فى البنوك والتجارة وإنشاء بعض الصناعات ، التى يمكن أن تساعد فى النمو الاقتصادى . ولكن دورهم كان محدودا نسبيا . والطبقة الوسطى التى تتكون من الموظفين العموميين ، والمستخدمين وأعضاء المهن العلمية بالاضافة إلى المثقفين الثوريين والزعماء الوطنيون قد مارسوا دورا أكبر .

وقد كان الزعماء الوطنيون فى العديد من البلدان الآسيوية والأفريقية تتاح لهم تعليم غربى تلقوه إما فى بلادهم أو فى الجامعات الأجنبية[١] والمثقفون الثوريون يعرفون عادة بأنهم الذين يدينون بمعتقدات ماركس . ولقد اتجهت بعض البلدان النامية للطريق الشيوعى فى التنمية ، وفى العديد من البلدان المتقدمة ، ثمة طبقة جديدة تضم قادة الجيش قد أثبتت وجودها من وقت لآخر ، ولكن التجربة العامة اثبتت أن هذه الطائفة لم تتمكن من الاحتفاظ بالسلطة وقتا طويلا . وقد نفذ ضباط الجيش الإدارة غالبا باسم الشعب ، وافسحوا المجال ، بمرور الوقت لبعض أنواع الحكومات التى تمثل الشعب .

والمثقفون ، ككل ، تنقصهم الصفة الأساسية لتكوين طبقة ، وهم يختلفون فى تكوينهم ، وصفاتهم ومطاليبهم من بلد لآخر ومن وقت لآخر . ففى فرنسا ، على سبيل المثال ، نجد أن المثقفين قد أدوا دورا هاما نسبيا أكثر من أى بلد آخر . وأن أراءهم تتأثر بأصولهم الاجتماعية بشكل طبيعى . وبينما ارتبطوا بالحركات اليسارية منذ زمن بعيد ، فإن المثقفين فى معظم دول أوربا الغربية والولايات المتحدة ينتسبون لليمين الآن . وبينما زاد عدد المثقفين ، بالارتباط بالتعليم العالى ، فقد ظلت السلطة تنتقل من جماعة لأخرى خلال التقسيم العريض للمثقفين . والنزعات الإنسانية ، التى كانت تعتبر مهنة هامة فى فترات سابقة ، استبدلت بالعلوم الاجتماعية ،

---

(١) Mansur, Fatma, Process of Independence, London, Routledge and Kegan Paul, 1962.

وأن العلوم الاجتماعية قد استبدلت الآن بالعلوم الطبيعية . ولكن هذه الخواص التى تتمتع بها زمرة المثقفين قد اكتسبها المثقفون لكى يكونوا جماعة متميزة وينشئون لهم أيديولوجية . وهم الآن ينجزون دورًا هاما فى تطوير البلاد المتقدمة أكثر من البلاد المتخلفة[1] ، ولكن قد لا يكون صحيحا أن نقول أنهم يشكلون أى زمرة سلطة حقيقية فى العالم المتقدم كذلك . والتمنية بمعناها الواسع ، ليست جماعة ، ولكنها ظاهرة اجتماعية .

---

(١) راجع فى تفصيل ذلك : دكتور محمد نصر مهنا ، النظرية السياسية والعالم الثالث ، المكتب الجامعى الحديث ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية ١٩٩١ .

الفصل الثانى

السلوكية ونظرية الجماعة

- الجماعة والسياسة - تطور النظرية - نقد النظرية
- القوة كأساس تنظيمى للجماعة - التقويم

الفصل الثانى

السلوكية ونظرية الجماعة

الجماعة والسياسة :

بفشل نظرية الصفوة ، اتجه اهتمام علماء السياسة نحو نمط الجماعة الذى تتكون فيه السلطة ، بدلا من تركيزها فى أيدى جماعة أو طبقة ، تعامل على أنها موزعة بين جماعات متباينة المصالح تنافس بعضها البعض من أجل السلطة . وتكمن الجذور الثقافية لنظرية الجماعة فى عقائد التجمع كما ابتدعها عدد من الكتاب الإنجليز فى أوائل القرن العشرين – وخاصة جون فيجس John Figgis وقد حاول أصحاب نظريات الجماعة فى السنوات اللاحقة التأكيد على أهمية الجماعة بدلا من الفرد أو المجتمع كوحدة أساسية لدراسة السياسة . وبينما أوجد علماء التجمع بعض اللمحات الممتازة فى الأساس الجماعى للمجتمع ، وعرفوا نموذجا متعددا للانتساب والولاء للمجتمع ، فإن أصحاب نظرية الجماعة رأوا فى هذا النموذج الأساس الوظيفى للحكومة . وترجع أصول نظرية الجماعة فى شكلها الحالى إلى كتاب أرثر ف . بنتلى Bentley عملية الحكومة ١٩٠٨ » ولكن النظرية نسيت فيما بعد حتى بعثت من جديد فى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات بواسطة ايرل لاثام ودانييل ترومان Earl Latham & Daniel Truman وكتاب آخرين كأساس ممكن لنظرية السياسة واستخدمت على نطاق واسع فى تحليل العمل التشريعى(١) على النحو التالى فى تطورها .

تطور النظرية :

أولا : لقد كان Bentley الذى يعتبر مؤسس السلوكية ، ضد الشكلية وصفة الثبات للمدخل الهيكلى للتحليل السياسى ، وأكد فى كتاباته على الديناميكيات والعمليات كصفة مميزة لنشاط الدولة . وكان يرى أن المجتمع يضم عمليات ديناميكية وليس هياكل محددة أو محتويات أساسية (قيم) . وتعتبر الأفكار والمعتقدات ، والأحاسيس ، والقوانين وظهور الاتفاقات الدستورية ، والمقالات مهمة عندما تتعلق بالعمل فقط .

وقد كتب بنتلى « لا توجد فكرة ليست انعكاسا لنشاط اجتماعى . لا يوجد احساس يستطيع الفرد أن يثبت عليه إلا فى شكل اجتماعى » . « والمادة الأساسية التى ندرسها (فى السياسة) لا توجد فى أى شخص بذاته ، وكذا لا يمكن تقريرها بإضافة إنسان إلى إنسان ، ويجب أن تؤخذ كما تأتى فى عدد من الناس مع بعضهم » . وهى « علاقة » بين الناس – أو « عمل » إنسانى مشترك . وكنصير قديم للوسائل القياسية فى السياسة ، فإن بنتلى يعتقد أنه

(١) كمثال جيد فى تحليل مجال السلطة التشريعية راجع:

Gross, Bertram, The Legislative Struggle, New York, 1953.

إذا أراد أحد أن يدرس السياسة دراسة علمية يجب عليه أن يبحث عن كميات هامة قابلة للقياس فى العمل . ولا يمكن قياس الأفكار إلا إذا ارتبطت بالنشاط ؛ والعمل فى رأى بنتلى عملية جماعية دائما وباستمرار لا يتوفر فى شخص واحد بنفسه ، ولا يمكن تقريره بإضافة الناس بعضهم إلى بعض . ويجب أن يؤخذ كما يأتى فى كثير من الناس معا ، مجموعات من الرجال . والمجتمع ، والأمة والحكومة - التشريع والسياسة والإدارة - كلها تتكون من جماعات من الرجال كل جماعة منها تنطلق بسرعة نحو الجماعات الأخرى .. » . وهذه الجماعات تكون فى حالة من التفاعل مع بعضها البعض ، وأن السياسة أدت إلى تحول سلوك الرجال بواسطة رجال آخرين عبر خطوط متغيرة . وان الحصول على القوة للقضاء على مقاومة هذه التحولات أو تفريق القوى المتجمعة لشخص بتجمع آخر .. » .

وحيث كان بنتلى مهتما بعدم التأكيد على المؤسسات ومضاعفة التأكيد على العمليات ، فقد نظر إلى الجماعة ككتلة من النشاط وليس كمجموعة من الأفراد وقد عرف الجماعة « كجزء بسيط من الرجال فى المجتمع ، لا ينظر إليها ككتلة عضوية معزولة عن كتل أخرى من الرجال ، ولكن ككتلة من النشاط ، لا تستبعد الرجال الذين يشاركون فيه من المشاركة فى كثير من أنشطة الجماعة الأخرى » . وعلى هذا ، تمثل الجماعة نمطا من العمليات وليس شكلا ثابتا . وبهذا يمكن أن تظهر فقط عندما كانت التفاعلات بين أفراد أعضائها متنوعة نسبيا ومرتبة ترتيبا كافيا لإنتاج نشاط توجيهى . فالجماعة الحقيقية ، على ذلك ، كانت تختلف عن التجمع العارض . أو الجماعة التقسيمية . وحقيقة أن نفس الفرد يمكن أن ينتمى لعدة جماعات يوضح أن النشاط الخاص بكل جماعة كان أهم من تكوينها البنائى . وباعتبار الجماعة كتلة من النشاط ، فكان السؤال يدور حول ما يوجه هذا النشاط . وهنا يبرز مفهوم بنتلى عن المصلحة ، والذى يعتبرها بنتلى أساسية لفهم السياسة ، فالمصلحة هى اتجاه مشترك يتعلق بمطلب ما أو بعض المطالب التى تطالب بها جماعة من جماعات معينة أخرى فى نظام اجتماعى . وعلى هذا ، تكون الجماعة عبارة عن كتلة من النشاط توجهها المصلحة ، والنظام الاجتماعى ، الذى يتكون من عدد كبير من الجماعات ، يحدد ميدان التفاعل لنشاط الجماعة . وبهذا ترتبط فكرة المصلحة عند بنتلى ارتباطا جوهريا بنظرية الجماعة ، كما طورها . إن المصلحة هى التى تؤدى إلى تنظيم الجماعات . ويستطيع المرء أن يتخيل عددا من المصالح لا تجد فرصة للتعبير فى أى جماعة ، ومن ثم تظل غير متمثلة حتى تجد فرصة التعبير عنها ، ويستطيع المرء أيضا أن يفكر فى جماعات قوية وجماعات مستترة ، وجماعات فى دور التكوين بالإضافة للجماعات القائمة[1] .

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع :

Bentley, A.F., The Process of Government, A Study of the Social Pressures, Chicago, University of Chicago Press, 1908.

ثانيا : تؤدى نظرية الجماعة بشكل منطقى لمفهوم خاص للنظام الاجتماعى والسلوك السياسى . وكما يقول بنتلى ، فالمجتمع نفسه عبارة عن « لا شيء سوى مجموعة الجماعات التى تكونه » . والنظام الاجتماعى يكون عبارة عن « مجموعة من الجماعات » وانه من خلال النظام الاجتماعى . تبحث الجماعات المختلفة لإدراك أو مضاعفة مصالحها ، ولكون المجتمع ، كما يرى أحد أصحاب النظريات الجماعية الأخرين ، وهو EarlLathan عالم وحيد من الجماعات تتجمع ، وتتفكك وتتحد وتتكون ائتلافات ومجموعات متآلفة فى موجات من التقلب » . ويظل المجتمع مستمرا بفضل « الدفع والمقاومة بين الجماعات » . إن أصحاب نظريات الجماعة ، كباقى السلوكين الآخرين ، مهتمين بحقيقة أن المجتمع يستمر ، ولكى يستطيعوا تفسير كيفية استمراره برغم الصراع المستمر بين الجماعات[1] ، والذى فيه تعمل كل جماعة فى إصرار على تحقيق مصالحها ، وتظهر نظرية التوازن الذاتى للقوة ، وهى نظرية « توازن الضغوط الجماعية » كما وصفها بنتلى .

ثالثا : أبدى أصحاب نظريات الجماعة قدرا كبيرا من الاهتمام بالتنظيم الداخلى وعمليات الجماعات المختلفة ، وناقشوا مسائل تتعلق بالمحددات ، الحجم ، والإقليمية وأشكال التأصيل . وناقشوا أيضا مسائل تتعلق بدرجات التنظيم ، أنماط السيطرة وسيولة العضوية . وقد ميز ترومان بين الجماعات العادية والجمعيات ، ووصف الجمعيات بأنها جماعات تتألف حول علاقات متماسكة » . وعلى هذا ، تكتسب الجماعات أهميتها الحقيقية بالمقارنة بجماعات أخرى ، وتتبع نفس المصالح أو المصالح المتعارضة . فالجماعة العمالية ، على سبيل المثال ، وظيفتها تقارن بجماعات عمالية أخرى أو مؤسسات أصحاب العمل . ويرى ترومان أن « الجماعة » هى مجموعة من الأفراد . على أساس بعض الاتجاهات المشتركة ، تدعى بعض المطالب قبل جماعة أخرى فى المجتمع بهدف إنشاء وصيانة أو تعزيز أنماط من السلوك كامنة فى وجهات النظر المشتركة ... وأن وجهات النظر المشتركة تشكل المصالح . وعلى هذا تكون كل جماعة ، جماعة مصلحة .

رابعا : قد تتعايش أنواع الجماعات على نفس المستوى أو على مستويات مختلفة ، تتبع نوعا من الأنماط المتكاتفة ، ويمكن أن تكون متداخلة أو متضاربة ، وقد تدخل الجماعات فى تحالفات وائتلافات فيما بين نفسها أو ضد جماعات أخرى . وتهتم الجماعات الأخرى وتعتمد قوة معينة من الأساليب والخطط للتأثير على الجماعات الأخرى وتعتمد قوة الجماعة ، ليس فقط على عوامل مثل عدد أعضاء الجماعة ، شدة الارتباط بمصلحة محددة ، وأشكال التنظيم التى تستغلها الجماعات المختلفة ، ولكن أيضا بأمور أخرى مثل أشكال القيادة ، استعمالات الدعاية ، معالجة الرأى العام . والشيء الأساسى بالنسبة لأصحاب نظريات الجماعة

---

(١) Latham, Earl, The Group Basis of Politics, New York.Cornell University Press, 1952, p. 49.

هو النظرة للمجتمع على أنه يتكون من عمليات ديناميكية « عمل » وليس مؤسسات محددة « هياكل » أو محتويات أساسية « قيم » ويرى بنتلى أن دراسة السياسة والسلوك السياسى يشمل « تحليل تلك الجماعات » وقد كتب قائلا : « عندما يتم تحديد الجماعات تحديدا كافيا ، فإن كل شىء يتحدد . وعندما نقول كل شىء ، فإننا نعنى كل شىء » فالتشريع ، والسياسة والإدارة هى نتاج الصراع بين الجماعات .

ويرى لاثام أن « القانون التشريعى يحكم الصراع بين الطبقات ، ويصدق هذا على انتصارات الائتلافات الناجحة ويسجل أرقام الاستسلامات والتوفيقات والهزائم والتشريعات ، والإدارة هى عملية وضع الاتفاقات موضع التنفيذ – تلك الاتفاقات التى فاوض عليها المشرعون وصدقوا عليها » ، ويمكن مقارنة البيروقراطيين بجيوش الاحتلال الذين يتركون لرجال الشرطة فى الميدان الحكم الذى يجلبه الائتلاف المنتصر » .

خامسا : إنه بادعاء فهم السياسة والسلوك السياسى على أساس من الصراع بين الطبقات . كان أصحاب نظرية الجماعة يتجنبون أى تعريف محدد للسياسة . وقد قنع بنتلى بتحليل الموضوعات المتشابكة التى تقع فى النطاق الشائع المفهوم تقريبا كالسياسة . وكان يرى أن السياسة نشاط ذو مستوى عال يقوم به جماعات تعكس أو تمثل القوى الكامنة فى المجتمع . وحيث يمكن « الاستشهاد بالجماعات كمثل لأكثر من نشاط سياسى ، فإنه يمكن اعتبار النشاط السياسى كجانب واحد من النشاط الكلى للجماعات . فهل كانت الجماعات تعمل خلال نطاق محدد ، أم أن أنشطتها السياسية المتصلة كانت تشكل النطاق السياسى ؟ . لم تصدر إجابة واضحة لهذا السؤال بعد . فإن ترومان يعرف الأنشطة السياسية بأنها تلك الأنشطة التى بها تحدد الجماعات مطالبها من ثنايا مؤسسات الحكومة » ، ولكنه لا يعرف الحكومة . وينظر لاثان نظرة أوسع للسياسة عندما يربطها بعمليات المجتمع التى تؤدى إلى تجميع القيم فى هياكل من القوة . وحتى رغم فشل أصحاب نظريات الجماعة فى تعريف السياسة ، فقد ربطوا بينها وبين القوى وعمليات الصراعات بين الجماعات ، وعوامل الضبط على أساس من توازن القوى . وعلى هذا يكون السلوك السياسى هو سلوك الجماعات فى حالة التصارع ، بحثا عن ضبط متطلباتها من خلال استخدام القوة .

سادسا : ما هى إذن وظيفة الحكومة ، وما هو الدور الذى تلعبه فى الصراع بين الجماعات وفقا لنظرية الجماعة .

لقد ترك أصحاب نظرية الجماعة مفهوم الحكومة بنفس غموض وعدم تحديد مفهوم السياسة . ولكنهم أحيانا يعتبرون أن الحكومة تؤدى دور الوسيط فى الصراع بين الجماعات ومصدر القواعد والقيود . وقد كتب ترومان « تعمل الحكومة على ايجاد وصيانة قدر من النظام فى العلاقات بين الأفراد » . وأحيانا توصف الحكومة كشكل من خلاله يمكن للصراع بين الجماعات أن يتقدم فى نطاق قيود وحدود شاملة . ويمكن تمييز الحكومات بعضها عن

بعض على أساس عمليات الضبط التى توفرها بفرض تناول الصراع المستمر بين الجماعات ذات المصالح السياسية . ويرى أصحاب نظريات الجماعة أيضا أن الحكومة تشمل مجموعات تضم فى إطارها عمليات اجتماعية أوسع ، بالإضافة إلى المصالح والمطالب ، وبهذا توفر للجماعات الخارجية عددا من نقاط النجاح ، تكون عندها قابلة للتأثر . كيف نميز إذن بين الجماعات داخل الحكومة والجماعات الخارجية عنها ؟ ويستخدم لاثام Latham مصطلح الرسمية officiality فى هذا الخصوص كخاصية للكيان المسيطر للحكومة فى عيون الجماعات خارج الحكومة ، وقد اعتمد آخرون على الأفكار العامة فى مجال أنشطة الحكومة .

سابعا : إذا كان المجتمع والسياسة لا يشتملان على أى شىء سوى الصراع الأبدى بين الجماعات ، فكيف تسنى للنظام أن يستمر قائما ، ولم ينهار تحت ضغط هذا الصراع ؟ لم يقدم أصحاب نظريات الجماعة أى تفسير معقول لذلك . فقط تحدثوا عن « عملية توازن غير مقصودة » . فحيث تمثل الجماعات المختلفة مصالح متباينة ، وهذه المصالح تتصارع فيما بينها على أسس مختلفة ، فإنها تكون قادرة على ضبط بعضها بشكل ما . وتنجز الحكومة دورها أيضا كعامل ضبط لصراع الجماعات . وفى حالة استمرار الخلل فى التوازن ، بما يؤدى للإضرار بمصالح معينة لم تتشكل بعد على هيئة جماعات فإن جماعات جديدة « أنظمة القوة الجديدة فى السياسة الدولية » تظهر وتعمل على إصلاح الميزان ، وتعمل هذه الجماعات كعامل استقرار داخلى .. وثمة عامل آخر من عوامل الاستقرار فى لنظام السياسى ، كما يقول ترومان ، هو تداخل أو تعارض العوامل التى تؤدى إلى تقليل حدة الصراع القائم ، ومن ثم يسهل تحقيق حالة من التوازن الديناميكى . وأخيرا فهناك « قواعد اللعبة » أو « خلفية العادة » كما أسماها بنتلى . وبرغم أنها غير منظمة ، فإن قواعد اللعبة تلك تعتبر مصالح مقبولة على نطاق واسع ، وتنشئ معايير معينة من القبول لسلوك الصراع بين الطبقات . ويكتب Oran young قائلا : أن هذه القواعد تكون هادئة فى عملية التفاعل بين الجماعات الذى يشكل المجتمع ، فإنها تعمل على تحديد ومساندة عمليات الضبط التى تتم عادة بواسطة الحكومة وتشكل قيود مسبقة لأنشطة الجماهير حيث أنها قادرة على العمل مع الجماعات المؤثرة (١) .

نقد النظرية :

تعرضت نظرية الجماعة للعديد من أوجه النقد على النحو التالى :

١ - فشل أصحاب نظرية الجماعة فى المقام الأول ، فى إعطاء أى تعريف مقبول لبعض المصطلحات التى استخدموها . « فالجماعة » فى رأى بنتلى تشير إلى « علاقة » بين الناس ، عملية إضافة رجل لرجل - وهو تعريف غير واضح . ويشير بنتلى أيضا إلى الجماعات مختلفة

---

(١) Young, Oran, Systems of Political Science, Englewood Cliffs, New Jersey, Prentic- Hall, Inc., 1968. p. 87.

الحجم ، فى القوة وفى الأساليب . فيمكن أن تكون الجماعات كبيرة أو صغيرة ، يمكن أن تختلف عن بعضها فى درجة تركيز المصلحة ويمكن أن تستخدم أنواع معينة من الأساليب ، من الدعاية ، والاقتناع والرشوة إلى أسوأ أنواع العنف . ولكن أى نوع من « العلاقة » يضم الرجال فى جماعة ، ماذا يجب أن يكون عدد الجماعة ، أو مدى شدة تركيزها ، فهل تترك النقاط هكذا بدون توضيح . وقد تهرب بنتلى أيضا من أى تعريف واضح لمصطلح « المصلحة » وهو يربط بين مصطلحى الجماعة والمصلحة . ويقول « لا توجد جماعة بدون مصلحة .. فالمصلحة هى مرادف للجماعة . ولكن سواء كانت مصلحة تؤدى إلى تكوين الجماعة ، أم أن الجماعة هى التى تحدد نفسها على أساس مصالح معينة ، لم يوضح ذلك تماما . ويعترف بنتلى أنه لا يعرف ذلك ولا يهتم به . وما يعنيه هو أن كليهما قابل للتحويل . ولا يستطيع بنتلى أن يظن أن هناك أفراد ذووا أهمية سياسية أو مصالح متعلقة خارج جماعة ما . ويعترف أن موضوع الولاء للجماعة نوع معقد جدا ، ولكنه غير قادر على حلها . فكل فرد يرتبط بعدد كبير من الجماعات تحقق مصالحه المختلفة ، ولكن إذا كانت المصالح غير محددة فى العدد ، أليس من المحتمل أن نجد أنفسنا نواجه العديد من الجماعات حيث يوجد أفراد ؟ إن هذا موقف لا يمكن الدفاع عنه . إن بنتلى هو الوحيد من بين أصحاب نظريات الجماعة الذى تجنب قضية تحديد مصطلحاته بدقة . ففى مرحلة من المراحل يعرف ديفيد ترومان الجماعة بأنها أى تجمع من الأفراد لهم بعض الخواص المشتركة » لكنه سرعان ما يدرك أن هذا التعريف ليس كافيا ، ومن ثم يؤكد على الحاجة إلى وجود مصلحة مشتركة . ولكنه فى الممارسة الكلية يترك مصطلح « المصالح » غامضا وغير محدد كما فعل بنتلى تماما . فأى نوع من « المصالح » يغرى مجموعة من الأفراد على التجمع ؟ أهى الصحة الجيدة أم حالة السلم أم الأمان تعتبر مصالح جيدة ، وربما أحسن . من أى مصالح أخرى ، ولكن إذا ما أخذناها كعوامل تشجيع ، فقد ينبغى أن نفكر فى كل الجنس البشرى كجماعة واحدة . إن تحقيق « التوازن » ، الذى يعتبر شرطا أساسيا للبقاء فى كل الأحياء ، يجب أن يكون البداية والنهاية . لكل صراعات الجماعة أيضا . ولكن ليس واضحا ما يعنيه أصحاب نظريات الجماعة بالفعل « بالتوازن » . فقد عرف لاثم « التوازن » بأنه توازن القوى، بين جماعات متنافسة فى وقت الانتخابات » ، والسياسة العامة مثل « التوازن الذى يتحقق فى مجال الجماعة فى أى لحظة محددة » ولكن ليس واضحا من هم المتنافسون فى هذا الصراع ، وما هى المصالح التى تغريهم على أن يصوتوا بطريقة معينة ، أو أن يلقوا بقوتهم لصالح قرارات معينة دون غيرها أو لأى شىء يهدفون بأعمالهم .

٢ - ثمة اصطلاح آخر استخدمه أصحاب نظريات الجماعة وهو « الإذن بالدخول على شخص Access بمعنى « أن يؤذن لهم بالدخول على صانعى القرار ويقدرون على ذلك » ، ومرة أخرى تقول أنه لم يبذل أى جهد لتوضيح ما إذا كانت جماعات الضغط التى لها القدرة

على الدخول على صانع القرار » تكون من خارج صانعي القرار أم من بينهم أنفسهم ، أو في رئيس آخر يبدأ مشروع مانهاتن طبقا لنصيحة ألبرت اينتشين ، فإننا لا نزال نطلق على ذلك سياسات جماعية ، أو نعترف بصراحة بحقيقة أن برنارد باروخ أو ألبرت اينشتين قد أثرا على القرار في قضايا هامة في وقت كان يمكن للمنتديات أن تحدث ذلك الصراع أو عند أى نقطة يتحقق التوازن .

إن مسألة المنتدى Forum هامة كما يحدث في مجموعة من جماعات الضغط في البيئة ، وربما تكون من النوع العنيف ، قد تكون أكثر فعالية ، ولكن في أحوال أخرى فإن الضغوط ، وحتى الإقناع ، قد يبدو حاسما لتحقيق « التوازن » المطلوب . وقد أثار بيتر أودجارد النقطة سواء ما إذا كان أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية يعمل بنصيحة برنارد باروخ أو لا ، لأسباب عديدة ، مستجيبا للتأثير أو للاقتراحات من هذا القبيل[1] ، وهناك اصطلاح آخر استعمله أصحاب نظريات الجماعات يتعلق بأدوات الضبط التى تتخذها كل جماعة مع البيئة المحيطة « إذا أردنا له أن يستمر وينجح » ألا وهو « التوازن » وتحاول الجماعة أن تصل للتوازن « بوضع القيود على البيئة » و « بتحييدها » أو « باسترضائها وجعلها أليفة » ولكن أنصار نظرية الجماعات لم يهتموا بفحص من يستطيع أن يقوم بهذا الجهد بفاعلية ، أهو الفرد أم الجماعة ، وفي الواقع فإن الجماعة نفسها قد تكون جزءا من البيئة التى تهدد التوازن ، وقد يكون الفرد هو الذى يحاول أن يقيد أو يحيد البيئة أو يسترضيها .

٣ – قد يزدرى أصحاب نظريات الجماعة مفاهيم مثل « الأفكار » و « الإحساسات » ، « طبيعة الناس » ، « الإدارة العامة » و « الرفاهية العامة » وحتى « القانون » و « العدالة » باعتبار أنها أشياء غامضة مثلها مثل « الأشباح » بلغة بنتلى ، وليست ذات أهمية لأى شخص « يجلس لدراسة ظاهرة الحكومة دراسة نظرية مجردة » . وهم يهتمون ، من جهة أخرى ، « بالعمل » ، « بالضبط » ، « القوة » و « التوتر » ، ليس بين الأفراد ولكن بين الجماعات ، ولكن نتيجة لفشلهم في تفسير كل شيء في ضوء العمل ، القوة ، التوتر ، جعلهم يلجأون إلى مفاهيم أخرى مثل « الجماعات المستترة » ، « المصالح غير المنظمة » ، « قواعد اللعبة » ، « الاجماع » ، « الرسمية » ، « التوازن » وقد كان لاثام في النهاية أن يلجأ إلى مصطلحات مثل « الاتفاق » الشائع والفهم لمساندة القانون » ، « الفهم الاجتماعى فيما يتعلق بمن يفعل أى شيء ولمن » ، و« القواعد » ، و« مجموعة المبادئ المتفق عليها التى تشكل الإجماع الذى تعتمد عليه الجماعة السياسية » . وماذا يمكن أن تكون تلك المصطلحات إن لم تكن « أشباح » ، ابتدعها بنتلى ، ولكنها بعثت للحياة كطقوس جديدة ، وربما لا تكون جديدة – هكذا يتساءل

(1) Odegard Peter, "A Group Basis of Politics: A New Name for an Ancient Myth", Western Political Quartely, Vol. XI, No. 3 Sep. 1958.

أودجارد وقد كتب قائلا : « إن صناع القرار إما يعتبرون محايدين يدفعون في هذا الاتجاه أو ذاك بواسطة ضغوط الجماعة التى ترتطم بها ، أو كجماعة نشيطة من الأنصار التى تقوم مصالحها الجماعية بتحديد قراراتها » . وإن فكرة صانع القرار كشخص منطقى يتوجه باعتبارات مثل « الرفاهية العامة » أو « المصالح العامة » يتخذ قراراته فى ضوء المنطق والدليل ، وهو ما يعتبر بقية ساذجة للمدنية الرومانتيكية عند فلاسفة القرن الثامن عشر . وقد حاول أصحاب نظرية الجماعة أيضا أن يلغوا العقل والمعرفة والذكاء من العمليات الحكومية ، التى يرون أنها تحكم بالقوة والتوتر والضغط . وبينما يمكن أن يتعمق المرء مع أصحاب نظريات الجماعة فى الاعتقاد بأن قدرا كبيرا من السياسة يصنع من الضغط والقوة والمصالح الذاتية ، فمن الصعب الاعتقاد أن العقل والمنطق غرباء تماما عن عملية اتخاذ القرار .

٤ – ينصب النقد الأساسى على نظرية الجماعة بسبب ما يطلق عليه الانتقاصية Reductionism حيث أنها تنقص كل شيء إلى عمل الجماعة ، ويسقط الفرد والمجتمع تماما من اعتبارها . وقد حاول ترومان أن يفند هذه الادعاءات ، ولكنه لم يكلل بالنجاح . والاحتجاج يتجاهل الفرد فى كل تفسير للسياسة كما هو فى ضوء الجماعات ، كما يقول ، يبدو منتحلا كفريقا بين أو صراعا بين « الفرد » وبعض التجمعات مثل الجماعة ، وعلاوة على ذلك فالانتقاد قائم على النظر للمجتمع على أنه يتكون من مجموعة من الأفراد « يفترض أن يكون لكل فرد فيه وجودا مستقلا منعزلا ، كل فى موضعه بعيدا عن الآخرين » وتبدو أكثر من هذا أن تفترض أنه عندما يكون هذا الفرد بعيدا عن الجماعة فإنه يصبح فردا مختلفا بشكل غامض . ويتحدى ترومان هذه الافتراضات . ويصر على أنه لا يمكن وجود أفراد فى أى مكان إلا فى جماعات . فالانعزال التام فى الزمان والمكان من الثورة . بحيث يصبح موقفا افتراضيا .

وإذا كن الفرد يؤدى وظيفته بطرق مختلفة وفى جماعات مختلفة . فلا يعنى ذلك أن سلوك واتجاه الفرد قد تحول بشكل ما بسبب عمله فى جماعة ، ولكن جانبين من شخصية ، كل منها حقيقى بذاته ، تجد التعبير فى ظل بيئتين مختلفتين .

وبالمثل ، لا يوجد صراع أساسى ، كما يرى ترومان بين « الفرد » و « المجتمع » . ويشير ترومان لانتقاد Maclever لنظرية سبنسر من عدم التدخل فى شئون الفرد ، الماركسيين ، والتجميعيين ، وتفسيرات نظرية الجماعة مثل نظرية بنتلى ، فى طلبهم ورفضهم للوظيفة الأصلية للدولة ويتحدى الرأى الذى يقول بأنه لا يوجد شيء مثل مصلحة الدولة ككل ، والمعترف به عالميا والمنعزل عن جميع أراء الجماعات التي يشملها . ويقارن هذا الرأى بعقائد الحكومة الديمقراطية المبنية على الفكرة المألوفة التى تقول بأنه لو كان الناس أحرارا ولديهم وسيلة للوصول « للحقائق » فسوف يطلبون جميعا نفس الشيء فى أى موقف سياسى . ويقول ، إن هذا التأكيد يطير فى وجه جعل ما نعرف من سلوك الرجال فى مجتمع معقد . ويكتب قائلا « إن التجارب المختلفة ومبادئ الرجال لا تشجع الفردية فقط ولكنها أيضا ... تؤدى إلى اتجاهات

مختلفة واستحالة الصراع الجماعى ... ويقول ، إنه حتى فى زمن الحرب فإننا نجد دعاة سلام ، معارضين واعين ، جواسيس ، ومخربين يعكسون مصالح تتعارض مع مصالح « الأمة ككل » ، وعند تطوير تفسير جماعى فى السياسة ، يقول ترومان ، « لا يجب أن نعمل حسابا لمصلحة شاملة تماما ، لأنه لا توجد مصلحة شاملة » ويدرك ترومان جيدا حقيقة أن وجود النظام الاجتماعى المؤيد أو المتبول على الأقل ، من جانب جزء كبير من المجتمع ، شيء لا يمكن إنكاره ، أو لا يمكن إدراكه كتجمع لكل الجماعات الموجودة . وهو مدرك أيضا لعمل تلك المجموعة من التقاليد مثل الحكم الدستورى ، الحريات الفردية ، أو المسئولية النيابية . ولكنه ينظمها جميعا كمصالح « تمثل ما يمكن أن يوصف بأنها جماعات ذات مصالح قوية فى مرحلة تكوين النشاط . وعدم وجود تنظيم لا يعنى أن هذه المصالح غير موجودة .

إن احتجاجات ترومان ، على أى حال ، لا تقضى على اتهام نظرية الجماعة بأنها حركة لا فردية وتسقط الكليات الكبرى مثل المجتمع والحكومة من اعتبارها وأنه يصعب أن نفهم أن الجماعات ، مهما كان تعددها ، يمكن أن تمثل كل ما يمثله الفرد ، حتى ولو كان ذلك فى ضوء المصالح ، سواء الظاهرة منها أو الكامنة . ويمكن تفسير ذلك فى ضوء الاعتبارات الآتية : **أولا** : إن الفرد ظاهرة عالية التعقيد . ولديه دافع اجتماعى ، يجعله يكون جماعات ، ولكن لديه أيضا مقاومة فطرية حذره تجاه تذويب كيانه تماما فى الجماعة . فنظرية الجماعة ، على هذا ، تهمل قدرا كبيرا من سلوك الفرد . **ثانيا** : تغفل نظرية الجماعة تماما من أساليبها فى التحليل مشاكل مثل القيادة الفردية ، مصادر الاتجاهات والآراء وأهمية الدور والمكانة الاجتماعية ، التى تعتبر مهمة من وجهة نظر أنشطة الجماعة والتى يمكن أن تفهم فقط فى ضوء السلوك الفردى . فالأفراد يحركون الجماعات فى الاتجاهات المرغوبة ويزودوهم بالاستراتيجيات الصحيحة . **ثالثا** : حتى برغم ادعاءها بأنها قائمة على التجريبية ، فإن نظرية الجماعة تتجنب أن تضع فى الاعتبار ما يمكن أن يسمى بالآثار الملموسة على سلوك الفرد – وقد يفضل بنتلى هذه الآثار بحجة أنها تعسفية – ويؤكد على السلوك الداخلى الملحوظ والملموس من بين كل الآثار . وفى ظل الوسائل الحديثة المطورة للتعامل مع ما يسمى بالعوامل الملموسة ، فإن احتجاج بنتلى لن يتماسك فى هذه الأيام. كاأن احتجاجات ترومان أيضا لاتصمد أمام انتقاد نظرية الجماعة بأنها تفشل فى ملاحظة وجود المجتمع الشامل فى دراستها للجماعات . وكما أشار أوران يونج ، فالنظرية تتجه اتجاها شبه منظم ، وتترك فراغا بسيطا للنظريات التى تتعلق بالصالح العام، والمصلحة المشتركة، أو الإرادة العامة ، والثقافة السياسية ممثلة تمثيلا ضعيفا فى « قواعد اللعبة » أو « خلفية العادة » . كما أن دور الحكومة كمولدة للمؤسسات ، والمصالح ، والمطالب والأهداف

فى المجتمع مهمل تماما . ومن الملاحظ أن النظرية الجماعية فى بداية القرن العشرين بتحدياتها للتحرر من التنافر واشتراكيتها المثالية ظلت مؤيدة للنظرية الجماعية(١) .

٥ - تعانى نظرية الجماعة من عدة نقاط الضعف الأخرى . فبينما تتمسك النظرية بتحقيق التوازن فى المجتمع ، فإنها عاجزة عن تفسير كيفية تحقيق هذا التوازن تفسيرا مقنعا . وكما فى نظريات الاقتصاد التقليدية ، فيبدو أنها تترك كل شىء « لليد الخفية » . ولا يمكن أن تترك مهمة تحقيق التوازن الاجتماعى « للعوامل المتداخلة » ، على أمل أن تحيد الصراع أو تقوى الجماعات أو الاهتمام « بقواعد اللعبة » . وفى الحقيقة ، فإننا ما لم تقنع بدور الحكومة كضابط للوظائف فى الاعتبار ، فإنه يصعب أن نفهم كيف يمكن حل الصراعات بين الجماعات وإذا توفر الاتباع الصارم للمصالح الذاتية ، التى تضع كل جماعة فى صراع دائم مع الجماعات الأخرى ، ولكون هذا السعى لتحقيق المصلحة متماسكا وقويا ، فإن الصراع بين الجماعات لا يمكن ضبطه ، ما لم تظهر بعض وسائل الضبط المؤسساتية المرادفة للحكومة . ولا زال جزءا كبيرا من فشل النظرية يكمن فى اعتبار أن الأهداف مهمة للجماعة ، وأن تحقيق الأهداف عملية أساسية فى المدخل للجماعة ، ولم يتم عمل أى محاولة لتفسير كيفية صياغة هذه الأهداف ، وتعلن ، وتطبق من جانب الجماعات المختلفة . إن مصلحة الجماعة هى التى توجه نشاطها ولكن كيف تتحدد هذه المصلحة ، ولأى غرض ، تكتشف فى مكان آخر . فالنظرية التى ينقصها تحديد الأهداف بالتأكيد تكون عاجزة عن تفسير التحول الاجتماعى . ومن المدهش أنه بينما يتحدث أصحاب نظريات الجماعة باستمرار عن « كتل من النشاط » و « العمليات الديناميكية » التى يتضمن أن التحول يعتبر أحد الحقائق الرئيسية فى نظرية الجماعة ، فلا يبدو أن هناك أى محاولة لاستخدام النظرية فى فهم وتفسير ، أو توجيه أى تحولات منظمة أو رئيسية ، فالتحولات التى تصورها النظرية تقع أساسا فى نطاق النظام المتجه نحو الاستقرار وتشير ، فى أقصى حالاتها لتحول الموازين بين الجماعات الفردية داخل النظام .

٦ - إزاء هذا الفشل الذريع لهذا المدخل ، فإنه يصعب أن نطلق عليها نظرية . وقد يقول البعض أن بنتلى نفسه لم يدع بوضع النظرية للمدخل الذى كان يقترحه ؛ فقد وصف عمله « بمحاولة لصياغة أداة » ، وأوضح أن أمثلته كانت تهدف التوضيح وليس التحديد . وكل ما ادعاه بنتلى هو أن مدخل الجماعة سوف يوفر توجيها منظما نحو الظواهر السياسية وأنه سيكون مفيدا كوسيلة مساعدة لتكوين أسئلة وفروض يمكن أن تخضع فيما بعد للفحص المنظم . وقد يوضح أيضا أنه لا يوجد أى من أصحاب نظريات الجماعة ، حتى ترومان نفسه ، قد ادعى بالوضع التام للنظرية المكتملة للمدخل ، على الرغم من أنهم استخدموا المصطلح مرارا . وعلى كل ، فإذا ما قبلنا مدخل الجماعة كمجرد أداة للبحث

---

(١) Young, Oran, Op. Cit., pp. 91-92.

التجريبى ، فإننا سنجد أنفسنا فى مواجهة العديد من الصعوبات ، وحقيقة أن الجماعة تعامل ككتلة من النشاط وليس مجموعة من الأفراد تفترض طريق الفحص التجريبى . وإذا ما تعرضت للبحث التجريبى فسوف تقبل ككيانات تنظيمية إذا تعلق الأمر بالمصالح ولكن لو ارتأى كل الأفراد هذا الرأى فسوف يكون توجيه التجمع نفسه قادرا على الاهتمام بمصالح الفرد ، والسؤال إذن هو : لماذا يشغل الفرد نفسه بأنشطة الجماعة ؟ .

فى الحقيقة ، إن أى فحص تجريبى يتطلب دراسة لسلوك الفرد ، ويتساءل يونج ، إذا لم تكن الجماعة ملحوظة فى ضوء الأفراد البشريين ، كيف يستطيع المرء أن يناقش أبعادها ، وأشكالها التنظيمية أو تكتيكاتها الخارجية على أسس مفهومة ؟(١) . فالفكرة الكلية لمصالح الجماعة ، فى الواقع ، تعامل من جانب أصحاب نظرية الجماعة بطريقة تجعل استخدامها كتقسيم وصفى ، يختلف عن نمط بناء النظرية الذى يظهر بوضوح . فالنظرية تنص على صياغة المفاهيم والتقسيم من النوع المفصل جدا . وكذلك تقوم النظرية على مفاهيم جديدة لفهم السلوك الإنسانى . ويمكن توضيح صلاحية مدخل الجماعة بعدد كبير من الأمثلة من الحياة الواقعية . وعندئذ تبطل فائدتها . وأخيرا ، يمكن أن يضيف الفرد أن النظرية ذات ارتباط ثقافى بشكل خاص لكونها تطويرا للعمليات السياسية الأمريكية . بمعنى آخر ، فإنها نظرية أمريكية ، طورها علماء سياسة أمريكية لفهم الظواهر السياسية الأمريكية(٢) . ولقد تطورت النظرية داخل نظام اجتماعى واقتصادى متقدم مثل النظام الأمريكى . وهناك عدد قليل من الدول (حتى فى العالم العربى باستثناء المجتمعات المتقدمة) تحتوى على ذلك العدد الكبير من الجماعات الثانوية ذات عضويات متشابكة منهمكة فى صراع واسع النطاق . وما وصفه أصحاب نظريات الجماعة ، « قواعد اللعبة » أو « خلفية العادة » توجد فى الأفكار المستترة عن « التماسك والإجماع » فى عدد قليل من المجتمعات من غير الولايات المتحدة . وكل ذلك لا ينقص من الفائدة الأساسية للنظرية – فكل النظريات لها ارتباطات ثقافية ، على الرغم أن بعض النظريات لها ارتباطات ثقافية أكثر من النظريات الأخرى ، لكنها بالتأكيد تبين أن تطبيق المفاهيم والتصانيف التى فى نظرية على مجتمع لا يمتلك توافر الجماعات يحتاج إلى المعالجة الدقيقة المتأنية .

القوة كأساس تنظيمي للجماعة :

إن « نظرية سلطة الدولة » ، بتأكيدها الرئيسى على تطوير قوة عسكرية فعالة بواسطة الدولة ، ظهرت فى بادئ الأمر فى ألمانيا فى القرن التاسع عشر على أيدى مؤرخين من أمثال Heinrich von Treitschke وفلاسفة من أمثال Friedrich Nietzsche والتى اعتنقها العديد من

---

(١) Ibid., p. 92.

(٢) Quoted in Arnold Brecht, Pilitical Theory.

الكتاب هناك في القرن العشرين وقد كتب Erich Kauffman في كتاب نشر عام ١٩١١ ، أن « أصل الدولة يتمثل في تنمية وزيادة واستعراض القوة بالإضافة إلى تأكيد ذاتها والمحافظة عليها » . ولم يكن الغرض الرئيس للدولة قاصرا على تنمية ، الجهود العقلية والخلقية للأمة ، التي كانت نتاجا جانبيا ، ولكنه ذو قوة هائلة . وقد كتب أن الفكرة الاجتماعية الحقيقية للدولة، «ليست جماعة من الرجال متحرري الإرادة » (كما أشار بعض الكتاب الألمان الآخرين) ، « ولكن الحرب المنتصرة » وقد كتب كوفمان أنه « في حالة الحرب ، تكشف الدولة عن معدنها الحقيقي ، فالحرب هي أعظم أداء للدولة ، تصل فيها طبيعتها الخاصة لأكمل تطور »[١] .

وكنتيجة لرد فعل ضد أنظمة الحكم الدكتاتورية في وسط أوربا والتي استمدت وجودها من مثل هذه الكتابات ، كتب عدد من علماء السياسة والفلاسفة الغربيين ضد القوة . حيث طور تشارلز ميريان Merrian بدلا من مفهوم « المصالح » عند بنتلي وكمرادف لمفهوم الكتلة والطاقة في الفيزياء ، لكتابة دراسة عن القوة السياسية في الوقت الذي تدور فيه معركة رهيبة في « برلين »[٢] وقد تعهد ميريان أن يبين في هذا الكتاب ، أن يقتطف خطته في العمل « الموقف الذي تظهر فيه السلطة إلى الوجود ، وهو تعدد لولاءات متناقضة ، متعددة القوى ، بعض أساليب أصحاب السلطة وبعض وسائل الدفاع عند من يمارس السلطة ضدهم ، والافتقار للسلطة ، والتحلل ، وانهيار والطرد من السلطة ، الاتجاهات الظاهرة للسلطة في هذه الأيام »[٣] . وعموما فإن القوة كأساس تنظيمي للجماعة قد تعرضت هي الأخرى لعديد من الانتقادات يمكن إجمالها فيما يلي :

١ - إن أكبر نقاط الضعف في كتابات ميريان عن القوة تتركز في أنه لا يستطيع أن يميز بين القوة والسلطة . فالقوة هي أداة للقهر ولها أثر عضوي . أما السلطة فيمكن أن تقوم على الموافقة ولكنها ربما تكون أكثر فعالية من القوة . وهناك كثير من المؤسسات السياسية والاجتماعية تمارس سلطات ضخمة ولكنها قائمة على الموافقة وحدها . وإن سلطة المدرس ، والصحفي أو الموظف العام لا تبنى على القوة ، ومع ذلك فهي محترمة بدرجة كبيرة . ويستخدم ميريان المصطلحين في نفس الوقت ، ولكونه لم يستطع التمييز بين القوة والسلطة ، فإنه يلجأ بعنف إلى توسيع السلطة على أوسع نطاق .

٢ - كان برتراند راسل ، الفليسوف ، هو الذي ندد بشدة بدور القوة . وقد اعتقد راسل أن المساواة في القوة ، الذي يمكن ضمانه بنزع القوة كان شرطا أهم للحرية البشرية من

---

(١) The Times of India Press, Bombag, 1970, p. 345. Merriam, Charles E. "The Education of Charles Merriam" in white Leonard (ed.), The Future of the Government in the United States, 1942, pp. 12 - 13.

(٢) Merriam, Charles, Political Power, New York, 1934.

(٣) Russell, Bertrand, Principles of Social Reconstruction, London, George Allen & Enwin, 1920, p47.

المساواة فى الثروة وتشتيتها . وأن تركيز القوة السياسية فى يد الدولة . سواء كانت دولة رأسمالية أو شيوعية ، يدمر الإبداع البشرى مثل تركيز القوة الاقتصادية تماما . فالسلطة بأى شكل من الأشكال كانت تناقض الحرية عند راسل . فقد كان يعارض كل حياة منظمة ، سواء كان ذلك فى نطاق الدين أو الاقتصاد أو السياسة واعتبرها كمعوق للإبداع الحر . وقد حاول راسل أن يساند حجته ضد السلطة بتحليل للطبيعة البشرية[1] . واعتقد أن زيادة سلطة الدولة كان خطرا فى المجال الدولى والمجال الداخلى أيضا - أى أنها تؤذى الذين يستخدمونها والذين تستخدم ضدهم . « فالناس الذين تعودوا على السلطة لا يصلحون للمفاوضات الودية (مع الحكومات الأجنبية). ومن جهة أخرى ، فإن اتساع تنظيم الدولة يشيع بين مواطنى الدولة إحساسا بالعجز والضعف بالنسبة للقضايا العامة .. والدول الحديثة ، على النقيض من دولة المدينة فى اليونان القديمة ، تترك فراغا بسيطا للإبداع وتفشل فى أن تربى فى أى رجل أى إحساس بالقدرة على مصائرهم السياسية . ويكتب فى مكان آخر أن التعود على السلطة ، يقوى الإحساس أو غريزة المنافسة ، وعلى هذا فالدولة التى تتركز فيها السلطة ستكون أكثر ميلا للقتال من البلاد التى تتوزع فيها السلطة[2] وعلى هذا الأساس ، عارض راسل الشيوعية ، التى رأى فيها « مؤسسة من الأرستقراطية البيروقراطية تركز السلطة فى أيديها وتخلق نظام حكم عدوانى قاسيا كالنظام الرأسمالى ذاته » فالدكتاتورية الشيوعية وأساليبها العنيفة ، من وجهة نظر راسل تضر بالقضية التى يدافعون عنها . وأن هذا الخطر « متأصل فى تركيز السلطة » الذى كان حتميا فى كل النظامين . وطيلة حياته فقد نادى راسل بتنظيم الحياة السياسية بطريقة لا تجعلها تتركز فى جماعة صغيرة .

٣ - حاول جورج كاتلن Catlen أن يطور نظرية منظمة أو إطارا مفهوميا لعلم السياسة وقد وضع السلطة فى المركز . ويمكن النظر للسياسة على أنها دراسة الحكومة » إذا كانت الحكومة تعنى « السيطرة » . وقد تبنى كاتلن تعريف ماكس فيبر للسياسة والذى يعرف السياسة بأنها الصراع على السلطة أو التأثير فيمن يحتلون السلطة » . كما أنه يرى أن مجال علم السياسة هو « مجال دراسة وسائل السيطرة الاجتماعية ، أو إذا أردنا التسييس ، التى يعنى بها « تميز الطريقة عن طريقة دراسة الوظيفة لتحديد علاقة إرادة الإنسان وحتى الحيوان » وأن عملية السياسة المتميزة فى مجالات أخرى غير المجال المدنى ، وأن افتراضات استخدام القوة تعتبر من جانب كاتلن « بمثابة التغيير الثورى فى علم السياسة » فى السنوات الأخيرة والتى

---

(١) Russell, Bertrand, The Practice and Theory of Bolshevism, London, George Alelen & Unwin, 920, p. 90.

(٢) Caltin, George, "Political Theory: What is it?" in Grould, James & Vincent Thurshy (eds.), Contemporary Political Thought Issues in Scope Value and Direction, Hoft, Rinehart and Winston, Inc., 1962, pp. 28 - 31.

أثرت تأثيرا خطيرا فى هذا العلم . ويؤكد كاتلن على أن « الوحدة فى علم السياسة هى عمل الفرد من أجل السيطرة » . وعلى هذا ، تكون السياسة هى « علاقة سيطرة لإرادات » . ويعتبر كاتلن نفسه من علماء النفس على غرار جراهام والاس وجيمس برايس وحاول أن يبرر نظريته عن السلطة بالاستعانة بعلم النفس . ويرى كاتلن أن علم السياسة يعنى دراسة « ظواهر السيطرة مع وجود الفرض التقليدى الذى ينص على وجود دافع أساسى كعامل محدد للسيطرة رغم أن هذا الدافع ليس مفهوما فهما جيدا » ويمكن وصف هذا التعريف بأنه « علم السلطة »[1] .

وبينما كتب الكثير عن تمركز السلطة ، فإن المفهوم لم يلق التحليل الدقيق حتى الآن من جانب أى من علماء السياسة ، ويحاول كاتلن أن يقوم بهذا التحليل . ونستطيع أن نقول أن « الدافع للقوة » لم يكن دافعا نفسيا باستمرار ولكنه قد يكون دافعا فرضيا ، وحتى قد يكون الدافع عقابيا . ولكن لا يمكن استبعاده على أنه شر . كما لا يمكن معاملة حالات « الانسحاب » و« السلبية » التى تنبع من الرغبة فى أن يكون الفرد مدفوعا أو معقودا بالهروب المطلق من الواقع – كعوامل ناقصة للافتراض . وفى الحقيقة ، يمكن استخدام القوة أحيانا بشكل أكثر فاعلية وذلك بنبذها (كما فعل غاندى) ليس باكتسابها .. إن التنظيم الاجتماعى يقوم على سيطرة شخص أوسيطرة الجماعة على الفرد، أوجماعة على جماعة ، أن تنظيم المؤسسات يبزغ لكى يضمن وجود تلك السيطرة . ويقول كاتلن : « تلك السيطرة تنبع من المطالب المعتادة للبشر حتى فى بحثهم عن حريتهم الكاملة ، وأنها لا تظهر للوجود ببساطة لأن المجتمع يجب أن يعرضها كنوع من الآلية أوكنتاج من المدنية، على الطبيعة التى لم تفسد للإنسان البدائى.

إن كاتلن مقتنع تماما أن الطبيعة البشرية لا تتطلب تلك السيطرة فقط ولكنها فى حاجة إليها .. « أن العلاقة الارتباطية للثنائى المتناقض تطالب بالحرية والسلطة » ، يعتبرها كاتلن أصلا لعلم السياسة ويقارن بينها وبين العلاقة الارتباطية بين العرض والطلب والأسعار التنافسية فى الاقتصاد . وفى تحليله لمفهوم القوة ، يوضح كاتلن أنها لا ترتبط بما كان يعرف بمركز القوة أو السيطرة أو القوة العسكرية . وفى انتقاده لمبدأ مورجنتو الشهير الذى يقول : « مهما كانت الأهداف المطلقة للسياسة الدولية ، فإن السلطة هى الهدف العاجل » فإن كاتلن يقترح أن التعاون أيضا قد يكون شكلا من أشكال القوة ، « ربما يكون أكثر عمقا وأكثر صعوبة فى التكوين ، ولكنه أكثر ثباتا من السيطرة » .

٤ – عندما نصل إلى لاسويل أو كابلان فإننا نجد تحليلا مفصلا لمفهوم القوة . وقد كتبا قائلين : « إن مفهوم القوة هو المحور الأساسى فى علم السياسة أو العملية السياسية التى هى عملية تشكيل وتوزيع وممارسة القوة » بمعنى أوسع ، لكل قيم الاحترام ، أو التأثير بشكل عام » . ويستشهد لاسويل بآراء كاتلن موافقا عليها وهى « أن السياسة ، كدراسة نظرية ،

---

(١) Caltin, George, Science and Method of Politics, Alfred Knopf, 1972. pp. 210 - 11, p. 262.

تهتم بدراسة علاقات الناس ، فى حالة الاتحاد والتنافس ، الخضوع والسيطرة ، وهى ليست إنتاجا ولااستهلاكا لبعض السلع ، وإنما لترسم لهم الطريق مع أقرانهم » ... إن كل ما يبحث عنه الرجال فى مفاوضاتهم السياسية هو القوة[1] . كما أن لاسويل يميز أيضا بين المفهوم العام للقوة وبين شكله المحدد كما يطبق فى السياسة . ويمكن تطبيق تعريف راسل للقوة بأنها إنتاج الآثار المقصودة » على الأشخاص والجماعات أيضا . ولكن القوة بمعناها السياسى لا يمكن اعتبارها على أنها القدرة على إنتاج الآثار المقصودة بشكل عام ولكن الآثار التى تشمل أشخاصا آخرين بشكل مباشر ، وعلى هذا يمكن تمييز القوة السياسية عن السيطرة على الطبيعة أو السيطرة على أشخاص آخرين . وقد عرف فريدريك القوة بأنها نوع معين من العلاقة البشرية »[2] . وعرفها تونى بأنها قدرة فرد أو مجموعة من الأفراد على تعديل سلوك أفراد آخرين أو مجموعات من الأفراد الآخرين طبقا للطريقة التى يرتضيها »[3] . ويكتب لاسويل مؤيدا لفكرة القوة كمشاركة فى صنع القرار .

إن صناعة القرار عملية مشتركة بين الأشخاص : « السياسات التى يتبعها الآخرون هى ما يتم الاتفاق عليه . والقوة كمشاركة فى صنع القرار هى علاقة مشتركة بين الأشخاص » ويتفق مع فريدريك عندما يقول أنه ليست الأشياء ولا الأفكار « قوة تؤخذ بذاتها ، وأنه لكى تحولها إلى قوة ، فيجب أن يجد الباحث عن القوة بشرا يقدرون هذه الأشياء بشكل كاف لكى يطيعوا أوامره فى المقابل » .

وليست مسألة « السلطة لمن » هى التى يجب تقريرها ، ولكن أيضا « القوة فى حالات وحالات خاصة » فالشخص « ب » والشخص « أ » قد يحصل كل منهما على القوة على « جـ » ولكن بالنسبة لمجالات سلوك الشخص « أ » . وعلى المرء أن يضع فى الاعتبار توفر واستخدام العقوبات « لإنتاج التأثيرات المقصودة على الأشخاص الآخرين » فى حالة عدم ظهور التأثيرات المقصودة . وإن التهديد بالعقوبة هو الذى يفرق بين القوة والتأثير بشكل عام . ويرى لازويل أن القوة هى « حالة خاصة من حالات ممارسة التأثير » ، « وعملية التأثير فى سياسات الآخرين بمساعدة وسائل الحرمان ، بسبب عدم اتباع السياسة المقصودة » .

ويرى لاسويل نفسه فى حالة اتفاق تام مع ميريان فى نبذ فكرة أن ممارسة القوة يرتكز دائما ، أو حتى بشكل عام ، على العنف أو أن أصل موقف القوة هو الشدة ، بمعنى العنف ، والتوجس العضوى . وقد ترتكز القوة على الإيمان والولاء ، العادة واللامبالاة والمصالح ، والقوة تشمل سيطرة فعالة على السياسة ، فالوسائل التى تجعل السيطرة فعالة قد تكون عديدة ومختلفة .

---

(١) Friedrich, CJ., Constitutional Government and Politics, Harper, 1937, pp. 12 - 14.

(٢) Tawney, R.H. Equality, Harcourt, Brace, 1931, p. 230.

(٣) Michels, Roberto, Political Parties, Hearst International Library, p. 207.

ويهتم علم السياسة بالقوة بشكل عام ، وبكل الأشكال التى تحدث بها . والقوة السياسية اصطلاح معقد يستلزم دائما أشكالا أخرى من القوة ، مثل الثروة وقوة التسلح والسلطة المدنية والتأثير على الرأى . وأخيرا فإنه لا يمكن أن يعتبر أى شكل من القوة تابعا لشكل آخر وأن مفهوم السياسى أى رجل السياسة ، الذى يتطلب مضاعفة سلطاته أيا كانت القيم السائدة ، والذى يتوقع أن يكون سياسيا لكى يقرر السياسة والذى يتحالف مع الآخرين كوسيلة لتعزيز موقفه السياسى يعتبر فكرة مثالية موجودة فى التاريخ البشرى ولكن لا يمكن تحقيقها نفس الغرض فى علم السياسة كالمفهوم الذى يقوم به رجل الاقتصاد ، فى تاريخ النظرية الاقتصادية الجادة . وإن الرأى الذى يعتنقه هوبز والذى يقول بأن تعلق الإنسان كان « رغبة مستمرة وقلقة للوصول إلى القوة تلو القوة ، ولا يوقفه عن ذلك إلا الموت » أو إعادة صياغة مثل « إن الذى يكتسب القوة سوف يحاول تدعيمها وتزويدها باستمرار »[1] ، هذه الآراء تعتبر علامات للحكم على مدى انحراف الموقف المحدد عن الصورة النظرية وأن حالات الأفراد الذين يضحون بالسلطة من أجل الاحترام ، والثروة والقيم الأخرى ، ليست غير شائعة . وليس من الصحيح أن نقول أن القوة وحدها هى التى تحدد القوة . إن مجال ووزن ، ونطاق القوة لا يمكن تحديدها بواسطة عدد محدد من العوامل الفنية وبالنظام الاجتماعى أو الإضافات « فالقوة قابلة التوزيع ، ويهدف علم السياسة إلى تحديد كيف وعلى أى أساس توزع » .

التقويم :

إن « نظرية الصفوة » ، « ونظرية الجماعة » ، « ونظرية القوة » ترتبط جميعها أوثق ارتباط .

وكما يوضح ميهان ، فى التحليل النهائى تهتم كل هذا النظريات بالقوة . وإن نظرية الصفوة ، وخاصة فى شكلها الأول ، تقصر دراسة السياسة فيها على دراسة علاقات القوة . وينطبق نفس الشيء على نظرية الجماعة . ويكتب روى س . ماكريديس « أن ترتيب القوة هو فى الأساس ترتيب للمصالح المتصارعة والمتنافسة التى تنظم فى شكل مصالح » وبدون قاعدة مفهومية كافية لدراسة القوة ، فإن كلا من نظرية النخبة ونظرية الجماعة سوف تفقد نفعها . وعلى هذا فإن القوة ، كما اكتشف لاسويل وكابلان . يمكن أن تكون مفهوما صعب الربط . وإذا ما اعتبرنا القوة كعامل متشابه للنفوذ فى الاقتصاد ، فسوف نصطدم بالصعوبة التى تبين أنه بينما تستطيع النقود شراء أى شيء مادى ، فهناك عدة قطاعات فى الحياة السياسية تكون فيها القوة ، التى أثبتت فعاليتها فى قطاعات أخرى ، غير فعالة تماما .

---

(١) Lesswell, Harold, Op. Cit., p. 96.

والنظريات التى نوقشت سابقا ، تبين على سوء فهم خطير لنوع المشاكل التى يفترض أن يواجهها علم السياسة . وإن المحتوى الرئيسى « للسياسة » لا يمكن تعريفه أو تحديده ، كما شعر بذلك المفكرون السياسيون منذ وقت طويل . ومن جهة أخرى ، فإن دعاة تلك النظريات ، كانوا يحاولون تطوير « نظرية سياسية » فالسياسة بوضوح ليست ظاهرة لكنها تنتظم بسلسلة واسعة من الأنشطة بألا يرتبط أى منها ارتباطا وثيقا بالمعنى الرئيسى « للسياسة . » ولا يمكن التعرف على أى نظام من موضوعاتها ، أكان سياسة أم فيزياء « هكذا يقول ميهان ، » ويعتبر طلب نظرية فى السياسة شىء بلا معنى كما لو طلب نظرية فى الفيزياء » وفى نفس الوقت لا يمكن التقليل من أهمية أى من تلك النظريات . فالنخب ، والجماعات والقوة ، كلها تؤدى أدوارا رئيسية فى تشكيل الظواهر السياسية . فلا يمكن دراسة السياسة دراسة صحيحة بدون تحديد الطبقة الحاكمة أو الطوائف الحاكمة والمحكومة . والسياسة تؤدى وظيفتها ، على العموم ، من خلال الجماعات ، برغم أن أهمية تلك المجموعات لا تعنى أن نغض النظر عن الفرد أو المجتمع . وقد كان مورجنتاو Morgenthau على حق عندما قال أن مفهوم القوة يساعدنا كثيرا فى توفير نوع من « التحديد المنطقى للسياسة أو خريطة لعلم السياسة » ، ولكنه أخطأ فى الاعتقاد بأنه يمكن أن يخدم الأغراض المعيارية والتفسيرية على السواء . فالصفوة والجماعة والقوة ، على هذا ، تخدم مفاهيم وصفية . ولكن أى منها لا يصلح كإطار مفهومى ، بفعل كثيرا عن النظرية فى السياسة . فالظاهرة السياسية لا يمكن تفسيرها تماما إما فى ضوء دور الطوائف ، وتكون الجماهير من الأهمية بحيث لا يمكن تجاهلها ، أو على ضوء الجماعة إلا إذا اعتبرنا الجماعات متداخلة كما حاول بنتلى أن يصورها ، كما أنه لا يمكن معاملة القوة – كما بدأ موجنتو أن يعاملها كعامل نهائى وأساسى فى تشكيل السياسة .

الباب الرابع

اليسار الجديد فى غرب اوروبا
والولايات المتحدة الامريكية

الفصل الأول

الحرب الباردة واليسار الاوروبى الجديد بعد عام ١٩٤٥.

الفصل الثانى

اليسار البريطانى وازمتا المجر والسويس ١٩٥٦ - ١٩٥٧.

الفصل الثالث

اليسار الامريكى الجديد .

الفصل الأول

الحرب الباردة واليسار الاوروبى الجديد بعد عام ١٩٤٥

اضطراب اليسار الأوروبى - غرب أوربا ، ما بعد ستالين - المنشقون الجدد - اليسار الجديد فى فرنسا - التجمع السياسى الجديد فى بريطانيا - فشل اليسار البريطانى القديم - قضايا اليسار البريطانى (برنامج حزب العمال) - مولد اليسار الجديد فى بريطانيا وردود الفعل .

بذل علماء السياسة جهودا ملموسة لإبراز مكانة علم السياسة بين العلوم الاجتماعية ، غير أن هذه الجهود التى عكست أيضا القلق وعدم الرضا على النتائج التى يتم التوصل إليها فى الدراسات السياسية - قد جعلتهم يتجهون من مجال التنظير إلى التفسير والتعليل حتى أن القرن العشرين قد شهد فى النصف الثانى منه الكثير من الإنجازات فى مجالات البحوث السياسية التطبيقية التى غرزتها بالطبع أدوات منهجية .

وفى هذا الإطار فقد أدى الشعور الليبرالى - الذى ساد الرأى العام الأوروبى والأمريكى عقب الحرب العالمية الثانية - إلى انقسام بين فصائل اليسار - فكريا وتطبيقيا - وخاصة من ثنايا ما أفرزته خطط الانعاش الاقتصادى من جانبى الولايات المتحدة لدول غربى أوروبا وصعود نجم تيار اليمين لينحسر اليسار القديم بفكره التقليدى والاستفادة - على سبيل المثال - من آراء الاقتصادى الذائع الصين جون ماينارد كينز فضلا عن التغيرات الاجتماعية ، وهذه العوامل أدت إلى بروز تيار سياسى يسارى يتسم بالاعتدال فى إطار حركية ديمقراطية نيابية .

وسوف نحاول فى هذا الباب تفسير « ظاهرة » اليسار الجديد التى سادت الفكر السياسى الأوروبى والأمريكى فى رؤيته للاشتراكية والديمقراطية والمسئولية الأخلاقية الشعبية وتأثير جهود علم الاجتماع السياسى .

إن تحقيق التكامل المنهجى لهذه الدراسة - من حيث الربط بين النظرية والتطبيق - قد استلزمت عرض أفكار اليسار الجديد وجهود العديد من لكتاب الأوروبيين والأمريكيين لإبراز آرائهم تجاه المدخل السلوكى الذى ساد أيضا نظم غرب أوروبا ، فهدف البحث السلوكى الذى سبقت الاشارة إليه هو شرح وتفسير أسباب بروز اليسار الجديد سياسيا وتحليل سلوك وتصرفات وأفعال الطلاب والعمال وهو ما يطلق عليه السلوكية المتأخرة أو ما بعد الثورة السلوكية .

وفى هذا السياق تمت معالجة هذا الباب فى فصول ثلاثة تناولت اليسار الأوروبى الجديد بعد عام ١٩٤٥ وأوضاعه فى فترة الحرب الباردة وردود فعل جهود كتاب اليسار الجديد على الرأى العام الغربى عموما تجاه أزمتى المجر والسويس ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ثم اليسار الأمريكى الجديد وأوجه الشبه والاختلاف بينه وبين اليسار الأوروبى الجديد والتقدمية الأمريكية .

الفصل الأول

الحرب الباردة واليسار الأوروبى الجديد بعد عام ١٩٤٥

اضطراب اليسار الأوروبى :

لوحظ عقب الحرب العالمية الثانية أن قطاعات من الرأى العام الأوروبى تميل نحو اليسار . وفى بريطانيا أدى هذا الشعور الليبرالى والشعبى إلى وصول حزب العمال للسلطة بعد أن اتخذ كل من الحزبين الاشتراكى والشيوعى طابعا أقوى من ذى قبل ، وفى فرنسا وإيطاليا زادت نسبة التصويت لصالح الحزب الشيوعى فى كل منهما مما أدى إلى تراجع التيار اليمينى فيهما(١) .

غير أنه فى غضون عقد من الزمن حدثت انشقاقات فى اليسار الأوروبى متخذة خطوطا متشابهه فانحسرت تيارات وإنحاز جانب منها إلى مفهوم العالم الحر فى الغرب بينما دان جانب آخر بالولاء للمعسكر الشرقى . أما الجانب الثالث فقد اتخذ أصحابه صورة اشتراكية مستقلة بين الدولتين الأعظم وأدى ذلك إلى انعزال هذا الطريق عن كلا الجانبين السابقين وقد نتج هذا الانقسام بين فصائل اليسار الأوروبى عن ملابسات الحرب الباردة التى قسمت العالم إلى كتلتين متعارضتين بسبب الهيمنة الاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . ويعبر أحد أعضاء الحزب الشيوعى الفرنسى عن الشعور الناشئ آنذاك :

« إننا كنا نحارب الشر المطلق ، وكان علينا أن نقبل وجهة النظر المكيافيلليه . وكما أن العالم يحمل بين جنباته مفهوم الفساد والانحلال ، إلا أن هناك أيضا مفهوم الخير المطلق : ومن هنا رحبنا بمبادئ « ستالين » باسم روح الحزب الشيوعى الفرنسى »(٢) .

أما بالنسبة لبريطانيا فقد شهدت السنوات الأولى للحرب الباردة مزيدا من الارتباك وتخبط اليسار هناك .

وبالرغم من أن السياسة الأمريكية قد اتخذت مظهرا متشددا إلا أنه لم يكن فى استطاعة اليسار الأوروبى الموافقة ببساطة على الشيوعية السوفيتية على أنها البديل الشرعى للسياسات الاشتراكية ، إذ أن كثيرا من سمات هذه الشيوعية يمكن تحديدها على أنها معادية للأفكار الاشتراكية تلك التى تمت من خلال خبرة تاريخية أكثر اعتدالا(٣) ونعنى بها تلك الأفكار

---

(١) وهو ما عبر عنه والتر لاكير – راجع :

Laqueaur, Walter: "Europe Since Hitler" Penguin Books, 1972, PP 39 - 42.

(٢) Garoudy Roger "Marxism in the twentieth Century" "London, 1970", PP. 12 - 15.

(٣) Williams, Roymond, Led. "May Day Manifes to 1968", "Penguin Books, 1970" PP. 86 - 89.

التى تمت أساسا فى الغرب (تجربة روبرت أوين) فى القرن التاسع عشر . غير أنه يمكننا القول - بقدر معقول من الثقة - أن مصدر الأفكار الاشتراكية فى غرب أوروبا هو نفس مصدر تلك الأفكار فى الدول الاشتراكية .

وهكذا أدت الحرب الباردة إلى اضطراب فصائل اليسار الأوروبى والمزيد من صور الانقسام ؛ والاضطراب الذى اتضحت صورته أكثر من خلال برامج الولايات المتحدة الأمريكية للإنعاش الاقتصادى لدول أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية مما نتج عنه صعود نجم التيار اليمينى من خلال تأييد ودعم القوى المحافظة . ففى عام ١٩٥٠ تيقن حزب العمال البريطانى بأن اتجاه حزب المحافظين ليس نحو تحقيق دولة الرفاهة وإنما إلى ارتفاع فى نسبة البطالة . فى حين احتفظ الاتجاه الشيوعى بتوقعات الماركسية حول تطلعات الطبقة العاملة والانهيار الحتمى للرأسمالية . غير أن الانتقال التدريجى لتحقيق اقتصاد يعتمد على آراء الاقتصادى « جون ماينرد كينز » باستخدام الوسائل التكنولوجية لمقاومة الأزمات وهو يشبه ما حدث عشية الحرب العالمية الثانية - فقد تمت الاستفادة من تحليلات خبرات الثلاثينات وفى هذه الملابسات تحرك اليسار الأوروبى ببطء - هذا إذا أخذنا فى الحسبان أيضا ظروف الحرب الباردة - حيث أخذ يتكيف مع هذه التغييرات الاجتماعية والاقتصادية - وكتب أحد الباحثين الأمريكيين "Daniel Bell" قائلا :

« إن إحدى الحقائق الاجتماعية ذات الدلالة فى هذه الفترة هو الاضطراب الذى أصاب الفكر الاشتراكى فى أوروبا بصفة عامة وبريطانيا على وجه الخصوص »[١] .

ونظرا للضعف الذى أصاب مبادرات قوة الدفع الشعبى عام ١٩٤٥ ، فقد اتجه اليسار إلى أسلوب البيروقراطية والمركزية ، وجاءت التطورات فى بقية المجتمع متوازية مما نتج عنه تضاؤل فى نسبة عضويته فى أوروبا وسادت اللامبالاة مؤدية إلى روح اليأس فى التيار الاشتراكى .

وقد عبر أحد الاشتراكيين المستقلين فى بريطانيا عن انطباعته قائلا :

« إننى لست شيوعيا ولا ديمقراطيا اشتراكيا لأننى اعتبرهما أسسا للمركزية والبيروقراطية »[٢] .

ثم أعقب ذلك اتجاهات ثلاثة وضعت اليسار الأوروبى على قمة الحرب الباردة هى :

١ - انهيار الدولية الاشتراكية .

---

(١) Bell, Doniel, "Len Counter", Vol. 9 "June, 1954", P. 13.

(٢) G. D. H. Cole.

والفقرة الواردة فى المتن مقتبسة بواسطة

P. Sedqwick, "Varieties of Socialist thought in B. Grek and W. A. Robs on Leds, Protest and Discontent", "Penguin, 1970", P. 37.

٢ – تحويل النظرية إلى مبدأ ، وبقول آخر الفشل فى تكوين أى تحليل اشتراكى ليتصل بمجتمع ما بعد الحرب .

٣ – وأخيرا البيروقراطية الشديدة التى اتسم بها الأعضاء السياسيون فى الحركات العمالية المتباينة .

ومن هنا فقد برز منذ منتصف الخمسينات التيار المعتدل ، فمن ناحية ارتبطت الديمقراطية مع حركية الديمقراطية البرلمانية ودعاة تحالف شمال الأطلنطى ، ومن ناحية أخرى شاركت الشيوعية الثورية الحديثة ولكنها قامت بإصلاحات متزايدة فى التطبيق وقد لوحظ الدور المتصاعد لموسكو فى إملاء سياستها بهذا الصدد .

ومع ذلك فقد ظهرت خلال هذا العقد جماعات فى أوروبا تتحدى الزعامات الدولية واشتركت فصائل جديدة من المنشقين والمرتدين الماركسيين والإنسانيين الاشتراكيين واليسار الجديد فى إدراكهم للفصل بين الشعار والحقيقة والأيديولوجية والتطبيق داخل أحزاب اليسار القائم وبالتالى فقد أكدت على مفاهيم الاشتراكية والديمقراطية والقانون الأخلاقى لرؤيتهم الاشتراكية .

وعلى جانبى الستار الحديدى كان الانشقاق شديدا بسبب مبادئ ستالين وحتى عام ١٩٥٣ – وهى السنة التى توفى فيها ستالين » – ظهرت بوادر الحركات الأولى على المستويين الفكرى والتطبيقى من خلال ديمقراطية الشعب فى شرق أوروبا حيث حدثت مراجعة نظرية للماركسية وسارت جنبا إلى جنب مع التمرد الشعبى ضد الهيمنة السوفيتية . كما كان رد الفعل مشابها لدى الأحزاب الشيوعية فى الغرب باستثناء التأثيرات الهامة نظرًا لوجود الاختلافات الآتية :

أولا : أن مجرد التصحيح بالتفسير الجديد للماركسية الجديدة أولا وذلك بتحدى احتكار الحزب (فى الحقيقة) كان يحمل فى طياته معانى تشكل حدثا مباشرًا يدفع للانقلاب السياسى .

ثانيا : أن غياب صيغة للديمقراطية الاشتراكية قد أذابت أى نوع من أنواع الخطأ الذى شعر به بعض الاشتراكين البريطانيين بعد خبرة حكومة حزب العمال .

وبذلك فإن المقارنة بين الشرق والغرب قد أفادت – فقط – فى تفهم جذور الأبعاد الدولية لليسار الجديد .

غرب أوروبا – مابعد « ستالين » :

تجدر الإشارة إلى أن المنضمين إلى الأحزاب الشيوعية فى شرق أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية قد وجدوا أنفسهم أسرى فكر سياسى معين وأصابهم الأحباط لعجزهم عن بناء المجتمع الاشتراكى الذى يتطلعون إلى تحقيقه من خلال الصفوة الحاكمة .

وبعد إدانة « خروتشوف » للسياسة التى كان ينهجها ستالين » وذلك فى خطابه إلى المؤتمر العشرين للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى فى فبراير سنة ١٩٥٦ فقد بدأت الصفوة

المثقفة فى بولندا والمجر فى إعادة تقييم النظرية الماركسية من خلال طرحها للمناظرات الشعبية وفى ضوء تصريحات « خروتشوف » وكانت أولى النتائج السريعة هى الحتمية التاريخية لصالح الحكم الفردى أيا كانت مبرراته أو ضرواته « وأنه لا يمكن إعفاء أى فرد من واجبه المعنوى فى محاربة النظام أو الحكم أو المبدأ أو الظروف الاجتماعية الفاسدة أو الذى يراها غير – إنسانية وذلك من ثنايا اللجوء إلى الحوار الذى تمليه الضرورة التاريخية »[١] .

كان لهذا التأكيد على المسئولية الأخلاقية الشعبية تأثيرها الجوهرى فى تشجيع المطالبة بالديمقراطية وحرية التعبير وحرية الانتخابات حتى يكون ذلك آداة ردع تحد من غلواء البوليس السياسى وبيروقراطية الدولة[٢]. كما أدى هذا النقض للسوفيت والملابسات المستوحاة من النظام السوفيتى إلى مزيد من الترشيد الأيديولوجى ومن ثم فإن الماركسية يجب أن تخضع لنفس المعايير التى يخضع لها التحقيق العلمى فى أى من ميادين الفكر .[٣] وظهرت المساهمات الجديدة لعلم الاجتماع فى الغرب والتى كانت من الأهمية بمكان كرد فعل ضد اللينين والتى أصبحت من وجهة النظر السوسيولوجية غير قابلة للتطبيق فى شرق أوروبا . وفى ذلك الوقت وضعت المخطوطات الاقتصادية والفلسفية التى كتبها ماركس عام ١٨٤٤ فى بؤرة مناقشة العلاقات بين الماركسية المعاصرة والأيديولوجية السوفيتية فى مصادرها الأولى . وأكدت التصحيحات الاشتراكية موقفها فى مواجهة الستالينية واللينينية وأسس هذه الأخيرة المتعلقة بمركز الديمقراطية ، وطالبت الحركة التصحيحية بديمقراطية لا مركزية تنبع من مجالس العمال التى كانت تقف ضد الإمبريالية السوفيتية والتأكيد على حق كل شعب فى تقرير مصيره .

وهذا التراجع عن الماركسية فى شرق أوروبا انعكس بقوة على تطورات مماثلة فى غرب أوروبا وأنذر بهبوب رياح تغيير جديدة خاصة بعد جهود فئات المثقفين والعمال فى المجر بمقاومة وطرد « السوفيتية » وكان باعثا هاما على نمو اليسار الجديد فى الغرب . حيث كتب باحث بارز ينتمى لليسار فى بريطانيا هو ثومبسون قائلا :

« فى لحظة الحقيقة ، يجد المنشقون من كل جانب من خلال انتشار الأيديولوجية حلفاءهم الحقيقيين ليس فى داخل معسكرهم وإنما بين المنشقين فى الأجانب الآخر »[٤] .

المنشقون الجدد :

شارك المنشقون الجدد مشاركة إيجابية وفعالة فى مراجعة الماركسية سواء فى تفسير الظاهرة الستالينية أو فى استقطاب خبرة أجنبية فى الفترة اللاحقة للحرب العالمية الثانية . وتضمنت

---

(١) الفقرة الواردة فى المتن مقتبسة من L. Labedz (ed.). Revisionism (Allen and Unwin. London. 1962). P8

(٢) Ibid P. 18.

(٣) Ibid. pp. 19 - 25.

(٤) E. P. Thompson. The New Left in Britain, The listener. 1967. p. 378.

خطط « المراجعة » إعادة التلاحم بين النظرية والتطبيق وإيجاد تحليل واضح للتناقضات الكامنة بين النظام الاجتماعي وأن يتم ذلك تحت مظلة اليسار الجديد في الغرب . وهناك نقطة أخرى لا تقل أهمية وهي تطابق النظرية مع التطبيق في الأحزاب الديمقراطية الاشتراكية .

ولم تكد تمضي عشر سنوات حتى كان هناك اعتراف رسمي بتغيير توجيهات السياسة الديمقرطية الاشتراكية ؛ وهو ما يستدعي وقفة للتفسير والتعليل ، ففي عام ١٩٥٩ حاول تيار ألماني يساري .S.P.D تطوير نفسه من حزب للطبقة – أي ذلك الذي يقصر – اهتمامه على الطبقة – إلى حزب لكل الشعب يعطي اهتماما أكثر للعدالة الاجتماعية (Social Justic) في ظل الهيكل الاجتماعي القائم وفي نفس الوقت كانت هناك محاولات أخرى تطوريه تنسب إلى Gaitskell تسير في اتجاه مواز حول دور أكثر فعالية لحزب السلطة بالمقارنة بدور حزب المعارضة أو أحزاب المعارضة برمتها . وقد استمرت هذه الحركة عمليا خلال هذا العقد ونتج عنها الاتفاق بين الاشتراكي الفرنسي « جي موليه Mollet ونظيره البريطاني « انتوني ايدن » Eden في عدوان السويس ١٩٥٦ .

ويستخلص والتر لاكوير Walter Lacqueir نتيجة مفادها أن الأحزاب السياسية من خلال هذا الاتفاق قد تجاهلت تراثها الاشتراكي ولم ينجح حزب اشتراكي واحد في الغرب في الاحتفاظ بصحافة مؤثرة أو دار نشر كبيرة وكانت السياسة تهتم أكثر بالقضايا التي تواجه الأحزاب السياسية . فالشعور العام كان موجها نحو مجتمع صناعي حديث ولم تعد النظرية بذات بال[1] .

إن غياب النظرية وعدم قدرة الاشتراكية الديمقراطية على تعزيز التضامن مع الرأسمالية الأوربية قد أدى إلى حدوث تدهور على المستوى الانتخابي وانسحاب مؤازرة المثقفين وفي الوقت الذي بدأ الشيوعيون المعادون للماركسية في إعادة قراءة الماركسية ، وكذلك فعل الديمقراطيون الاشتراكيون . وكلا الفريقين لم يكونا مقتنعين بالإصلاحات الحكومية السوفيتية والمطالبة بإعادة النظر في التراث الماركسي تجاه الديمقراطية الاشتراكية بهدف إعادة بناء الإنسانية الثورية . ومن ثم فإن اليسار الجديد في بريطانيا لم يكن سوى ظاهرة لحركة إنسانية في ظل من الفكر الشيوعي المتسلط والديمقراطية الاجتماعية بهدف صياغة نظرية وممارسة الاشتراكية الإنسانية . وفي نفس الوقت فقد كان للتجربة الفرنسية خصائصها المميزة ، فالجناح اليساري الاشتراكي كان عليه أن يتصالح مع الحزب الشيوعي[2] فضلا عن ضرورة تحديد موقفه وجها لوجه أمام حزب العمال البريطاني وهو ما يقتضي وقفة لتفسير أوضاع اليسار الفرنسي .

---

(١) Laquear, op. Cit p. 155.

(٢) A. Manser: Sartre a Philosophical Study Athlone Press, London University, 1966, P. 199.

اليسار الجديد فى فرنسا :

ظلت الماركسية فى فرنسا أيديولوجية مثيرة للجدل فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وبدأت محاولات الوجودية الماركسية يجسدها سارتر » فى مجموعة مؤلفاته باسم « الأزمنة الحديثة » فضلا عن قيام مجموعة عمل سياسية مستقلة ، وكان اليسار الفرنسى الجديد هو على الأقل الاعتراف الرسمى للحزب الشيوعى الفرنسى .P.C.F

وفى عام ١٩٥٦ كانت المسألة المباشرة فى فرنسا هى الحرب فى الجزائر وقد نشأ اليسار الفرنسى الجديد فى أوروبا عام ١٩٥٥ كرد فعل لاستمرار الحرب فى الجزائر واكتسب قوة هائلة فى نوفمبر ١٩٥٦ أثناء العدوان الثلاثى على مصر .

وجاء تولى « جى موليه » زعيم الحزب الاشتراكى رئاسة الوزراء بمثابة فرصة ، تعرض لها من اليسار الجديد نظرًا لفشله فى إيقاف الحرب فضلا عن تورطه فى حرب السويس . ومن الطبيعى أن عام ١٩٥٦ يعتبر عاما سيئا للحزب الشيوعى الفرنسى برئاسة « موريس كويز » و« جاك داكلون » .

فقد أيقظ خطاب « خروتشوف » وغزو المجر فى نوفمبر شوق الكثيرين من أوهام الحزب الستالينى الروسى . كما أن أزمتى المجر والسويس فجرتا مشكلتى انتقال الكثيرين من الأحزاب اليسارية التقليدية إلى فكر اليسار الجديد .

وفى يناير ١٩٥٦ استقال « بيير كيرفين » – وهو أحد كبار الصحفيين الشيوعين – من الحزب ؛ وقاطع الفيلسوف الفرنسى المعاصر « سارتر » الحزب نفسه بعد أزمة المجر واقتفى أثره عدد كبير من مفكرى الحزب .

ولقد ساعدهعلى ذلك فضح « ستالين » فى إحياء مبادئ « تروتسكى » وأصبح الطلبة الراديكاليون هم الطليعة الجديدة . ومن الثابت أن أنصار « تروتسكى » وهم من يطلق عليهم التروتسكيون قد أدوا دورا كبيرا أثناء أحداث مايو ويوليو ١٩٦٨ تحت إشراف وتوجيه لجنة الشباب الثورى الشيوعى بقيادة « آلان جرشيين » .

وفى عام ١٩٥٦ أيضًا تم إنشاء اتحاد الشباب الشيوعى .U.T.C برئاسة ألان كريفين وهى منظمة طلابية ماركسية لينينية تؤيد الصين تحت تأثير « لويس التوستير اجخت‌لمخخب‌خ أما حركة العمل الجامعى والتى نشأت عام ١٩٦٨ فقد كان أكثر أعضائها هم خريجى الجامعات والقيادات الطلابية وقدامى الطلاب اثناء الحرب الجزائرية . كما كان الاتجاه التصحيحى الذى تكون فى أوائل الستينات له تأثيره على صعيد تهديد الزعامة الستالينية « لموريس توريس » . والواقع أنه منذ عام ١٩٥٦ والفترة اللاحقة تقلصت شيئًا فشيئًا سيطرة الحزب الشيوعى الفرنسى على مختلف الأقسام الأخرى للجناح اليسارى . وفى عام ١٩٥٧ عقدت حركة تحرير الشعب مؤتمرا فى ليون لاتخاذ قرار بشأن تمسك اليسار الجديد بكونه حزبا متمسكا بالتقاليد الثورية

الفرنسية التى وضع أسسها جوروجيست » وتلخصت هذه الأسس فى عدم التضحية بالديمقرطية من أجل الثورة والعكس صحيح أيضًا .

وأوضح أحد[1] الأقطاب البارزين فى حركة التحرير أن الحركة تعرب عن خوفها من قيام نظام شمولى يسيطر عليه حزب واحد قائم على أساس مذهب « لينين » وكان من المعتقد أن بناء الاشتراكية فى فرنسا ينبغى توجهها عدة أحزاب تتفق على الخطوط الرئيسية ، وكان هذا متفقا مع الفلسفة السياسية لقادة اليسار الفرنسى فى محاولتهم توحيد الفصائل هناك حتى أن أحدهم اقترح فكرة مماثلة من خلال المذهب يدعو إلى المركزية المتعددة بمعنى أن تستند الحركة الشيوعية على العديد من المراكز الأقليمية وليس مركز واحد . كان طبيعيا ألا تتعاطف هذه الحركة التى كان يساندها السوفييت » . لكن تمسكها بفكرتها بشأن تكوين جبهة موحدة وإغفال الأقسام السياسية الطائفية ، كان ذلك يعنى أن تسود حركة اليسار فى كل مكان . وفى تحليل ذلك يمكن القول بقدر معقول من الثقة – أن ما يبدو أنه عامل مشترك لهذه الحركة الشعبية هو مجرد رفض ما يعرف باسم « نظام » وليس الفكرة الإيجابية عما يجب أن يكون أو حتى كيفية الإيضاح بها .

ويشرح أحد قادة اليسار هناك ذلك بقوله :

« ليس لدينا أى سياسة مشتركة بل أننا اتحدنا فى مواجهة الكبت ولم نتحد من أجل أى شىء على وجه الخصوص »[2] .

وعموما فانه بينما كان اليسار الفرنسى الجديد وهو يحاول إنشاء جبهة موحدة لليسار فقد فقد فى نفس الوقت اعتبارات سياسية ولم يعد أمام العمال على حد قول أحد قادة اليسار هناك وهو « كارل ليندل » : « وربما يفسر ذلك السبب فى فقد العمال الشعور حينما تولى « ديجول » الحكم عام ١٩٥٨ غير أن إهدار « ديجول » لإقامة نظام للأحزاب جعل صحيفة التربيون تقارن بينه وبين هتلر » .

وتأسيسا على التحليل السابق يمكن القول أن أحداث عام ١٩٥٦ وتولى « ديجول » الرئاسة فى عام ١٩٥٨ قد جعل الحركة الطلابية تصاب بإحباط ؛ فضلا عن العديد من المفكرين الذين ابتعدوا عن التيار الشيوعى ، أضف إلى ذلك أن الكثيرين من الأحزاب اليسارية الجديدة قد نهجت نفس النهج غير أن حركة اليسار الجديد الموحد – مع ذلك – لم تتحول إلى دعاية ولم تسفر عن نتائج ملموسة سوى فى عام ١٩٦٨ .

التجمع السياسى الجديد فى بريطانيا :

فى إطار هذه التحولات تجاه نهج اليسار الجديد فى فرنسا طرح اليسار الجديد فى

(١) نقلا عن : Tribune March 8 th. 1957.

(٢) وكان ذلك فى مناسبة الدفاع عن محاكمة شيكاغو مع « المؤمرة » وما تم تنفيذه بشأن تفسير حركة الهيبير

بريطانيا أفكاره وقدم تفسيرا انتقل إلى اليسار فى مختلف دول الغرب . وفى فترة الخمسينات ساد ما يعرف بـ The Consensus أو التجمع السياسى الجديد حيث لوحظ أن العديد من المفكرين أكدوا على ضرورة هذا التجمع ومع ذلك جاء رد الفعل سلبيا بما يعنيه من غياب التحديات الفكرية . وإذا كان هناك رد فعل إيجابى فقد تمثل فى قبول المزاعم التقليدية المتعلقة بالاقتصاد البريطانى وتوجهاته السياسية . ووصف أحد قادة هذا التجمع ذلك قائلا :

« انه لا توجد طبقة ترى أن ثقافتها تتواءم مع أهدافها وأن الذى يفتقد بريطانيا الآن هو أقليم من الشيوعيين .

ولوحظ أن هذه الحركة قد استأثرت بالساحة السياسية فى عام ١٩٥٥ حيث كتب أحد قادتها مؤيدا لها بشدة وأن الصراع السياسى ليس هدفا فى حد ذاته وأن تحقيق الفكرة يمكن دون صدام حول السياسة . ومع ذلك فإن أفكار الـ Consensus جاءت غامضة للأسباب التالية :

١ – لم يكن الخط الفاصل بين الوصف والادراك واضحا ، وكذلك خطوط العمل كانت غامضة ولم تكن هناك أرضية مشتركة حتى أن أحد الباحثين فى النظرية السياسية الحديثة Nipts أرجع هذه الصراعات السياسية والتى تمثل قيما إلى المشكلات السياسية الناتجة عن الثورة الصناعية وأن فكرة الـ Consensus وخاصة صياغتها النظرية قامت على القيم وتقييمها للتوجهات الاجتماعية .

٢ – إن الاعتماد على الـ Consensus فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية واجهت تحديا افتراضيا فيما يتعلق بخصائص الأزمة الاقتصادية وانتشار البطالة مع وجود قطاع كبير خاص بين المثقفين يتمتعون بالترف ، وأن هذه النظرة للرفاهة تزيل القواعد الاجتماعية للتفرقة وتقلل من حجم الطبقة العاملة . وفى الواقع كانت العمالة الكاملة ورفض رأسمالية ما بعد الحرب تلقى بظلال الشك على الأيديولوجية الاجتماعية لفترة الثلاثينات فى الوقت الذى تعرضت فيه الماركسية للرفض بسبب الممارسة الشيوعية ومحاكمات موسكو والتحالف السوفيتى النازى وقمع الحريات الشخصية[١] .

فشل اليسار البريطانى القديم :

فشل اليسار فى حزب العمال البريطانى فى العقد الذى تلى نهاية الحرب العالمية الثانية –

---

(١) يستدل على ذلك من الفكر السائد وقتذاك ، ففى كتاب مزرعة الحيوان يعرب المؤلف أن مخاوفه كمفكر اشتراكى فى مواجهة شمولية الشيوعية ، وفى المقالات العديدة التى كتبها كروسمان عام ١٩٥٢ والفترة اللاحقة – حيث اشترك كروسمان مع العديد من الشيوعين السابقين – فقد أدت هذه المقالات إلى خروج بعض الشيوعين على النظام الماركسى . راجع فى تفصيل ذلك :

R. H. S. Crossman, "Towards a New Philosophy of Socialism" in "Planning for Freedom" "Haemish Hamilton, London. 1965". PP. 40 - 47.

فشل فى إيجاد صيغة متماسكة فى عالم متغير وخاصة تجاه المشكلات الاجتماعية والاقتصادية . ويلاحظ أن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية فى الثلاثينات ، ونشأة الفاشية قد دفعت المفكرين البريطانيين من أمثال جون ستاركى وهارولد لاسكى إلى الشك فى فاعلية الأغلبية البرلمانية كوسيلة لتحقيق المجتمع الاشتراكى ، ومع ذلك فإن خبرة ما بعد الحرب بالإضافة إلى دكتاتورية ستالين قد دفعت باليسار البريطانى إلى التمسك بمبادئ الديمقراطية الليبرالية .

وقد عبر أنبورين بيفان عن مخاوفه فى استفساراته المتلاحقة حول : أين تكمن السلطة فى بريطانيا العظمى ؟ وكيف يحصل العمال عليها ؟ وكانت إجاباته على مثل هذه التساؤلات تنحصر فى أن البرلمان البريطانى هو « أشد الأسلحة فعالية فى هذا المضمار »[1] وكان الجدل المثار فى قيادة الحزب يدور حول العلاقة بين « الحركة التنفيذية والحركة التنظيرية » للحزب – حزب العمال – ، والمشاركة فى تحالف تشرشل وآتلى حول متطلبات الاتفاق السياسى والذى خلق فجوة فى الاتصال بين حزب العمال ومرشحى الأقاليم . وكانت السمة المشتركة فى تفكيرهم هى الشك ، أى الشك فى الفكر ذاته ، ومن ثم فإن صحيفة « تريبون »[2] هاجمت فى عام ١٩٥٢ مفكرى الاشتراكية الجدد ليس لانتقاداتهم فحسب ، بل أيضا لاعتمادهم على النصوص فقط ، كما أن إعادة التفكير لم تفرز أفكارا جديدة ، ولكنها قللت من شأن الأفكار الاشتراكية المتميزة . وكان البعض يرى أن النقد الموجه للمجتمع الصناعى والذى يتراوح عمره بين ٥٠ – ١٠٠ عام ، كاف لحل مشكلات اليوم ، ومن ثم وجد اليسار القديم أن نظرية وبرنامج الاشتراكية قد تمت صياغتهما ، وبالتالى وجوب « التزام اليسار » . ومنذ ظهور اتجاه موريسون فى التأميم ، فقد برزت مشكلة السيطرة على العمال والتى كانت رفضتها قبل ذلك قيادة التجمع السياسى T. U. C. فى عام ١٩٤٤ ، ولم تطرح خطط جديدة منذ ذلك الحين ، وجاء كتيب « التزام اليسار » عام ١٩٥٠ ليضع فكرة غامضة لمشروع مرن متعدد الأغراض . وترتب على ذلك أن أحد أسباب تردد اليسار فى التأميم فى نهاية حكم حزب العمال عام ١٩٥١ كان بصفة عامة اتجاها وقائيا أملته ردود الفعل لدى حزب المحافظين . ومرة أخرى لم يستطع اليسار الهروب من رؤية الثلاثينيات . وقد أكد بيفن ذلك فى مؤتمر الحزب عام ١٩٥٢ قائلا[3] « إنها الحقيقة ... ليس هناك من وسيلة لمنع البطالة فى المجتمع الرأسمالى ... أن التغييرات التى حدثت فى المجتمع البريطانى فى سنوات الحرب وما بعدها لم تتغير مع الاستقطاب الطبقى والتناقضات الاقتصادية للرأسمالية » . وتأسيسا على ذلك لم يستطع اليسار مواجهة انتقادات

---

(١) A. B Bevan, "In Place of Fear" "Heinemann, London, 1952", PP. 10 - 15.

(٢) "Tribune" "July 11, 1952", P. 3, 4.

(٣) A. Bevan, Op. Cit. P. 50.

اليمين ، ليس هذا فحسب ، بل أن اليسار لم يتمكن من تقديم رؤية واضحة للمجتمع الصناعي في غضون الخمسين إلى المائة سنة القادمة .

ماذا يعني التحليل السابق لفشل اليسار البريطاني القديم ممثلا في حزب العمال البريطاني في إيجاد صيغة متماسكة ؟ وبقول آخر ما هو تقييم ذلك ؟ من الثابت أن اليسار القديم في بريطانيا كان تطبيقا في الاستجابة للظروف الجديدة ومع ذلك فقد حاز الثقة الجماهيرية من خلال التمسك بالديمقراطية البرلمانية فضلا عن التفاف الطبقة العاملة حوله وتأييدها له ، غير أن تحليلات ظلت متأصلة من موقف ما بعد الحرب في نقطة واحدة هي الأزمة الرأسمالية . كان اليسار القديم لديه النية في تأكيد الرؤية الاشتراكية ، ولكنه لم يجد الوسائل الكافية في ظل الافتقار إلى فلسفتها وتنظيرها ، وكانت النتيجة هي « بعثرة » طاقاته « وتوزيعها » في مجالات «متفرقة» ، فمنها الدعوة ضد إعادة تسليم ألمانيا ، ومنها الدعوة إلى حرية المستعمرات ... وهكذا .. وظلت هذه القضايا غير مترابطة ومن هنا استمرت محاولات اليسار الجديد لإيجاد ترابط بين هذه المشكلات ومواجهة « العلل » التي كان اليسار القديم قد أهملها .

قضايا اليسار البريطاني (برنامج حزب العمال)

يندرج تحت البرنامج التشريعي لحكومة العمال وجهة نظر مادية تربط بين التقدم الاجتماعي والاقتصادي Socio-economic progress « والتحسن الثقافي » Cultural Improvement وقد كانت هناك قناعة أن المجتمع الذي يقوم على خطط سليمة ويشارك الجميع في تقدمه الاقتصادي سوف يؤدي حتما إلى مجتمع إنساني ذو ثقافة رفيعة . وفي مقابل هذا التصميم ظهرت الجماعات المتناثرة والتي ليست لها الصبغة السياسية الواحدة كي تسعى لتحقيق الإنسانية الاشتراكية Socialist Humanism وكانت تهدف إلى علاج المشكلات الاجتماعية Social problems من منظور ثقافي Cultural perspective .

ويلاحظ أن اليسار الجديد قد استفاد كثيرا من هذه الأفكار . فقد برز هذا الاتجاه في صحيفة[1] Politics and Letters والتي قام بتحريرها كولينز ، ووليامز ، ومانكفيتز في الفترة ١٩٤٧ - ١٩٤٩ وقد اتسمت بطابع التقريب[2] بين السياسة والأدب ، وبين السياسة والأخلاق . وكان اهتمام المحررين يتركز على وضع تقليد ثقافي تقوم عليه المؤسسات الاجتماعية . ويلاحظ أن السياق التاريخي لحكومة العمال وبدايات الحرب الباردة كانت واضحة في صفحاتها . وإذا ضربنا مثالا على ذلك ، نجد أن إحدى المقالات تدور حول « المجتمع الاستهلاكي » Consumer Society حيث يصف كاتبها الشروخ البارزة في الطبقة العاملة ، وانتقد الكاتب لدعاة القنوات Channels الذين يستجيبون لمصالح المستهلكين من

---

(١) "Politics and Letters" No. 1. "Summer 1947", P. 3 - 4.

(٢) . Ibid, P. 31

خلال « تبرير » قناة لهم "Canalige" ثم يلخص الكاتب سلسلة من الالتزامات التى أبداها دعاة اليسار الجديد . وبالنسبة لهم فإن العنصر الإنسانى كان أكثر أهمية من « اللافتات » السياسية ، وفى ذلك يقول : « نحن ملتزمون بالاعتراف بخلفائنا ؛ وليس فقط ممن يضعون الخطط إلى جانب الشعوب المتقدمة التى ليست يسارية[١] .

وفى مقالة « بعنوان الثقافة والمجتمع فى أربعة أعوام ١٩٥٢ - ١٩٥٦ يصل إلى نتيجة مفادها أنه أخطأ الطريق ، ونتيجة لذلك فقد عاد إلى التقاليد والثقافة إلى جانب السياسة والأدب ومعارضته لتنظير الإنسانية وتحوله إلى الدعوى للتركيز على الرخاء المادى والنمو الاقتصادى ، وقد أدى هذا « التنظير » إلى رفض الاصطلاح الأمريكى حول « الثقافة الجماهيرية المتأمركة[٢] "A rejection of Americanised "Mass Calture ورفض وليامز فى نفس الوقت النموذج السوفيتى للواقعية للاشتراكية Socialist Realism وأن مغزاها الاجتماعى يكمن فى دائرة الإدراك والوعى[٣] وفى القيم السائدة فى المجتمع ومقارنتها بما هو حادث فى النصوص الأدبية ، وأن سبب انفصال هؤلاء الرواد عن اليسار الجديد هو المناخ الذى أدخلته إصلاحات حزب العمال ومن ثم فبينما شاعت الشكوك تجاه ثمار التشريع والتخطيط الاقتصادى والتأميم ، فقد تم التأكيد على أن الاشتراكية كنظام اقتصادى أمر ممكن التطبيق[٤] .

وهناك وسيلة يمكن بها تناول نظام « الماركسية » Marxism ففى احدى مقالات كتاب : السياسة والثقافة والمجتمع ، الذى نشر عام ١٩٥٦ لعالم النظرية السياسية الذائع الصيت cügw Laslett "ed.", Palitics, Philosophy and Socicty, Oxford, 56, P.VII ، يستنتج « أن الفكر الفلسفى قد مات » وجاءت أسبابه واضحة من خلال علم الاجتماع وتأثيراته وتأثير المنطق Logical Positivism .

وعموما فقد أصبح كارل ماركس لدى فريق من علماء النظرية السياسية فى بريطانيا والولايات المتحدة - أصبح لديهم مفكرا سياسيا يمكن مقارنته بجون لوك Locke أوجان جاك روسو Rousseau ولكن على مساحة أكبر ، وأن أول ما يلفت النظر فى كارل ماركس هو الجانب الإنسانى حيث كان هدفه وجود مجتمع متحرر من الأحزاب Alienations أو التوسط Mediations الكائن فى المجتمع الرأسمالى ، ورغبته فى وجود مجتمع يكون الناس

---

(١) R. O. C. Winklers "Critic and Galiath", in Poleters and Letters No. 5, 2 - 3 "Winter 1947 - 8", P. 64.

(٢) L. Elvin, "David and Galiath", in Poleters and Letters No.5, 2 - 3 "Winter 1947 - 8", P.64.

(٣) Politics and Letters No. 1, P. 7.

(٤) Ibid. P. 2.

فيه سادة أقدارهم من خلال فهمهم وسيطرتهم على الطبيعة وتفهمهم للعلاقات الاجتماعية بينهم[١] .

مولد اليسار الجديد فى بريطانيا وردود الفعل :

يعتبر عام ١٩٥٦ ، عام الحسم لحركة اليسار الجديد فى بريطانيا حيث شهد هذا العام المولد الرسمى له – ففى فبراير من ذلك العام أدى خطاب خروشوف السرى فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى – وهو الخطاب الذى كشف فيه عن جرائم العهد الستالينى ، وأنهى عبادة الفرد وشرح فى مذهبه الوسائل المختلفة المؤدية إلى الاشتراكية – ولدى نشر الولايات المتحدة لهذا الخطاب فقد اضطربت صفوف الأحزاب الشيوعية فى أوروبا الشرقية والغربية[٢] على السواء ، وكان رد فعل الخطاب بمثابة صدمة وخيبة أمل الأعضاء وفى مؤتمر ديفيد كوت[٣] أردف ممثل المفكرين الشيوعيين الفرنسيين قائلا « ... ومع ذلك فإن اكتشافات خروشوف لم تبعث اليأس ، بل على العكس بعثت الآمال فى إجراء إصلاحات عاجلة و « الضبط » للشيوعية » ، وفى بريطانيا ترددت صيحات الدعوى للديمقراطية وحرية المناقشة وخاصة عقب اغتيال خمسة أشخاص فى ٢٨ يونيو ١٩٥٦ والقبض على ١٥٤ شخصا فى أحداث بوزنان فى بولندا بعد موقف اليهود السوفيت .

كما أن غزو المجر فى الأيام الأولى من شهر نوفمبر فى نفس الوقت الذى تم العدوان الثلاثى على مصر من جانب بريطانيا وفرنسا وإسرائيل فقد أدت هذه الأحداث إلى إزالة الوهم بين مؤيدى الجناح الأيسر والشيوعيين . وفى يوليو ١٩٥٦ بدأ أ . ب تومسون – الذى استقال فيما بعد من الحزب الشيوعى البريطانى – بدأ فى نشر صحيفة جديدة أسماها العقلى « The Reasoner وأدت أزمة السويس إلى تمرد خريجى جامعة اكسفورد الذى انعكس على نشرهم لمجلة « الجامعات واليسار فى خريف ١٩٥٧ » حيث التزمت بالنهج الإنسانى الاشتراكى ، وكان يرأس تحريرها تشارلز تايلور وهو باحث أخذ على عاتقه الانتقال بفكره من هيجل إلى الوجوديين ، ثم أنشأ الشيوعيون صحيفة « العقليون الجدد » The New Reasoners وكان هذا أيضا عشية أحداث المجر معبرين عن ذلك بقولهم « إننا أصلا جريدة شيوعية ، إنها جريدة

---

(١) وراجع مزيدا من أفكار لاسلت فى دكتور محمد نصر مهنا ، علم السياسة بين التنظير والمعاصرة ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٨٥

T. Bottomore and M. Rubel "eds", "Karl Marx. Selected Writings in Sociology and Social Philosophy" Peuguin, 1963, P. 43.

(٢) راجع فى تفصيل ذلك :

E. Gellner, The Panther and the Dove, in D. Martin (Ed.), Culture and Anarchy (London, 1969), p. 133.

J. Osborne, "Look Back in Anger" (Faber and Faber, London, 1960), p. 84.

(٣) راجع : D. Caute, "Communism and the French Intellectuals" (Deutsch, London, 1964), p. 225.

المعارضة للديمقراطية »[1] . وقد استغلت أحداث المجر لإخراج المعارضة من الحزب وتصعيدهم حزبيا ، مع هؤلاء الذين زال وهمهم فى العودة المرتقبة إلى الستالينية .

وفى عدة مناسبات سابقة ، كان العقليون قد تركوا الحزب الشيوعى البريطانى بأعداد كبيرة (الثورة البلشفية فى العشرينات - محاكمات موسكو - المعاهدة النازية السوفيتية) وفى قمة الحرب الباردة ؛ كانت السمة الوحيدة فى أزمة ١٩٥٧/٥٦ هى الوسيلة التى استبقى بها الكثير من الشيوعيين السابقين الاتصال بالماركسية وتأييدها ، ويعزى سبب ذلك إلى أن الأزمات كانت أكثر عمقا من مجرد « أزمة إيمان » خاصة « بدراما الشك » Drama of doubt. التى أوجدها الهجوم الروسى على بودابست[2] . وفى الفترة التى أعقبت هذا الهجوم بذلت ضغوط أكثر على الأحزاب الشيوعية فى أوروبا الغربية لتبرير هذه الحرب ، وكتب جورج ليتشثيم George Lichtherm فى تحليله للموقف فى فرنسا بعد الحرب قائلا : « كان على المثقفين أن يسكنوا ضمائرهم طالما كانوا يستطيعون معادلة الحزب بالتقدم الضرورى نحو الاشتراكية ، وأتى الانهيار الحقيقى بالإدراك الجديد بأن تيار التاريخ كان يتحرك بعيدا عنهم وهذا الأمر هو الذى هز إيمانهم وأدى إلى الأزمة الروحية والمعنوية فى أواخر الخمسينات[3] .

ولم يكن أي عضو فى الحزب الشيوعى البريطانى يشعر فى عام ١٩٥٦ أن تيار التاريخ فى جانبه ، وكما حدث فى فرنسا ، وصل الاتحاد السوفيتى إلى قوته القصوى عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة وذلك بالرغم من اختلاف موقفه بشكل ملحوظ من موقف فرنسا . فقد كان مجال تأثيره الأساسى هو المجال الصناعى وليس المجال السياسى ، وإذا كان الغرض الأساسى من الحزب الشيوعى هو تحقيق القوة السياسية ، فإن جميع خلافاته الأيديولوجية تستتر وراء فشل الحزب فى إحراز أى تقدم سياسى بعد عام ١٩٤٧ .

والواقع أن الموقف ازداد سوءًا فى أوائل عام ١٩٥٦ . ففى مارس عام ١٩٤٥ كان العدد الأعضاء المسجلين رسميا ٤٥٤٣٥ عضوا ، أما فى فبراير ١٩٥٦ فقد بلغ عدد الأعضاء ٣٣٠٩٥ عضوا فقط ، حيث أدت سلسلة من الأخطاء التكنيكية التى ارتكبتها القيادة إلى مواصلة التعصب القومى للأطراف التى تعهدت بتأييد اتفاقية يالتا ، كما أن الخضوع لموسكو فى كافة التحركات وهذا التأييد الأقصى « لحكومة العمال فى عام ١٩٤٥ ، قد أديا إلى المعارضة العنيفة عام ١٩٤٧ ، والعمل المضاد للشيوعية الذى قامت به اتحادات العمال ، كل ذلك أدى إلى تقليل فعالية الحزب كمجموعة ضغط للجناح الأيسر . وقد عبر بلنج Pelling والذى لم يكن

(١) E. P. Thompson, "A Psessay in Ephology", The New Reasoner", (NR) No. 10, p. 7.

(٢) Sidney Hook's phrase in J. de Huszar (ed.), "The Intellectuals" (Glencoe, 1960), p. 359.

(٣) G. Lichtheim, "Marocism in Modern France" (Columbia Univ., 1966), p. 76.

أبدا ناقدا متعاطفا – عبر بقوله : « ليس من قبيل المبالغة أن نقول إنهم لم يسيطروا أبدا على حركة اتحاد العمال »[١] .

كذلك فقد انخفضت العضوية وبالتالى نسبة التصويت فى الانتخابات عام ١٩٥٥ بالنسبة لحركة C.P.G.B. إلى متوسط ١٩٥٠ صوتا (أى ٣,٤٪) من عدد الناخبين فى هذه الانتخابات وذكر بيتر كادوجان – الذى ترك الحزب بعد أزمة المجر – قائلا : « إن هناك رسالة أرسلها الرئيس هارى بوليت Harry Pollit فى عام ١٩٥٧ إلى الفرع الجنوبى الشرقى محاولا تولى قيادة مناجم درهام Durham الأمر الذى قد يؤدى بدوره إلى الإخلال بتوازن القوى[٢] .

وهكذا تمت معادلة « التقدم الشيوعى بالآلة » وليس بالمشاركة الحزبية ، وعلى الصعيد السياسى للحزب فقد تمت الموافقة على العضوية وللإصلاح فى منشور عام ١٩٥١ بعنوان « طريق بريطانيا إلى الاشتراكية » The British Road to Socialism .

وبينما كانت ضغوط وضعية الحزب فى الاتحادات وعلاقاته بحزب العمال – بينما كانت تتجه صوب التدريجية المتعلقة بالأعمال اليدوية ، فقد تم تقديم قبول أيديولوجية الطائفية ، مما أدى إلى تناقص فرص الحزب تجاه استراتيجيته التى ارتضاها ، وبإعادة تأكيد الكومنترن للستالينية عام ١٩٤٧ ، تمت الموافقة على نظرية « المعسكرين » التى قسمت العالم بين : « المعسكر الاستعمارى غير الديمقراطى الذى يستهدف سيادة الاستعمار الأمريكى واستئصال الديمقراطية من جذورها ، والمعسكر الديمقراطى المضاد للاستعمار الذى يستهدف أساسا القضاء على الاستعمار وتقوية الديمقراطية وإزالة بقايا الفاشية[٣] .

والواقع أن الفاشيين الاشتراكيين أصبحوا منعزلين تحت رحمة الفاشية الاشتراكية الوطنية ، وأصبحت العناصر المحايدة فى حزب العمال فى وضع لا يمكن الدفاع عنه بسبب – تعرضهم لهجوم أنصار الكتلتين على السواء ، وربما كان هذا هو السبب الذى جعل الأعضاء يرغبون فى أن يكونوا جزءا من النظام ، فمن ناحية كانت الديمقراطية البورجوازية البرلمانية صورية ، ومع ذلك فإنها مهدت الطريق نحو الاشتراكية أيضا ، ومن ناحية أخرى فإن الفشل الانتخابى ودفاع اتحادات العمال من جانب ثالث قد أفرز مشكلات كبيرة أمام الحزب حتى بدون أزمة ١٩٥٧/٥٦ .

غير أن هذه الخلافات قد تم إخمادها من خلال سيطرة القيادة على جهاز الحزب ، وقد دعم ذلك الموافقة على « نظام اللوحات ... .Panels System الخاصة بالانتخابات ، الأمر الذى كفل قبول مرشحى اللجنة السياسية والقرار الذى اتخذ عام ١٩٥٢ « بألا يكون

---

(١) K. Newton, "The Sociology of British Communism" Allen Lane, The Penguin Press, 1969, p. 160.

(٢) H. Pelling, "The British Communist Party" London, 1968, p. 13.

(٣) الفقرات الواردة فى المتن مقتبسة من المصدر السابق H. Pelling, Op. Cit. P. 141.

للرتبة والملف Rank and File الحق فى المشاركة فى صياغة سياسة الحزب »[1] . ومع ذلك فقد حدث مزيد من التمرد الفردى من جانب النماذج المتطرفة المطالبة « بالتضحية بالحق » ليس لأسباب سياسية ، ولكنه الانصياع الأعمى لتوجيهات موسكو . وحدث قلق آخر بسبب اتهام المفكر البريطانى الماركسى كريستوفر كوديل Christopher Caudwell التغيير المفاجئ فى المبدأ للمواقف الرسمية تجاه يوغوسلافيا فى عهد تيتو والتصريحات المتصاعدة فى الحدة للاتهامات المضادة للسامية السوفيتية . وهناك أمثلة لقضايا التمرد الفردى التى لها دلالتها بشأن التناقض الجوهرى مع أحداث ما بعد أزمة المجر ، إذ أن أ . هـ . هانس الذى كان وقتئذ محاضرا فى الإدارة العامة بجامعة ليدز ، ثم ترك الحزب بعد محاكمة الجاسوس روزنبرج عام ١٩٥٤ ، فقد وجد هانس أن ضربه كشيوعى كان لها تأثيرها فى أسلوبه السياسى فى إطار اعتبارين أساسيين : الأول هو تأكيد أهمية الدراسات السياسية لخلق مجتمع أكثر إنسانية مستقبلا مما هو عليه حاليا . الاعتبار الثانى وضع عقله « مدثرا فى استقامة مع سكينه حرية فكره »[2] .

وطبيعى أن يكون رد الفعل هو المزيد من المناقشات العقيمة لمنهج البحث الذى يبدو كثيرا من « زملائه المهتمين به إلى أقصى حد »[3] وبعد أن ترك هانس الحزب انحصر عمله فى متابعة المشاكل التجريبية للوصول إلى حل عملى . ويحلل هانس ذلك بقوله « ومنذ عام ١٩٥٦ بدأت محاولة إعادة تقييم القيم والمعايير السياسية الخاصة بى »[4] وقد حاول هانس بعد أزمة المجر أن يتدخل فى اضطرابات عام ١٩٥٧ لإنقاذ زملائه الشيوعيين السابقين من اندفاعات « التروسكية Troskyism أو « الانحدار » العقلى لبعض صور الإنسانية الماركسية ومن ثم يرى هانس « أن المتدينين المسيحيين قد فشلوا » ومعهم إمكانية أى نظرية متعالية للمجتمع . ومن الطبيعى أن يكون موقف هانس بعد تركه الشيوعية مباشرة مدينا لميوله الفردية الليبرالية الاشتراكية ، ولكنه يجب أن يكون أيضا متيقنا بموقفه كباحث أكاديمى منعزل ليست له أية صحيفة اشتراكية مستقلة يجد متنفسا فيها . ويحلل هانس ذلك بقوله « إننى لن أشترك مرة أخرى فى الجدل النظرى المثار إلاّ بعد ظهور اليسار الجديد وانتشار الاشتراكية اللاحزبية .

وبحلول عام ١٩٥٧ كان الموقف مختلفا تماما عن موقف هانس وآرائه برمتها وخاصة من جانب المثقفين المنشقين . فمن ناحية حارب الحزب الشيوعى البريطانى على تماسكه وعلى إيجاد قنوات اتصال مع الذين شكلوا اليسار الجديد الشيوعى إذ نظم المثقفون من فئة العقليين

---

(١) الفقرات الواردة فى المتن مقتبسة من نفس المصدر السابق ص١٦٠ .

(٢) A. H. Hanson, "Planning and Paliticians" (London. 1969), p. 4.

(٣) نفس المصدر السابق . ص ٤ .

(٤) المصدر نفسه .

أنفسهم فى مجموعات بهدف انخراطهم لشن هجوم ثقافى نفذ عام ١٩٥١ ، ومن ناحية أخرى أصدر جون سافيل John Saville مجلدا يحتوى على مقالات لمجموعة المؤرخين البريطانيين احتفالا بدونا تور Dona Torr بعنوان « الديمقراطية وحركة العمال البريطانيين Democracy and the British Labour Movement .

وساهم العديد من المفكرين[1] مؤسسوا صحيفة « العقل الجديد The New Reasoner بحوثهم ومقالاتهم وانطباعاتهم ، ومن ناحية ثالثة ، فإن خطاب خروشوف السرى فى فبراير ١٩٥٦ أمام مؤتمر الحزب الشيوعى فى موسكو - كان قد أثار شكوك هؤلاء المفكرين وآمالهم فى نفس الوقت والذين كانت الستالينية بالنسبة لهم شيطانا ، ومن جهة رابعة فقد خلقت الأزمة قوة بين الثوار دفعتهم إلى طلب مزيد من الديمقراطية داخل الحزب وتحليل للستالينية ومناقشة الأيديولوجية الصحيحة والبحث عن صيغة أكثر تماسكا للماركسية الإنسانية .... Humanistic Marxism .

وفيما يتعلق بتعريف من هو الثائر ، فقد سجل عام ١٩٥٦ « الانفصال النهائى للوسائل بين العناصر التسلطية والعناصر التمردية (الليبرالية) فى الحزب الشيوعى ، وهى عناصر تعايشت بسهولة مع بعضها البعض لعدة سنوات[2] ، وكان أسلوبها فى الافتراضات والاهتمامات الخاصة عن « المعارضة الديمقراطية « "Democratic opposition" يعنى تحديد اتجاه اليسار الجديد لعدة سنوات مقبلة[3] .

* * *

---

(١) وقد شملت هذه الجهود إسهامات كل من : Henry Collins, V. C. Kiernan and Ronald Meek.
راجع فى تفصيل : J. Saville (ed.), "Democracy and the Labour Movement" (London, 1954).

(٢) Thompson, Op. Cit. p. 378.

(٣) ومن ثم فمن الأهمية بمكان أن نتعرض فى موضع لاحق عن هذه الدراسة لسياق هذه الثورة التى انبثق منها أحد فصائل اليسار الجديد فى بريطانيا ، وهو ما سوف يتم مناقشته فى تفصيل غير قليل لكل من أزمة ١٩٥٧/٥٦ أسبابها ونتائجها ثم لأزمة السويس والجدل المثار حولها من اليسار الجديد . « المؤلف » .

الفصل الثانى

اليسار البريطانى وازمتا المجر والسويس
١٩٥٦ - ١٩٥٧

- الجدل المثار بين كتاب اليسار
- مابعد الجدل - أزمتا السويس والمجر - مقــــارنة بين أحداث الثلاثينيـــــات والخمسـينيات .

الفصل الثانى

اليسار البريطانى وأزمتا المجر والسويس

الجدل المثار بين كتاب اليسار :

يمكن تقسيم فترة الأزمة إلى ثلاث مراحل : تبدأ المرحلة الأولى من خطاب خروشوف فى فبراير ١٩٥٦ ، وضمت مؤتمرا موسعا فى إبريل من نفس العام . أما المرحلة الثانية فهى التى شهدت إذاعة خطاب خروشوف – الذى ظل سريا – بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية فى يونيو كما سبقت الاشارة ، وبلورة المعارضة ، وتصلب مواقف القيادة السوفينية وقتئذ . أما المرحلة الثالثة فقد حركتها أحداث المجر التى بلورها المؤتمر الخاص الذى عقد فى إبريل عام ١٩٥٧ حين نجحت القيادة فى احتواء العناصر المعارضة على حساب استقالات واسعة النطاق .

وطوال هذه المراحل تذبذبت سياسة القيادة بين الإذعان السلمى وتطهير البدع ، الأمر الذى أدى تدريجيا إلى تصلب الموقف المضاد ، وأصبح هذا الموقف أكثر شعورًا بالأمن ، فى حين انتقل الخلاف من النقد البناء إلى المعارضة « المشاغبة » وأخيرًا إلى الاستقالة من الحزب .

وفى المرحلة الأولى تعرضت الأفكار اليسارية فى بريطانيا لعملية التخلص من الستالينية ، وكانت قد نشرت عشية مؤتمر أبريل رسالة « نقدية » فى صحيفة الديلى وركر DailyWorker وغيرها من صحف الحزب الشيوعى ، وحذر جون سافيل من أن « الشرف السياسى » للحزب سيتعرض للتهلكة ما لم يتم تصحيح الأخطاء ، وكانت النغمة العامة للنقد نغمة تحذيرية ومكبوته لعدم وجود رؤية واضحة لتصورات خروشوف . وكان قد تم توجيه اللوم رسميا إلى الحرس الستالينى القديم من جانب مفكرين مثل رجانى دات Rajani Dutt الذى اعتبر خطأ ستالين مجرد « بقع على الشمس » التى قد « تعوق المخلصين لاله الشمس » ، وتبع ذلك النقد إعفاء العديد من المسئولين من مناصبهم الرئاسية الرفيعة مثل هارى بوليت ووليم جالا تشر ، واعترفت اللجنة التنفيذية بأن ذلك قد تم « على أساس معلومات زائفة واقتراف بعض الأخطاء بحسن نية » مما أدى إلى نوع من اليقين dagmatism والصلابة rigidity والولاء للحزب Sectarianism » .

واستجابة للنقد المتصاعد فقد شكلت لجنة بشأن البحث فى مدى الديمقراطية الداخلية للحزب ، واقتضى ذلك مراجعة وثيقة « السياسة » لوسيلة أو أسلوب تحقيق الاشتراكية فى بريطانيا بهدف حماية الحرية الديمقراطية .

وفى أوائل يونيو ، تم إعلان خطة خروشوف على الرأى العام العالمى ، وشرع أحد المسئولين

وهو أ .ب . تومبسون A.B.Tompson فى الهجوم ، وتم تعميم « الأخطاء المنفردة » فى النقد باعتبارها سياسة زائفة ، وشدد تومبسون من هجومه فى مواجهة الدعاية غير النقدية وغير الدقيقة عن الاتحاد السوفيتى على مدى عشرين عاما ؛ بل إن هجومه قد تجاوز الحد المسموح به حين قارن ما يتم فى الحزب بالكنيسة فى العصور الوسطى التى أقرت « المناقاشات الجارية حول يقين الكنيسة » .

واستطرد تومبسون قائلا : « إن الهدف من الجدل هو الوصول إلى الحقيقة بعيدا عن الاصطدام بالآراء المتعارضة ؛ وهذا هو معنى الديالكتيك » .

ورد جورج ماتيوز – باعتباره السكرتير العام المساعد أن تومبسون قد رسم مجرد « كاريكتير » الحزب ، وجعل الجدل نهاية فى حد ذاته ، ورفض نشر رد تومبسون ؛ ومن ثم لم يجد مخرجا فى صحافة الحزب ، فقام هو وجون سافيل بنشر جريدة « العقلى » Reasoner (وهذا العنوان هو نفس عنوان جريدة اليعقوبيين فى عام ١٨٠٨) وذلك فى يوليو عام ١٩٥٦ ، وكانت تتصدرها كلمات كارل ماركس : « إن تترك الخطأ دون تفنيد يعنى أنك تشجع اللاأخلاقية العقلية » .

وفى بريطانيا أيضا ، قام محاضران فى جامعتى ليدز Leadsوهال Hull بجمع التبرعات من عدد من العقليين المنشقين ، وشددوا من هجومهم تجاه ما تصوره « بالمركزية الديمقراطية » ، وبلغت مبيعات هذه الصحيفة حوالى ثلاث آلاف نسخة مما يدل على مدى التمرد ضد القيادة ، ولتبرير نقدهم حاولت لجنة مقاطعة يوركشير إنهاء صدور صحيفة « العقلى » Reasoner ولما لم يتحقق أى نجاح ، فقد تم رفع الموضوع إلى رئاسة الحزب .

وقد رافق هذه الأحداث فى بريطانيا ورود أنباء من بولندا عن ثوار بوزمان Pozman واتبعت اللجنة التنفيذية للحزب سياسة مرنة وغير مؤكدة حول « امتداد لجنة ديمقراطية الحزب الداخلى التى سمحت بمناقشة الموضوع فى صحف الحزب وقبول وجود نغمة معاداه السامية فى روسيا ، وتأكيدات السلطة ، وصدرت الأوامر إلى محررى « العقلى » Reasoner بإيقاف النشر ؛ ومع ذلك فقد ظهرت مشكلة ثانية فى الخامس من سبتمبر تطلبت ضمانات لإيجاد وسائل حول فرض آراء الأقلية وتطويرها تجاه الأغلبية » .

عارض البروفسور هيمان ليفى – الذى كان قد عاد من زيارة روسيا لبحث أوضاع اليهود – عارض الماركسية أو بالأخرى ما أطلق عليها بالأرثوذكية الماركسية فى تناقضها بين الفكر والتطبيق قائلا : « كيف لا يستطيع حزب غير ارثوذكس أن يترك مكانا لمن هو فيه غير ارثوذكس فى داخل صفوفه ، ثم يتوقع أن يعيش دون أن يحدث خرق لأفضل قيمه ولخياله ومن ثم لتكامله ؟ » .

وهكذا تشكلت خطوط المعركة بين مشتركى صحيفة « العقلى » بمن فيهم رونالد ميك

رجل الاقتصاد ، ودوريس لسنج الصحيفة ، وروديني هيلتون المؤرخ ، وبعض أعضاء هيئة تحرير « الديلي وركر » DailyWorker وقيادة الحزب . وفى الثانى والعشرين من سبتمبر أعلنت اللجنة السياسية « اهتمامها الشديد » بالصحيفة المعارضة ، وترتب على ذلك ضرورة إيجاد حلول للمواقف المتعارضة فتم عزل مجموعة من صحيفة « العقلي » Reasoner وما تبع ذلك من انعكاس أحداث ثورة المجر حيث بدأت المرحلة الثالثة من الأزمة .

أدى القمع السوفيتى إلى استحالة المصالحة ، وفى الرابع من نوفمبر ، أيدت اللجنة الغزو السوفيتى ، وصدرت تقارير بيتر فراير مراسل الديلي وركر فى بودابست ؛ وكانت النتيجة المباشرة هى استقالة عضو ثالث من هيئة تحرير الصحيفة « العقلى » ، ولم تهتز القيادة لهذه الاستقالة مما أدى إلى عقد المؤتمر الخاص الذى كثرت المطالب بإنعقاده .

وقد تجاهل كلٌ من تومسون وسافيل تهديدا صحفيًا بإتخاذ إجراء عمل نظامى ، ونشرًا فى صحيفة العقلى فى السابع من نوفمبر نداءًا للتنديد بالتدخل السوفينى فى المجر ، واتهم تومسون حزب الستالينية فى نظريته وممارسته الاشتراكية وأنها - أى الستالينية - قد فقدت مكونات الإنسانية ، وأن طريقة التفكير الستالينى ليست طريقة المادية الجدلية ، بل هى أقرب إلى المثالية الحركية ، وبدلا من أن تبدأ الستالينية بالحقائق والواقع الاجتماعى ، فإنها تبدأ بالفكرة والنص والبديهية ، فى حين أن الواقع والمؤسسات السياسية ليست متطابقة مع الفكر »(١) .

وكان من نتيجة هذه الانتقادات أن عوقب تومسون وسافيل بإيقافهما عن العمل لمدة ثلاثة أشهر ، فبادرا بتقديم استقالتيهما ؛ وتوقف سيل عن نقد القيادة إلى صحافة الحزب ؛ وتم حل الجمعية الشيوعية بجامعة اكسفورد ، وكان أقصى رد فعل هو ما عبر عنه أحد الخريجين قائلا : « إننا نشعر أن الحزب قد فقد اعتباره discredited فى حكومة العمال ؛ ولم يعد حزب الجماهير ؛ ولعله من الأفضل أن يخرج من السياسة البريطانية عاجلا »(٢)

وفى المؤتمر الخاص الذى عقد فى ابريل ١٩٥٧ احتفلت قيادة الحزب ببقائها على حساب « العقليين » . وأبدى تقرير الأقلية للجنة الديمقراطية الداخلية للحزب تأييده لإجراء إصلاحات تكفل استقلال الحزب عن موسكو وإضفاء طابع الديمقراطية على الحزب ، غير أنه لقى هزيمة واضحة إذ اقتنعت القيادة بأن « هناك - فى الواقع - ميل للإقلال من الديمقراطية كقيمة ؛ ورفع شأن المركزية ، وأغلقت الصفوف أمام « اتجاهات إصلاحية تحررية معينة » ؛ وتم احتواء

---

(١) Port Huron Statement, quored in Paul Jacobs and Saul Landu (eds.) "The New Radicals", peuguin, 1967, P. 160.

(٢) Milihand, R. "Mills and Palitics" in The New Sociology : Essays in Social Sciencs and Social Theory in honaur of C. Wright Mills" I. L. Horowitz (ed.) oxford Univ-Press, N. Y., 1965.

العاصفة ؛ وفقدت نسبة كبيرة من العقليين فى الحزب دون رغبة منهم فى أغلب الأحيان لأنهم مازالوا يرغبون فى الانتماء لحزب شيوعى مصلح ، وهكذا تم تحرير أحد عناصر اليسار الجديد من القالب الستالينى[1] .

ما بعد الجدل :

بدأ تومسون وسافيل فى نشر صحيفة أخرى بدلا من « العقل » وهى « العقل الجديد » فى صيف عام ١٩٥٧ ؛ وكانت أولى نتائج الأزمة التى حدثت فى الحزب الشيوعى فى بريطانيا ،فالمشكلة التى واجهت الشيوعيين السابقين كانت تتمثل فى المكان الذى سيذهبون إليه ، إذ لم تكن مثلهم العليا قد غشيتها أبصار تجاربهم الحديثة ؛ ولقد عبر جيم ازايت بدقة عن ورطتهم – وهو يشغل سكرتير هاليفاكس وله رؤيته الاجتماعية – قائلا :-

« المسألة بالنسبة إلى ما حدث سلفل – كما فى أى مكان آخر – كما ينبغى علينا – فى معظم الأحوال – أن ننضم إلى حزب العمال أو يفيد الانضمام Rejoin إليه . لقد فعل اثنان من مجموعتنا ذلك بينما وضع الآخرون قضية قومية لها ، ومن العوامل التى زادت الموقف حيرة Bedevilling هنا أن عددًا منا – وبالجملة – ترك حزب العمال منذ ثمانية عشر شهرًا وانضموا إلى الحزب الشيوعى ؛ وكان علينا أن نقضى عدة سنوات عجاف نحارب الجناح الأيمن بشأن مسائل السلام وشئون العمال « وتسلطهم » ؛ فهل نعود إلى ذلك ؟ » .

لم تكن أوضاع حزب العمال وقتئذ تسمح بالإجابة على تساؤلات جيم انرايت إجابة واضحة وشافية ؛ فكان البديل الآخر هو « الخروج إلى اليسار » وتجاوب الشيوعيون والشيوعيون السابقون لدعوات الانضمام إلى المنظمات الثورية الصغيرة التى أكدت غالبيتها حقوقهم فى أن يصبحوا « الورثة الحقيقيين » لتروتسكى . وأصدرت رابطة الاشتراكية الثورية خطابا أخويا مفتوحا لجميع الشيوعيين فى « المجلة الدولية للعمال »[2] .

وفى نفس الوقت أصدر الاتحاد الفدرالى للعمال الاشتراكيين كتيبا يحلل فيه الأزمة ويؤيد قيام حزب ثورى جديد يضم الشيوعيين المنشقين . ولقيت دعوة التروتسكية ترحيبا من الدم الجديد ؛ وأنشأت مجموعة صغيرة – بقيادة بيتر فراير – مجلة أسبوعية فى مايو ١٩٥٧ أطلق عليها اسم « نيوز لتر News letter وهى مجلة تستهدف بصفة خاصة نوعية العمال الصناعيين ، وقد إنصهرت فيما بعد فى المنظمة التروتسكية للمحارب القديم « جيرى هيلى » لتكوين الجامعة العمالية الاشتراكية .

---

(١) Deut scher Isaac Marxism aud The New left 1967 in Deu Tscher "Marxism in our T ime" Tawaya Deutcher (ed.) Cape London 1972.

(٢) Novack. Michael. "The Secular Saint" in: Center Magazine, Vol. No. 4, May 1968.

بدأت جريدة جديدة تبث أفكارًا حول نظرية تروتسكى وتدعى بمجلة العمال ، وبدأ ظهورها فى ديسمبر ١٩٥٦ ومع ذلك فإن الكثير من الشيوعيين السابقين الذين تجمعوا حول « العقلى » ، و « العقلى الجديد » New Reasoner لم يكونوا على استعداد لاستبدال ستالين بتروتسكى .

وبالإضافة إلى ذلك ، كان هناك شعور واسع كرد فعل ضد « ارثوذكسية » اليسار المتطرف ، وحزن الكثيرين لخروجهم عن التنظيم السائد . وذكرت مجموعة نونتجهام الماركسية أنهم لم يكونوا ليقدموا استقالاتهم « إذا كان هناك ثمة اعتقاد باحتمال النضال الديمقراطى لتغيير القيادة وتغيير المنهج » وشعر الشيوعيون السابقون باتحاد مصالحهم . وسعى محرروا « العقلى » للمحافظة على الاتصال بقاعدة شعبية عريضة ؛ ومن ثم تنقل تومسون وسافيل عبر المدن البريطانية معلنين عن الصيغ rums التى تمت مؤخرا .

وفى أول اجتماع عقد فى فى لندن للمنتدى الاشتراكى فى ١٥ مارس ١٩٥٧ وحضره خمسمائة شخص تحدث سافيل عن مستقبل الماركسية وعرض أفكاره بأسلوب جديد مستخدما منهجية علمى الاجتماع والاقتصاد ، وأشار تومسون إلى الشيوعيين السابقين باعتبارهم أكبر حزب غير منظم فى بريطانيا .

ومنذ نهاية عام ١٩٥٦ وحتى أبريل ١٩٥٧ ثار جدل كبير وأقيمت العديد من المنتديات لتبرير عقد مؤتمر وطنى فى إحدى ضواحى مدينة شيفيلد فى بريطانيا وذلك فى نهاية أبريل ١٩٥٧ ، وكان نصف عدد المندوبين البالغ عددهم ١٣٦ مندوبا ؛ قادمين من يوركشير ، وحضر خمسة وثلاثون مندوبا من لندن الكبرى ؛ وأحد عشر من ميدلاند « وسط بريطانيا » وأربعون مندوبا عن مجال الصناعة وخمسون من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات البريطانية والباقون من اليسار العمالى ، وساد انطباع لدى الوفود أن هذا المؤتمر هو « مناسبة ذات أهمية تاريخية » ، فنقل عن أحدهم قوله : « إن الانطباع الدائم لمؤتمر ورتلى هو أنه جزء من حركة عالمية ترمى إلى التقويم النقدى للنظرية والممارسة الاشتراكية الناجمة عن أزمة الشيوعية الدولية »[1] .

وأدى هذا التفاؤل إلى إنشاء منظمة قومية وصحفية ؛ وشعر ميرفن جونز - Mervyn Jones أحد محررى التربيون Tribune بشىء من الحيرة bit dazed من هذه الصحوة « للطاقة » الاشتراكية على نحو لم يسبق له مثيل منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر ؛ وفى هذا السياق فإن جميع الذين اشتركوا فى مناقشات المنتدى orum ساد لديهم إحساس مشترك هو الاعتراف بصراع الطبقات وتأثير الماركسية ؛ والرغبة فى بيان جديد للاشتراكية يرفض كلا من الستالينية والرفاهية ، وأدت

Young People's Socialist League: The Norman Thowas chapter, "A Democratic Left" in Paul jacobs (١) ans Saul Londau (eds) "The New Radicals", Pelican, 1967.

أزمة إزالة آثار الستالينية إلى إحداث نهضة - وإن اتسمت بالضآلة - فى الفكر الاشتراكى البريطانى . وكان خطاب خروشوف قد أعطى نموذجا للشكوك التى أحس بها المشاركون ؛ وعلى العكس من الأزمة الأخلاقية « للعقليين » الشيوعيين ، فقد دخلت المجر فى إطار الستالينية الذى رسمه خروشوف ؛ ومن ثم لم يكن رفض الشيوعية السوفيتية يعنى بالضرورة رفض الماركسية . وجلب الشيوعيون السابقون معهم كثيرا من متعلقات تجربتهم الشيوعية إلى اليسار الجديد ، ومع ذلك فلم تكن بمثابة بلشفية أدينوا بها من خلال أحد المعلقين .

ومن أجل رفض النمط الستالينى للماركسية ، فقد كان على المشاركين فى تلك المناقشات العودة إلى اللينينية الماركسية ، أو حتى برفضهم اللينينية - كان عليهم العودة إلى أفكار كارل ماركس ؛ واتخذت صحيفة « العقلى » المسار الثانى ، فسلكت مسلكا يجمع بين الليبرالية والماركسية على حد سواء ، واتجهت أنظارهم إلى أفكار المدينة الفاضلة Utopianism لوليم موريس أكثر من اتجاههم إلى استراتيجية لبنين الثورية . ومن خلال تجربتهم الشيوعية تعلموا الجدل الديمقراطى المنقوح ؛ والإصرار على تطابق الوسائل والغايات .

أدى مغزى حركة « الفوريوم "Forums" » أى المنتديات - بمناقشاتها الحرة والمساواة بين أعضائها - إلى ايضاح رؤية هذه الحركة الاجتماعية . ورفض كل من تومسون وسافيل فكرة تكوين حزب سياسى جديد ؛ وبدلا من ذلك جاء التعاون الحر بين المجموعات الموجودة داخل حدود اليسار العمالى من ثنايا اقتراح حركة الفوريوم « المنتديات » ؛ وفى تلك الأثناء كرس كل من تومسون وسافيل جهودهما لإنشاء صحيفة « العقلى الجديد » كبداية النشر ما اعتقدا أنه واجب عاجل وحيوى وهو بناء نظرية اشتراكية ، وأدى السياق الذى اقتربا فيه من هذا الراجب إلى خلق جو من الغموض - ازاحة الوهم - عن الشيوعية السوفيتية ؛ ولكن أعاده تأكيد الماركسية ؛ والاعتراف بنقص الاستقلال ؛ وعدم قدرة ثوار المجر على مواجهة القوة السوفيتية ؛ بالرغم من ضرورة الحث على الإيمان المتجدد بقوة الشعوب الثورية ، وضربا لذلك أمثلة بشأن المقاومة الشعبية فى الديمقراطيات الشعبية ، وتأسيسا على ذلك كانت صحيفة « العقلى الجديد » بمثابة محاولة للهرب من الاضطرابات ؛ والشكوك بشأن استيقاظ الوعى فى عام ١٩٥٧ .

أزمتا السويس والمجر :

فى الوقت الذى أدى فيه القضاء على الستالينية إلى خروج كثير من العقليين عن أسرها ؛ أدت أزمة السويس إلى ذيوع وسائل للاحتجاج بين الاشتراكيين البريطانيين ؛ إذ بدأ فريق من خريجى جامعة أكسفورد فى إصدار صحيفة ملتزمة بالإنسانية الاشتراكية وهى مجلة « الجامعات واليسار » فى ربيع عام ١٩٥٧ .

تكونت هيئة تحرير هذه المجلة من ستيورات هول - وهو مدرس بريطانى - من أصل

هندى – يبلغ من العمر ٢٥ عاما ؛ وجابريل بيرسون وهو خريج قسم اللغة الإنجليزية من الجامعة المذكورة ، وتشارلز تايلور وهو زميل كندى ، ورالف صموئيل وهو خريج قسم التاريخ . وكتب هؤلاء موضوعات عن هنرى جيمس وديكنز وفكرة الانجذاب من هيجل إلى الوجوديين .

لم يستلزم الأمر أى نوع من التعقيدات لنظرية « الأجيال » السياسية بشأن إيضاح أن وعى هذه المجموعة من شباب الباحثين قد تأثر بتجربة ما بعد الحرب العالمية الثانية وآثار هزيمة حزب العمال فى انتخابات عام ١٩٥١ . وفى الوقت الذى كان فيه الشيوعيون السابقون فى صحيفة « العقلى الجديد » يمتلكون صلات شخصية وأيديولوجية فترة الثلاثينيات ؛ فإن الصلة الوحيدة بين المجموعات الأخرى كانت تكمن فى ذكريات الفترة البطولية للحركة الاشتراكية ، وكان يحلو لبعض المعلقين أن يعزوا راديكالية جيل كامل إلى أزمتى السويس والمجر ؛ أى لليسار الجديد بمعناه الواسع كمصطلح يعبر عن سياسة جيل كامل انتهت بـه إلى إحساس بالوعى السياسى بعد أزمتى السويس والمجر .

مثلت أزمة المجر تراكم عدد من العوامل التى أدت إلى بزوغ تشكيل مستقل للماركسية أو الماركسية الجديدة أو العقليين فى بريطانيا ، وبالمثل كانت أزمة السويس بمثابة تركيز على عدم رضاء أولئك الذين أزاحوا الوهم عن بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية ، ففى أزمة السويس كان التأثير المزدوج للراديكالية ، وتحريض الاشتراكيين على القيام بعمل سياسى نوعى ، وتصف إحدى عضوات اليسار الجديد راديكاليتها الخاصة قائلة :

« لقد بلغت سن الرشد من الناحية السياسية بنشوب أزمتى السويس والمجر ، وبالمظاهرات وصحف الحائط فى المدرسة ، والمناقشات الحادة من أصدقاء المدرسة والمدرسين الذين بقوا فى الحزب » .

وأضافت إحدى العضوات الأخريات – ونيس بورتر – على أقوال زميلتها : « ليست سوى أزمة مثل السويس هى التى تستطيع هز السبات الذى ساد فى الخمسينيات فحسب ؛ بل إنها حركت كثيرا من مشاعر الطلاب بشأن انضمامهم بالفعل إلى الاحتجاج السياسى » .

لقد شهد الأسبوع الأول من نوفمبر عام ١٩٥٦ ازدياد حجم المظاهرات فى مراكز حزب العمال البريطانى تنادى « بالقانون وليس بالحرب » ؛ وفى ميدان الطرف الأغر حيث تجمع ما يزيد عن العشرين ألف نسمة ؛ وتم القبض على العشرات منهم . وفى جامعة اكسفورد خرج الطلاب إلى الشوارع وتحركوا إلى وست منستر ثم إلى جماعات ضاغطة ولقاءات فى منتديات ، كما شهدت مدن مانشستر وإدنبرة وهل Hull وبيرمنجهام اضطرابات مماثلة ؛ وقد اندهش مراسلو صحيفة التايمز لهذه الأعداد الضخمة ... الشباب الذين تجمعوا فى ميدان الطرف الأغر ؛ ومدى الإلمام بالوقائع السياسية الذى برهنت عليه إحدى المظاهرات – حوالى

ألف طالب - في جلاسجو وذلك احتجاجا على التدخل السوفيتي فى المجر ، وتوسل الطلاب للحكومة البريطانية بإرسال قوات بريطانية إلى المجر إذا لم ينسحب الروس .

وفى معظم الجامعات واجهت المظاهرات مقاومة قوية من الطلبة أنصار أنطونى إيدن - رئيس الوزراء وقتئذ - مبرهنين على أن جيل السويس لم يكن متجانسًا من حيث الآراء السياسية . ومع ذلك ففى مارس عام ١٩٥٧ استطاع أحد المراسلين أن يكتب إلى التريبيون قائلا :

« إن جامعة اكسفورد لم تكن مهتمة بالسياسة في هذا الفصل » ؛ وفى مناسبة أخرى ذكر أن السويس - يعنى أزمة السويس - كانت ذات تأثير ضئيل وأنه لم تكن هناك مؤشرات لراديكالية الطلبة فى الفترة ١٩٥٨ - ١٩٦١ .

وعلى الرغم من قصر مدة ما أطلق عليه فريق من اليساريين الجدد « بالحمى » - يقصدون انتقال المظاهرات من مدينة إلى مدينة - فإنها - أى هذه الحمى - قد أفادت باعتبارها بمثابة حافز ضرورى للعمل بالنسبة لأولئك الموجودين داخل الجيل الجديد الذى أزيل عنه - فعلا - هذا الوهم .

وكانت هناك أسطورة ذاعت بالفعل بين اليسار الجديد فى بريطانيا وتمثلت فى فترة المنعطف التاريخى بين السويس والمجر حيث تحرك فئات اليسار الجديد إلى الأمام بشأن إيقاظ جيل الشباب ممن اعتنقوا أفكار اليسار الجديد وهو بمثابة حصيلة لأزمتى السويس والمجر ، وعما إذا كان يمكن وصف أعضاء اليسار الجديد بأنهم « نبات سياسى » عشية عام ١٩٥٦ . والواقع أن نواة هذا اليسار قد أينعت بجامعة اكسفورد بمجتمعها ذو الملامح الاشتراكية - على الطريقة البريطانية - وقد حاز هذا المجتمع الاشتراكى على « مكانة » مرموقة بين نوادى العمال - وهى عبارة عن منظمات حزبية - ؛ والطلبة الشيوعيين - وهم يمثلون منتدى للطلاب الأجانب بمصالحهم الخاصة تجاه الامبريالية ، كما أنه بمثابة منتدى للاشتراكيين غير المنحازين ، المهتمين بمسائل أوسع من مسائل النقاش السياسى التقليدى .

غير أن التجارب الشخصية قد تباينت بين المجموعات السابقة وأفرزت حصيلتها تجاه فصائل اليسار البريطانى الجديد ، مثال ذلك أن رالف صموئيل كان عضوًا بارزًا فى فرع الطلبة الشيوعيين فى جامعة اكسفورد ، فى حين كان تشارلز تايلور يمثل إرادة الجامعة العالمية - فى الفترة من نوفمبر ١٩٥٦ وحتى أبريل ١٩٥٧ - وذلك لدى الطلاب المجريين المهاجرين فى النمسا ، وكانت أحداث المجر بالنسبة لهما - كما هى بالنسبة إلى مجموعة « العقل الجديد » -حافزا للعمل لها أهميتها مثل أحداث السويس .

لقد كانت أهمية محصلة أحداث السويس ترجع إلى أنها كانت بمثابة الوسيط **Catalyst** بالنسبة إلى الاشتراكيين غير الراضين ، ودراما رمزية لفشل « الديمقراطية » البريطانية بالنسبة لهذا الفريق . وبما أن المجر قد أحاطت بالشكوك سياسة خروشوف المناهضة للستالينية ،

كذلك أوحت السويس بأن قبول المحافظين لانتهاء الإمبراطورية كان تحصيل حاصل . ويقول أحد أصحاب هذه الأفكار : « أدت السويس إلى تركيز الأضواء الحادة على بعض المسائل الأساسية حول طبيعة استجابتنا للعالم الحديث ، وهى مسائل متعلقة بالأخلاقية ، واحتمالية استخدام القوة فى العصر النووى . ومسائل عن نتائج القوميات الجديدة بالنسبة إلى السلام والنظام الدولى ؛ والجدل المثار حول دور بريطانيا الجديد فى العالم والغرض من الأمم المتحدة ، ومجال عملها » .

وفى هذا السياق فقد قال الزعيم العمالى جيتسكيل فى مجلس العموم : « إن المبادئ الثلاثة التى حكمت السياسة البريطانية الخارجية – فى السنوات العشر الأخيرة – وهى التضامن مع دول الكومنولث ، والتحالف البريطانى الأمريكى ، والالتزام بميثاق الأمم المتحدة » ؛ – هذه العوامل قد تحطمت أو كادت وتم استقطاب الرأى ، واتسعت مناطق النقاش السياسى ؛ وقد لخصت إحدى الدراسات ذلك قائلة : « نحن لا ننكر خطأ أسلوبنا حول أحداث السويس وانطباع ذلك لدى الرأى العام العالمى سواء تعلق ذلك بفريق المحافظين أو الاشتراكيين أو غيرهم » .

ومع أن البعض قد اتهموا حكومة المحافظين بالفشل الذريع ، فإن حزب العمال – رغم كونه عنصر رئيسى فى الاحتجاج – قد عانى أيضا من فريق أعضاء اليسار الجديد : وعبرت إحدى الدراسات عن ذلك قائلة : « لقد أصبح رد فعل اليسار تقليديا – حينما حدثت أزمة السويس ، إذ جنح اليسار القديم إلى تركيز نيرانه ضد الأشياء التى استخدمت فى القتال » وفى الوقت نفسه فقد اتهم اليسار الجناح الأيمن فى الحزب بأنه يؤسس نقده لأنطونى إيدن – رئيس وزراء بريطانيا وتستند – على أساس أنه عرض للخطر – التحالف الأمريكى كما قسم البلاد أيضا .

وبالمثل كان التوجيه البريطانى – لحملة حزب العمال مع إصراره على الاحتجاج الدستورى – حذرا جدا بالنسبة لهؤلاء الذين سبقوا إلى الشوارع للمرة الأولى ، خصوصا وأن أحد الدروس الكبرى المستفادة لأزمة السويس قد تمثل فى قوة رئيس الوزراء فى العمل دون استشارة – ومن ثم تعرضت حدود الديمقراطية البرلمانية مع ضعف المقاومة الدستورية التى قام بها حزب العمال إلى خلل فى الممارسة وممارسة المواطنين للحياة السياسية ، فالمظاهرات والاضطرابات التى شهدتها المدن البريطانية ضد أحداث السويس قد بعثت الاجتماعات الشعبية وحركت دوافع النشاط البرلمانى ووسائل الاعلام ، ومن ثم أدت أحداث السويس إلى تبنى طريقة راديكالية مضادة للمؤسسات بين أوساط معينة من الطلاب والشباب الذين كان لديهم الاستعداد ، بل وممارسة الغضب ، وتمثل ذلك – بصورة مادية ومعنوية – فى مجلة الجامعات واليسار .

مقارنة بين أحداث الثلاثينيات والخمسينيات :

كتب أحد الباحثين دراسة إبان قمة تأثير اليسار الجديد فى عام ١٩٦٠ – أوضح فيها أن

السنوات الأربع منذ عام ١٩٥٦ تمثل الثلاثينيات من جيلهم ؛ وبالنسبة إلى مجلة الجامعات واليسار كان هذا العقد – الذى أطلق عليه « العقد الأحمر » – نقطة التراجع ، فهى الفترة الوحيدة فى تاريخ بريطانيا الحديث التى قامت فيها نسبة كبيرة من العقليين والمثقفين intellig - entsia والتى كانت منذ فترة طويلة متكاملة مع « الأرستقراطية العقلية » فى إطار التخلى forsook عن ما أسموها بالليبرالية « المريضة » للمؤسسة الأكاديمية .

ومن الناحية الظاهرية ، كانت هناك عدة نقاط متماثلة بين تجربة الثلاثينيات وتجربة الخمسينيات ، إلا أنه بالبحث العميق اتضح وجود اختلافات جوهرية بينهما ، ففى الحالتين ، كانت جامعة اكسفورد هى المركز الرئيسى للانشقاق ، ومع ذلك ففى الثلاثينيات كانت سياسة اكسفورد مرآة لسياسة العالم الخارجى فكان اهتمامها مركزا على البطالة ، وظهور الفاشية ، والتهديد بالحرب . وكان الحل الذى تم تبنيه – بصفة عامة – هو الماركسية فى صورتها الآلية والتى وضعت مجموعة من المعايير ، ومنهجا للبحث اتسم بالحزم ؛ – بل والصراع – مع التجريبية الليبرالية .

ومن ناحية أخرى حاولت مجموعات جديدة من فصائل اليسار الجديد البحث عن تعريفات جديدة للنظرية السياسية والعلوم السياسية ؛ والحلول الجديدة – نظريا على الأقل – للمشكلات القائمة دون حلول من جانبى الاشتراكية التدريجية الإصلاحية . وبينما كان الشعراء الثوريون فى الثلاثينات يحاولون تطبيق النظرية الاشتراكية فى الفن وإتخاذ أشعارهم كسلاح فى الصراع بين الطبقات ، فإن النقاد من هذه المجموعات الجديدة – جاء فعلهم بمثابة رد فعل « لتطرف » المذهب السوفيتى بشأن « الواقعية » الاشتراكية ، ومن أمثلة هذه المجموعات الجديدة رابطة « السياسة والآداب » ومطالبتهم فى أن يهتم الفن بالحياة ، وعلى حين كان الأدب فى الثلاثينيات يعتبر عنصرا متغيرا تابعا لمطالب المادية الثورية ؛ فإن الاشتراكية فى نظر هذه المجموعات الجديدة من فصائل اليسار الجديد كانت فاسدة فساد المجتمع الذى تهاجمه ، لأنها أهملت – من وجهة نظرها – المثل العليا الإنسانية التى يعبر عنها الأدب .

ومن وجهة نظر علم الاجتماع – كان البون شاسعا بين ما يعتنقه أصحابه من نظريات ومجالات تطبيقاتها وبين أراء هذه المجموعات الجديدة من الطلاب والشباب ، فقد عكست صحيفة « اكسفورد الحمراء » التكوين الاجتماعى لجسد الطالب ككل ، وأبناء الطبقات الوسطى والعليا وهم غالبا من ذريات العائلات الليبرالية الكبرى مثل عائلات ستراتش وهالدين وغيرهما . أما الذين تجمعوا حول هذه المجموعات الجديدة فكانوا من ذوى خلفيات أكثر اختلافا ، فبعضهم مثل الن لوفيل ، وجون ماكليشن ، وريموند ولياقر كانوا من « الطلاب » من مجموعات الطبقة العاملة .

وفى هذا السياق أعلن أحد الباحثين أنه من الصعوبة بمكان أن تجد بين شباب العقليين من الجناح اليسارى من هم ليسوا من الطبقة العاملة أو الطبقة الوسطى والدنيا ؛ وبالمثل

جاءت آراء ريموند وليامز وآراء كتاب المسرح البريطانى الجديد وجيل الغاضبين من طبقة اجتماعية أقل من الطبقة التى أتى منها أسلافهم[1] . وعلى الرغم من أنه مما يبعث على سوء الفهم والالتباس رؤية اليسار الجديد باعتباره الممثل المباشر لمصالح مجموعة اجتماعية جديدة فى اهتماماتها ؛ - فإنه لا يمكن - على الأقل - اتهامهم - كما اتهم كنجز لى أمير الروائيين السياسيين فى الثلاثينيات - بأنهم قد اختلقوا سببا يكفل طريقة للاعتماد على الآباء والرواد القدامى بالتفويض - by Proxy بينما فى إمكان المرء أن يعمل دون أن « يتهم » بالذهاب إلى مدرسة عامة » .

واستجابة لليسار الجديد جاءت خيبة آمال شباب العقليين والطلاب واضحة ومتمثلة فى الشباب الغاضب الذى جسده أحدهم « لاكى جيم » . ويصف آلن لوفيل آماله الخاصة - وهو عينة من طلاب العلم وقتئذ - مؤكدا أن المواقف الثقافية أكثر من الامتيازات الاقتصادية - هى أكثر الحقائق التى الستور بها فى الفصول الدراسية فى جامعة اكسفورد . وفى نفس الوقت فقد شعر بالغربة عن الطبقة العائلة التى ينتمى إليها بسبب مصالحه الاقتصادية .

وفى هذا السياق كانت انطباعات الصحفيين والمثقفين عن المستقبل يبدو غامضا ، وليس آمنا ، وحتى الأمان الوظيفى الذى يضيفه المنصب الأكاديمى - كان هو الآخر متسما بالغموض وعدم الاستقرار . وفى الوقت الذى كانت فيه مجموعة « العقلى الجديد » متحصنة entrenchend فى جامعات اسكتلندا وايرلندا الشمالية ، ومقترنة بالطبقة العاملة عن طريق عملها فى الحزب الشيوعى ، فإن المجموعات الجديدة من اليسار الجديد ظلت مترددة .

ومع ذلك فقد مثلت أوضاع هذه الطبقة أحد محددات محصلة الأفكار السائدة والمضطربة والتى عبر عنها ألفين جولدر - أحد الباحثين فى علم الاجتماع قائلا : « تستند أى نظرية اجتماعية على بعض افتراضات الهيكل الداخلى للتصور الذهنى ، وعلى مجموعة من العواطف ، ومجموعة من الخبرات ، وكلها تحدد أى الناس هم الحقيقيون »[2] .

وبالامكان تفسير الفروق بين الراديكاليين فى الثلاثينيات والخمسينيات بالتناقض بين وضع الطبقات ، بيد أنه من الأهم أن يوضع هذا التحليل فى إطار السياق التاريخى الذى صيغت فيه النظريات الاجتماعية ، ومما أدى إلى زيادة تضخيم الأزمة الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عن الكساد العظيم الذى حدث عام ١٩٢٩ ، حدوث الأزمة السياسية فى بريطانيا عام ١٩٣١ التى لاح وكأنها تدعيم لقضية الماركسية التى تنادى بالانهيار العاجل للرأسمالية .

على هذا النحو ، كتب جورج برناردشو فى مقدمة كتابه عام ١٩٣١ بعنوان : « مقالات فى الاشتراكية الفابية » قائلا : « إن أكبر اشتراكى - الآن - وقتئذ وليم موريس قد أخبر

---

(١) Jacobs, Paul and London, op. cit. p. 49.

(٢) Fromm, Erich "The Sae Society" Routledge, London, 1971, pp. 340 - 342.

العمال أنه لا أمل لهم إلا فى الثورة ، هى مؤكدة فى أيامنا – مثل تأكيدها فى الثمانينيات » . وقد بدا أن الديمقراطية البرلمانية لم تعد قادرة على التكليف مع مشكلات البطالة الشديدة ، وأن أى إصلاح غير جذرى لا جدوى منه ؛ وهو ما يبدو – فى سياق التحليل – من تحلل بناء النظام الرأسمالى .

أما هارولد لاسكى فقد استنتج أنه قد تم الوصول إلى مغزى التطور الاقتصادى الذى تنبأ به كارل ماركس حينما توقع أن تؤدى التناقضات الموجودة فى الرأسمالية إلى بزوغ طبقة دائمة نامية من العمال لا يمكن أن توجد وظيفة مريحة بالنسبة إليهم . ومن ثم فإن الواقع الحيوى وهو أن العلاقات بين الطبقات فى المجتمع البريطانى ستصبح غير مناسبة Incompetible للمحافظة على السلام الاجتماعى » ، فقد شجعت الأزمة السياسية والاقتصادية التى سادت العالم وجود نظرة عالمية Manichean وثورية chiliastiep وفى بعض الأحيان فقد شجعت على الاحترام « الأعمى » لإنجازات التجربة السوفيتية ، وبدا أن كل توقعات ماركس قد تحققت وأن « القوانين الجديدة » للتطور الرأسمالى كانت عملية تماما[1] Bornout .

وبالرغم من ذلك فبعد مرور عقدين من الزمان على هذه الأحداث، فقد تقهقرت الماركسية، أو على الأقل المادية الجدلية « الديالكتيكية » ؛ وما اقترن بها من تحليلات اقتصادية ، وقد تحقق ذلك فى ارتفاع الأسعار فى العالم عقب الحرب العالمية الثانية والمشكلات الناجمة عن التضخم الاقتصادى الذى ساد أوروبا عموما ثم النجاح الجزئى للإصلاحات ، وأفكار دولة الرفاهة ، وقدرة الرأسمالية على تنظيم نفسها ، أما تأثير التوظف الكامل ، والارتفاع الحقيقى للدخول على الناقد الاشتراكى – فقد تمثل فى ما أوصى به جون أوسبرن بشأن ما أسماه « تلويث » تقسيمات الطبقات ، مؤكدا بما حدث فى الثلاثينيات قائلا :

« لم يكن من الصعوبات بمكان أن تصمم على الجانب الذى ستدلى بصوتك معه حينما كان الرجال يقفون على أركان الشوارع فى كافة أنحاء انجلترا » .

إن الجمع بين التقدم الاقتصادى ، وإعادة التوزيع الرأسى للدخل فى الأربعينيات – قد أدى إلى زحزحة التأكيد بعيدا عن الاستغلال المادى . وكان على علماء الاجتماع أن يواجهوا وصول الترف فى أوائل الخمسينيات ، ومرة أخرى يضرب أوسبرن مثالا لأحد ردود الفعل قائلا : « إن الطبقة العاملة قد خصص لها وعاء رمل » جد مريح ونظيف ، ومع ذلك فلازالت جالسة على كومة من الثقافة الفاسدة التى تتكون من رموز متضخمة ، وقيم مزيفة كان ينبغى التخلص منها منذ أمد بعيد » .

---

(١) وهو ما أثبتت التطورات اللاحقة – بعد حوالى ستين عاما – عكس ذلك حيث انهارت التجربة السوفيتية وتوقعات ماركس هى الأخرى قد باءت بالفشل . « المؤلف » .

وفى الوقت الذى سادت فيه الأفكار الثورية فى الثلاثينيات وأوحى ذلك بالثقة فى انهيار الرأسمالية – لا محالة مستقبلا فإن اليسار الجديد قد اقترب فى الخمسينيات من نظام اجتماعى كان يبدو أقوى مما قبله من الناحية الاقتصادية ؛ وتكشف صفحات « مجلة الجامعات واليسار » عن محاولة وضع نقد اشتراكى للمجتمع يدخل فى اعتباره التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مع المحافظة على الازدواء الأخلاقى للرأسمالية التى شارك فى صياغتها كل الأجيال السابقة من الاشتراكيين[1] .

---

(١) Mills, C. wright "The New Left", op. cit., pp. 250 - 255.

الفصل الثالث

اليسار الامريكى الجديد

- الخصائص - أوجه الشبه والاختلاف عن اليسار الأوروبى الجديد - من اليسار القديم إلى اليسار الجديد - التقدمية الأمريكية .

الفصل الثالث

اليسار الأمريكى الجديد

الخصائص :

لعل أهم سمة تميز اليسار الأمريكى الجديد عن اليسار البريطانى ، وعن حركة اليسار الأوروبى عموما هو أنه لم يكن لدى أمريكا أى تقليد يسارى فى السياسة . ونتيجة لذلك فإن أى فصائل يسار أمريكية تجد نفسها بصفة آلية خلف المجال السياسى المعترف به ، فى حين وجد نظيره الأوروبى أنه من الصعوبة بمكان أن يقاوم الأحزاب الشيوعية والاشتراكية اليسارية ، ذلك أن بناءها الرخو ، وعدم وجود النظرية والمنتدى المفتوح ، كل ذلك يجد صدى لدى قطاع كبير من الرأى العام وخاصة الطلاب الذين يعارضون تعيين حدود الحزب على أساس خطوط أيديولوجية دقيقة . ومع أن الحرمان من حركة اليسار الجديد كانت عامة ؛ فإن تحديد الحزب كان السمة الرئيسية التى تميز حركات الطلبة الأوروبيين التى يوافق الكثير من أعضائها على شعارات مثل الماوية Maoist أو التروتسكية .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية كان انعدام البناء بسبب الخوف من العقيدة سببا فى مناصرة وتشتيت حركة اليسار الأمريكى بالإضافة بالطبع إلى عدم وجود العمل السياسى الحاسم .

يختلف ذلك جوهريا عن اليسار الأوروبى الجديد وخاصة فى بريطانيا حيث لوحظ نجاح حركة اليسار الجديد فى استقطاب قطاع عريض من المجتمع البريطانى ابتداءا من كتاب الحرس الأمامى لمجلة « اليسار والجامعات .The Left & The Universities » وهى مجلة بريطانية ظهرت فى عام ١٩٥٧ من خلال جهود أعضاء مخابرات الحزب الشيوعى ؛ واشتراكيه الجناح الأيسر والشباب البريطانى الذى لم يسبق له القيام بأى اتصالات سياسية . ومع أن اليسار الجديد فى بريطانيا قد اختلف جذريا عن سلفه فى الخمسينات وخاصة من حيث دوليته وتركيزه على العالم الثالث ، إلا أنه كان بمثابة حركة موجهة سياسيا ، لأنه وضع نفسه فى إطار نظرية ماركسية متعاونا أو بالأحرى ؛ متحدا مع الطبقات العاملة . وقد أوضح بيتر بوكمان[1] أن اليسار الأوروبى بذل جهدا كبيرا أثناء الخمسينات وأوائل الستينات داخل النظام السياسى القائم ، ورفض قادة اليسار مهاجمته ، وكان عليهم أن يظلوا محترمين » ، وعلى العكس من اليسار القديم ، فقد نجحت الحركة الجديدة فى إحداث تمزق تام داخل حزب العمال البريطانى ، بالرغم من أنها ظلت تعمل كثيرا داخل تقاليد السياسة « الراديكالية » ، وبذلك لا يختلف بناؤها كثيرا عن اليسار الأمريكى فى الثلاثينات ، غير أن وجه الاختلاف يبرز بحدة فى النواحى الأيديولوجية .

---

(١) Peter Buckman, "The Limits of Protest", Panther, victor Gollancz, London, 1970, P. 32.

وفى بداية الستينات كتب س . رايت ميلز منتقدا اليسار فى بريطانيا لأنه يركز تماما على الطبقة العاملة ، وهى خاصية يفتقر إليها اليسار الجديد ، ويوضح ميلز ذلك قائلا : « إن ما لم أفهمه تماما عن بعض كتاب اليسار الجديد هو السبب فى التصاقهم على هذا النحو بالطبقة العاملة للمجتمعات الرأسمالية المتقدمة باعتبارها الوكيل التاريخى والأهم فى مواجهة البيئة التاريخية المؤثرة فى الواقع ... وحينما يوجد الوكيل فمن الطبيعى أن نعمل معه ، بيد أنه يجب ألا نعامله باعتباره الأداة الضرورية ، كما يميل إلى ذلك سادة حزب العمال فى بريطانيا وفى غيرها »[1] .

وإذا انتقلنا إلى ألمانيا، فالملاحظ أنها تمثل أفضل أمثلة الجهود ...Apathy حيث لاتقدم الطبقة العاملة أى بديل عن النظام ويرفض توم كاهن .Tom Kahn[2] حركة العمال، ويصر على اعتقاده بأن «الطبقة العاملة» المنظمة قد حققت أهدافها وأصبحت جزءا لايتجزأ من هيكل القوة.

أوجه الشبه والاختلاف عن اليسار الأوروبى الجديد :

وعموما فإن اليسار الأمريكى يلتقى مع اليسار الأوروبى عامة من حيث التأثيرات النسبية للبرجماتية والوجودية ، أما أوجه الخلاف فتنحصر فى الحلم الأمريكى وهل هو فى سبيله إلى الانهيار وهو مايقتضى وقفة لتفسير وتعليل هذين الاعتبارين الرئيسيين فى اليسار الأمريكى الجديد:

أولا - الوجودية الأوروبية والبراجماتية الأمريكية :

هناك أفكار تفيد التمييز التقليدى بين الذات والموضوع ، والموضوع هو الذى أوجد البيئة فى المواجهة بين « العالم العقلى المختل » Alienated والعالم الخارجى العقلى البيروقراطى[3] . ولقد كان من المعتقد أن الوجودية هى السبب فى ذلك ، وهى التى أحاطت به عن طريق الامتصاص المثالى للموضوعية كما أنها السبب المحتمل لوجود هذا الاعتراض الكبير بالعقليين فى فرنسا ، ولقد شرع دادا DaDa والحركة السريالية فى الاستهزاء بالمادة كوجود مستقل وذلك باستخدام مركبات موضوع « العبث » فى الموضوعات المجردة . وقامت الفلسفة الوجودية بتحسين كل من الخوف واحتقار المادة عما يؤدى إلى مدح المثالية . وبالطبع فقد ساهمت العوامل التاريخية فى احتضان ostering المثالية عن طريق التشاؤم ، كما أوضح ماركوس Marcuse حينما فسر إعادة ميلاد الوجودية أثناء مجزرة النازية Nazi halocoust[4] .

(1) Wright Mills, "Letter to the New Left" in Carl Oglesby led.". "The New Left Reader", Grove Press N.Y., 1969, P. 28.

(2) Tom Kahn, "The Problem of the New Left", Commentary, July 1966.

(3) H. Marcuse, " The Struggle Against Liberalism in the Totalitarian view of the state", in "Negations, Penguiu, 1972.

(4) Ibid, P. 37.

أما فى الولايات المتحدة فقد كان للبرجماتية تأثير أكبر من تأثير المثالية الوجودية خصوصا فى الفترة السابقة على فترة سيادتها بعشرات السنين وبالتحديد منذ بداية القرن العشرين ، فلقد اعتبر الإنسان هو المخلوق الممارس والتكنولوجى الذى يهتم بالبحث عن الحقيقة أكثر من اهتمامه بالسخرة . ولقد كرمت القدرة التكنولوجية حتى أصبحت فوق الفلسفة بالأكاديمية التقليدية والنبوغ العقلى . ومن الضرورى وضع غايات محددة وإنجازها حتى يمكن إعادة تنظيم البيئة . بحيث تتلاءم على نحو أفضل مع احتياجات الإنسان ورغباته ، ويرى كاهن Kahn أن ميراث الأيديولوجية تتجسد فى أيديولوجية اليسار الأمريكى الجديد ويضيف قوله « إن إصرار اليسار الجديد على أن تكون تجربته الخاصة قائمة على أساس أفكاره إنما هو واقع حى فى التقليد الأمريكى البرجماتى ، وفى حين يمكن أن يؤدى هذا الإصرار إلى أقليمية ساخطة فإنه قد يعد أكثر عبقرية ووطنية – وأقل اعتمادًا على[1] التراث الأوروبى الراديكالى –بين الراديكالية الأمريكية والحقيقة الأوروبية .

وكما لاحظ من قبل ماكلينز[2] فإن التصور الماركسى للممارسة ، وهو أن له مغزاه فى فهم البحث الثورى ، له علاقة بالبرجماتية التى تكافئ « المبادرة الفردية » غير أنه – على خلاف الماركسية – ليس للبرجماتية أى واقع تاريخى . أما الميل إلى اعتبار كارل ماركس رائدا للبرجماتية ، فقد اعتبره ماكلينز انحرافا غير مقبول عن منهج البحث الماركسى من حيث أنه لا يضع فى الاعتبار الدافع المادى للديالكتيك وما اعترف به ماكلينز كمثالية كامنة فى البرجماتية يمكن مشاهدته عند الفيلسوف هربرت ماركيوز الذى – على الرغم من اعتقاده بضرورة التغلب على الواقع بتغييره – كان يؤكد أهمية الفكرة فى هذه العملية ، رهى أن كل ما هو ضرورى لتغيير العالم يكمن فى تطور الوعى ، وهو مالا قبل للطبقات العاملة بتحقيقه حتى الآن .

ويعترف تيودور روساك[3] بوجود اختلاف بين ماركس وماركيوز حينما أشار إلى أن ماركيوز يقلب نظرية الثورة رأسا على عقب ، مؤكدا أولوية الفكرة فى الإعداد للثورة أكثر من العوامل الاقتصادية للرأسمالية التى تؤدى إلى بؤس الطبقات العاملة[4] بيد أن البرمجاتية

---

(١) Tom Kahn, "The Problem of the New Left", op. cit.,

(٢) Neil McInnes, "The Western Marxists", Alcove Press, London, 1972.

(٣) Theodore Roszak, "The Making of a counter Culture", Anchor Books, N.Y., 1969, P. 109.

(٤) إن التركيز على الوعى باعتباره العامل الأكبر فى الثورة ، ومن ثم بخس قيمة العوامل الاقتصادية يجد له مبررا فى أيديولوجية اليسار الجديد بتركيزه على « التحول أو النقل » وحينما كتب لارى سبنسLarry Spence عن بركلى ١٩٤٥ فى :

فقد ذكر أن « مسح الثورات الناجحة والعمل الراديكالى يؤدى بنا إلى استنتاج أن الناس يجب أن يكونوا واعين ، غير جياع ، وذلك إذا رأوا إصلاح المجتمع .

تختلف عن الماركسية من حيث فشل الأولى فى توفير مفهوم جامع شامل . فالبرمجاتية إنما هى بالأحرى فلسفة لرأسمالية متطورة وإذا أمكننا أن ندرك فى مذهب أنجلز رمزا للعلمانية المتفائلة التي تميز الحياة العقلية الأوروبية فى العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ، فإن ذلك يخول لنا أيضا أن نتأمل البرجماتيين الأوائل وهم يناصرون فلسفة النجاح الفردى الذى أثرى منذ زمن طويل عقل العالم الجديد في تطوره الاقتصادى السريع وفى إمكان المرء أن يتلمس بعض صيغ جيمس مكتوبة على نحو أبسط أسلوبا فى كتابات هنرى فورد »[1] .

أما وليم باريت[2] فإنه يوضح أن الكآبة الوجودية مضادة لطابع الشباب الأمريكى وتفاؤله ، كذلك فإن الوجودية كانت تعبيرا عن أوروبا الغربية فى سنوات الحرب حينما كانت الآفاق السياسية والروحية تهتز ، فى حين لم يختبر الأمريكيون بعد مثل هذا الاختفاء ، لحدودهم الجغرافية[3] وكذلك أوضح هنرى لوفيير Henry Lefebure أنه بينما كان المستوطنون فى أمريكا يذهبون إلى أرض حرة ويحتلون الأرض حينما كانت المدن قد أقيمت فعلا » نجد أن المدن فى أوروبا قد تطورت ونمت فى قلب بيئة ريفية . ونتيجة لذلك يستنتج لوفيير أن هذا هو السبب فى عدم وجود ثقافة ريفية فى الولايات المتحدة الأمريكية[4] .

إن الفرق بين ديوى والوجودية هو الفرق بين أمريكا وأوروبا وأن التفاؤل الأمريكى مرتبط بنزعاتها التوسعية وترويض الغرب وقصة الحدود والحلم الأمريكى .

ثانيا – انهيار « الحكم الأمريكى »[5]

يقول كانن : « كان هناك حلم فى أمريكا ... أمريكا ستكون مختلفة وحرة وممتازة . وبالطبع تم القضاء على هذا الحلم إذ أنه بمجرد أن قدم البيورتيان فقد وضعوا القوانين الدينية ، ولكن سرعان ما تمسكوا بالحلم حتى الآن .. والآن لا يأمل أحد أن تكون أمريكا مختلفة ، وأظن أن الحلم هو الذى حطم الحلم . واعتقد الناس أن الولايات المتحدة الأمريكية (وهى

---

(١) Leszek Kolakowski "Karl Marx and the Classical Definition of truth" in : "Marxism and Beyond", Paladin, London, 1971, PP. 60 - 63.

(٢) William Barrett : "International Man", Chapter 1 "The Advent of existentialism", London, 1961.

(٣) يحتمل أن يكون هذا الرأى قد قيل لتفسير المركزية البيروقراطية فى فرنسا ولذلك على النقيض من الكثرة الأمريكية ، بمعنى أنه بينما كانت أوروبا « انطوائية » كانت أمريكا « انفتاحية » وقد سبق تفسير ذلك عند تناول اليسار الجديد فى كل من بريطانيا وفرنسا (المؤلف) .

(٤) J. P. Sartre. "Search for a Method", trans. Hazel Barnes. Vintage Books, N.Y., 1968, PP. 51-54.

(٥) Murray Book chin: "Post-Scarcity Anarchy", Pamparts Press, Berkeley, 1971.

اسم كبير ...) كانت نسيج وجودها ، وأننا لا نستطيع أن نفعل شيئا ، وأنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان .. وأتمنى أن يستيقظ الناس ويحلموا مرة أخرى »[١] .

وفى عصر التوسع والتفاؤل الرأسمالى تعرضت أمريكا لتنوير جديد فوضعت عقيدتها فى العلم والعقل ، وأعتقدت فى البرجماتية والجماعية والليبرالية ، فى عصر كانت فيه قدرات الرجال معينا لا ينضب . غير أنه بازدياد التعقيد الصناعى فى الساحل الشرقى ، اضطر الناس إلى التحرك نحو الغرب بحثا عن[٢] « الحلم الأمريكى » ، كذلك فإن البحث عن العزلة والاستقلال هو الذى دفع أناس من أمثال ثورو Thoreau إلى والدن بوند Walden Pond وآخرين إلى الحدود الغربية ويقول د .أ . سميث[٣] D.E. Smith « عن هذه النقطة التى ازدهرت فيها فى أمريكا أنها قد اكتشفت مجتمعا ، وفى أثناء هذه العملية اكتشفت الانحراف أيضا » .

وباستمرار نمو الليبرالية المتحدة Corporate Co. Liberalism فقد صنفها رايخ Reich بأنها الوعى الثانى (Cons-Ciousness II)التى أتت مع الوافدين الجدد ، فقد عبر « الحلم الأمريكى » عن نفسه بأنه « مضاد للدولية ومع الفردية الملكية لرجل الحدود المحافظ – وهو ما أسماه رايخ Reich بالوعى الأول . (Consciousness)

وقد ذكرت كورين جاكر[٤] Corine Jacker أن الفوضوية الوطنية المباشرة إنما هى نتيجة اليمين المتطرف فى أمريكا وليست الفوضوية الشيوعية لليسار واقتبست بذلك قول الأميرال بن موريل Ben Moreel إننى أناصر الذين يعتقدون أن الصراع الأكبر فى عصرنا هو الصراع بين الفردية والجماعية وذلك لتحديد ما إذا كان الفرد ، باعتباره « ابن الله الذى وهبه بعض الحقوق التى لا تنقل ، سوف يسمح به بالسعى من أجل حياة يكرس نفسه فيها فى سلام من أجل الله وفى حب لجيرانه أو ما إذا كانت حياته خاضعة لإرادة الأغلبية .

---

(١) Kunen, J. S., "The Strawberry Statement".

والفقرات الواردة فى المتن مقتبسة بمعرفة :

Theodore Solotaroff "Holden Caulfield Meets the Movement". The New Republic. May 10th 1969.

(٢) تجسد أفلام جون فورد John Ford هذا الإخفاء للمثالية حول الهجرة للغرب بحثا عن الوجود الطبيعى الأرضى . ولمزيد من التفصيل راجع :

Peter R. Willimas The Politics of existentialism alienation of new left thought "M. A. 1974". Keele University U.K. PP. 58 - 63.

(٣) D. E. Smith, "Alienation and American Dream" in: Gerberding Smith "ed.". "The Radical left". The A Buse of Discontentent. "Houghton Mefflin. Boston" 1970.

(٤) Carinne Jacker. The Black Flag of Anarchism: Anti- Statish in the United States. N.Y.. 1968.

ويضيف ماندل[1] الملامح الأولى للانتقال قائلا : « إنها انفصال الناس عن المدخل الحر لوسيلة الإنتاج ووسيلة العيش » مؤكدًا أن هذا هو ما يحدث أخيرا فى الولايات المتحدة ، فى حين أن ذلك يحدث فى أوربا منذ مائتى عام ، ومن ثم فإن حجم أمريكا يمكن أن تعتبر أحد العوامل التى أدت إلى تخلف الفلسفة الاجتماعية فيها .

وما زالت أفكار الفوضوية الاقتصادية من طراز موريـل Moreel مضادة تمامًا لليسار ، وخاصة اليسار الجديد الذى يرفض المثل العليا للمجتمـع الليبـرالى الـذى ينعم بالرفاهيـة إلى جانب تشجيع الحافز الفردى « للحلم الأمريكى » ، بمعنى رفض الأخلاق البروتستنتينية من حيث علاقتها بالرأسمالية والتى أوضحها ويبر Weher بقيمها الخاصة بالشجاعة والربح . ومع ذلك ، فإنه وفقا لآراء بيتر برجر Peter Berger وزوجته بريجيت Brigitte فإن تشارلز رايخ Charles Reich يخطئ فى النظر إلى إزالة أوهام الشباب فى قيم مجتمع الطبقة الوسطى باعتبارها ثورية بالقوة ، ويعتقد آل برجر[2] The Bergers أن أطفال الطبقات الدنيا –من العمال ذوى الياقات الزرقاء – سيتحركون إلى المناصب الفنية والإدارية التى رفضتها الطبقـة الوسطى ، ويوافق على أحدى صور نظرية « دورة الصفوة » Circulation of elites theory ومن الصعب فى الوقت الحاضر إثبات أو دحض هذه النظرية ، لأن المؤسسة لاتزال تحتاج إلى عدد كبير من موظفيها من خريجى الجامعات الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى ، غير أن نسبة كبيرة من الشباب المتعلم يرفضون – أو على الأقل يترددون فى قبـول قيـم المجتمـع الرأسمالى ، ومن ثم فمن أجل الاعتراف بالانتقال كعدم القدرة أو عدم القوة لتحقيق دور تم اختياره سلفًا [3] . فإن هذا لا يفسر انشقاق الطلبة على نحو مقبول ، إذ أن الطبقة المستنيرة من الطلبة تتوفر لها فرصة الحصول على السلع المادية مـن المجتمـع الـرأسمالى الـذى يفضلون رفضه مع ذلك . وهكذا فإنه فى غضون فترة أقل من عقدين من الزمن[4] شاهدنا إنهيار الحلم الأمريكى ، أو ما يصل إلى نفس الشىء وهو إزالة الأسطورة الموجودة فى الولايات المتحدة والتى تنص على أن الوفرة المادية القائمة على أساس علاقة السلـع بين النـاس يمكنها أن تلغى الفقر الكامن فى الحياة البورجوازية .

أن ثورة اليسار ضد نمو الليبراليـة المتحدة ليسـت ثورة اقتصادية بقدر ما هى أخلاقيـة .

---

(١) Ernest Mandel The Causes of alienation, in: The Marxest theory of alienation (Thre Essays By Ernest Mandel and George Pathfinder Press, N.Y., 1973.

(٢) Peter and Brigitte Berger, The Blueing of America Dialogue, Vol. 4, 1971, No. 4.

(٣) John P. CLark. Measuring Alienation Within a Social System, American Sociological Review, 1969

(٤) Bookchin, Post-scarcity Anerchy, op. cit.

« الثورة البورجوازية كانت قانونية ، وثورة البروليتاريا كانت اقتصادية ، أما ثورتنا فستكون اجتماعية وثقافية حتى يستطيع الإنسان أن يجد ذاته[1] .

وتتعرض بعض الأفلام التى شوهدت فى أواخر الستينات لمزيج من الثورة الوجودية الفردية والمثالية البدائية الجديدة ، وكلها دراسات فى الانتقال واللامعيارية وتحدى كيفية الحياة . وفى الوقت الذى نجد فيه الجناح الأيمن يهتم بالحقوق « غير الانتقالية » للمواطن ، يبدى الطلبة احتقارًا وجوديا للمجتمع على النحو الذى يبديه هولدن كولفيلد Holden Caulfield فى قصة سالينجر Salinger's novel- catcher in tle Rye .

بيد أن صحيفة الجارديان The Guardian أوضحت أن عمليات المسح التى أجريت بين الشباب فى الاتحاد السوفيتى وغيره من دول أوروبا الغربية قد أثبتت أن الموافقين يرفضون طريقة هولن كوفيلد « طالما يعيش على مشاعره » ، والناس الذين يفكرون بقلوبهم لا يستطيعون اتخاذ قرارات سليمة[2] ولا شىء أكثر لعنة من فلسفة اليسار الأمريكى الجديد . وتنبع الطبيعة العاطفية لثورتهم من إزالة الوهم بالعقل والتقدم ، أى الاستغناء عن أبولو Apollo لمصلحة ديونيس Dionysus. إن القديم كان ثوريا طبقا للمنظور الجديد المتطلع إلى التقدم الإنسانى . ومع ذلك فالوجودية ثورة ضد « التنوير » القديم الذى يعبر عن إزالة الوهم فى التقدم ، رافضًا التصور القائل بأن الإنسان يمكن أن يضيف إلى معارفه ويرفع من مستوى معيشته بتوسيع سيطرته الجماعية على الطبيعة والمجتمع »[3] .

وتختلف حركة اليسار عن المثال الأعلى للحلم الأمريكى بالتركيز على أهمية المجتمع . ويخلو المجتمع الأمريكى من المثال الأعلى الجماعى باستثناء مزارع بروك Brook Farm وجماعة أونيدا Oneida Community .

ومنذ أواخر الثلاثينات بدأ تأثير البرجماتية يتناقص إذ رأى رايت[4] ميلز Wright Mills أن الاهتمام من بكجورد Kier Kegaard يفوق الاهتمام بجون ديوى John Dewey وكانت نتيجة مولد الدولة المتحدة ، أن أصبحت الليبرالية غير عملية بتركيزها على قيمة الفرد وأهمية الاكتفاء الذاتى . وتقوم الليبرالية الكلاسيكية على أساس إمكانية قيام مجتمعات على نطاق صغير مثل

---

(١) الفقرات الواردة فى المتن مستمدة من: Thesis 29 Appeal From the Sorbonne June 13-14, 1968, in: Carl: oarl oglesby (Ed.), T The New Lew Left Reader, op. cit., P. 273.

(٢) The Guardian-Children of the iron curtain, 14th, November, 1972.

(٣) Sidney Finkels tein, Existentialism and Alienation in American Literature, International Republishers, N.Y., 1968, p. 120.

(٤) Wright Mills, The Social Role of the Intellectual, in: Power, Politics and People: The Colleected Essays of C. Wright Mills, I.L., Horwitz (ed), N. Y., P. 292.

الدولة المدنية فى دولة الإغريق . ويذكر ميلز Mills أن الإدارة العامة والأفكار الحرة مثل الرأى العام عند روسو ، إنما تقوم على أساس تلك الاعتراضات(١)؛ وأن هذه القيم بجانب حرية التجارة Laissez-faire تعتبر غير عقلية فى سياق الحديث عن الدولة الجماعية The mass State وفى اقتصاد الأسواق الناشئة حيث يكون التركيز على الملكيات الصغيرة ، فإن المتوقع من كل فرد أن يعمل على رفع مستوى معيشته عن طريق المبادرة والعمل الشاق ، فى حين أنه فى المجتمع النامى الجماعى التكنولوجى البيروقراطى والذى يبتعد عن علاقات الملكية الجماعية ويقترب من الملكيات المكثفة – هنا يصبح « الأمن » Security حسب تعبير ميلز هو القلق Anxiety وذلك بالتركيز على عملية Process يستطيع فيها الناس أن يكفلوا مستقبلهم(٢) بأنفسهم .

وبينما كان المثال الأمريكى الذى يحتذى به القرن الماضى وأوائل القرن الحالى هو العزلة Isolation والمقدرة على الدفاع عن النفس ، فإن رد فعل اليسار الجديد ضد المجتمع إنما هو نتيجة الشعور بالعداء والابتعاد والعزلة وبما أن العداء يختص بطبيعة النظام وليس بالتغيير ، فإن جون هورتون(٣) John Horton يرى أنه من الممكن تطبيق هذا التصور على اليمين وليس على اليسار .

ومع ذلك فإن العداء لا يمكن تمييزه فقط بالانحدار الملحوظ فى المستويات الاخلاقية ، ونقص المعايير الاجتماعية ، بل أيضًا بالتمهيد العام ونقص أى توجيه معترف به ، والحاجة إلى الانتماء الذى يميز عددًا كبيرًا من الشباب فى الغرب كما أنه نتيجة لمناخ فترة الحرب الباردة . وبعبارة أخرى نجد أن نفس العوامل التى تنتج النماذج السلوكية المنقولة هى التى كانت تثاب فى أمريكا فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وتعتبر ديمقراطية المشاركة Participatory democray بالنسبة لليسار الجديد هى التى تكفل له الوسيلة التى تبعده عن الوحدة والعزلة . وما يشير إليه تشارلز رايخ Charles Reich باسم « الوعى الثالث » Consciousness III هو محصلة إزالة وهم المجتمع الصناعى لمعاصر ومحاولة « لمعادلة المذهب الذرى » Atomisation.

وبمعنى آخر مذهب « الجوهر الفرد » والذى اعتبره اريك فروم Erich Fromm للمجتمع بعد الاقطاعى . وإذا اختبرنا ايديولوجية ديمقراطية المشاركة Participatory Democracy فإن السياسة هى « فى الخلق الجماعى لنموذج مقبول للعلاقات الاجتماعية » والتى تملك وظيفة « إخراج الناس من العزلة وإدخالهم فى الجماعة ومن هنا كانت ضرورتها . وإن

(١) Ibid., P. 192.

(٢) Ibid., P. 191.

(٣) John Horton, op. cit, P 47.

كانت وسيلة غير كافية لإيجاد معنى فى الحياة الشخصية Personal life[1] ولايزال التأكيد منصبا على الحياة الخاصة للفرد حيث لا يحتضن المجتمع إلا طالما كان يزيد من إمكانيات الإنقاذ وتحريره الذاتى . وعلى الرغم من انتشار أفكار الوعى الأول Cons-Ciousess I. . لروسو قد أصبحت غير ذى بال فى مواجهة التاثير المتزايد للبيئة والتركيب السياسى القومى .

من اليسار القديم إلى اليسار الجديد :

يقول ميلز « إذا فرضنا – على سبيل المثال – وجود فرق واحد فى موقف جيمى بورتر Jimmy Porter فإنه – أى جيمى بورتر – شخصية لم يعد لها وجود : إنها حركة سياسية فى مظهرها وأنشطتها ، وكانت حية بالنسبة إلى كل من المتاعب الخاصة والموضوعات العامة التى كان منغمسا فيها . ولقد كان ميلز هو الشخص المقبول لدى الشباب الأمريكى كرائد لليسار الجديد هناك . وبما أنه قد ترك تماما الحياة السياسية العادية فهو لم يدل بصوته أبدا فى أى انتخابات معتقدًا أنه لكى تنضم لرأى منظمة سياسية ، فإن ذلك يتطلب التمييز الشخصى لقواعد وسلوك الحركة وأغراضها »[2] .

لقد كان اليسار التقليدى فى الولايات المتحدة الأمريكية يتكون من الأحزاب الماركسية أو الماركسية اللينينية المرتبطة بالتقاليد والعادات المشتقة من الدولية الثالثة Third International وهى الحزب الشيوعي للولايات المتحدة الذى تألف عام ١٩١٩ ، حزب العمال الاشتراكى (التروتسكى) الذى أنشىء عام ١٩٣٨ ، الحزب الاشتراكى عام ١٩٠١ ، وعصبة الديمقراطية الصناعية The League for industrial Demacracy عام ١٩٠٥ والتى أصبحت فيما بعد تعرف باتحاد الطلبة للمجتمع الديمقراطى .

وهناك أحزاب أنشئت فى الفترة اللاحقة منها حركة ٢٢ مايو (المناصرة للماوتسية) وتم حلها عام ١٩٦٦ ، والحلف الاشتراكى للشباب (تروتسكى النزعة) والشباب الماركسى ضد الحرب الفاشية ومقره فى نيويورك ، ونوادى دوى بول شد ب‍حخ (وهى مناصرة للسوفيت وأكثر اعتدالا من مجموعات اليسار القديم المشتقة من التقليد اللينينى وتم تشكيلها عام ٦٣١٩ ، والجمعية الاشتراكية للشباب The Young People's Socialist League والتى تتعاون مع شباب الديمقراطيين والأمريكين للعمل الديمقراطى) .

وكانت جمعيات اليسار الجديد قد انتعشت أثناء فترة الكساد العالمى وحتى الأربعينات ،

---

(١) الفقرات الواردة فى المتن مقتبسة من :

C. Wright Mills, The complacent Young Men in: Power, Politics and People, op. cit., P. 389.

Paul Jacobs and Saul Londau (eds). The Nsw Radicals, Penguin, 1967 p. 160.

(٢) R. Miliband, Mills and Politics in: The New Sociology Essays in Social Science and Social theory in honour of C.R. Wright Mills, I.L. Horowitz (ed), oxford University Press, N.Y., 1965.

بيد أنه نظرا إلى اضطهاد الحكومة لها في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية فضلا عن تزايد قبولها للرخاء الأمريكي بين الاتحادات والعمال ، واتهامات خروشوف لستالين وانتفاضات شعبي المجر وبولندا عام ١٩٥٦ والتصفيات التي قام بها مكارثي وانحلال اليسار الراديكالي في أواخر الخمسينات ؛ كل ذلك أدى إلى ظهور اليسار الجديد في مجتمع رأسمالي النزعة كان يتسم بالاستقرار النسبي ، وعلى العكس من اليسار القديم فإن الطلبة لم ينتقدوا البناء العلوى الاقتصادى ، ويقول فوير Feuer بهذا الخصوص « كانت سياستهم هي سياسة البناء العلوى » ، وبما أن الاستغلال .exploitation هو مفتاح نقد البناء العلوى ، فقد[1] كان الانتقال "Alienation" هو مفتاح البناء العلوى . "Super Structure".

أما اسحق ديوتستشر Isaac Deutscher: فيقول : « من الواضح أن ما يوحدكم يا أتباع اليسار الجديد هو الانتقال العاطفي فضلا عن معارضة المجتمع البورجوازى الغبى "Stupid bourgeois society" المنكفئ على ذاته في ظل رضاء نفسي وغذاء جيد »[2] .

إن السمة المؤسسية التي يفترضها الفكر الماركسي والبناء الحزبي التسلطي للأحزاب الشيوعية في الغرب قد تم رفضها لمصالح سياسية وجودية قوامها العمل والتلقائية وليست لها أى أسس مشتركة باليسار القديم . ولقد زعم ميخائيل نوفاك Michael Novack أن الفرق بين الجيلين يكمن في أن اليسار القديم قد استبدل التبصير بالبرجماتية والمثل العليا بالحلول الوسطى « في حين اقتحم اليسار الجديد تشاؤمات الخمسينات لكشف فضائح العنصرية وشياطين فيتنام وسياسة الإجماع ، ففي عام ١٩٦٤ على سبيل المثال لدى الاجتماع الديمقراطي في أتلانتيك سيتي ، نجد أن اليسار القديم بدلا من أنه يناصر الحزب الديمقراطي لحرية الميسيسبي ، قام بتأييد المصالحة من أجل تهدئة اليمين الراديكالي ، مما أثبت التزامهم المسبق بسياسة الإجماع .

إن راديكالية الحركة هي أبعد بمراحل مما حددته الأحزاب اليسارية . وكما يرى برجر Berger أن الخطابة تنتسب إلى روسو أكثر من انتسابها لليعقوبيين » و « العبودية كلمة شفوية » ويضيف قوله : « ليست فصائل الثورة هي الكتل المضللة في النبوءات الماركسية ، بل أنهم أطفال الطبيعة العراة وهم يرقصون على أنغام الطبول البدائية ورفرفة شبيهة بالطيور »[3] .

وقد بدأت الحركة (وهو اسم مطلق على مختلف المنظمات التي تؤلف اليسار الجديد الأمريكي) ، كنوع من التحدى لكيفية الحياة ، بيد أن ثورة « البيتش » Beats ثم « الهيبيز » Hippies قد اعتبرت كنوع من رحلة « الأنا » ego trip وفشله المحتم في خلق أى وعى

---

(١) Lewis Feuer: "Alienation: The Marxism of Contemporary Student Movement" in: M.M. Drachkovitch (ed.). (Marxist Ideology in the Contemporary World", N.Y., 1966).

(٢) Isaac Deutscher, "Marxism and the New Left4", 1967 in Deutscher", Marsism in our time", Tamara Deutscher (ed.) Care, London, 1972.

(٣) Peter Berger & Brigitte, "The Blueing of America", op. cit.,

اجتماعى » ولقد تفجرت الحركة فى فترة الخمسينات فى محاولة للجمع بين الإنسانية الوجودية والالتزام الراديكالى .

ولم تتم أبدا التضحية بالاعتبارات الأخلاقية من أجل الكفاية السياسية ، ومن ثم انتشر تاريخ اليسار الجديد مع تشجيع الأخلاقيات الفاضلة ، وكانت النتيجة غير متوقعة من خلال الممارسات السياسية السالبة . ويعتقد تودورى[1] Toodari أن « الغريزة الثورية تنبع دائما من اعتبارات أخلاقية خصوصا فى دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية حيث لا توجد قوى قادرة على شن حملات ذات طبيعة سياسية » ومن ثم لم يكن من المستغرب أن قضايا من نوع الحقوق المدنية واختبار الأسلحة النووية – كانت ستحمل أضواءًا ساطعة .

وقد قامت منظمة الطلبة من أجل مجتمع ديمقراطى SDS التى كانت قد تكونت فى يونيو ١٩٦٢ بنيويورك بإصدار منشورها ، التى تأثرت فيه بتوم هايدون Tom Haydon فى يونيو ١٩٦٢ والمعروف باسم « بيان بورت هايرون The Port Huron Statement » وجاء هذا المنشور تعبيرا عن طموحات شباب الطبقة الوسطى الليبرالية التى تحترم المثل العليا للديمقراطية الأمريكية وشاهدت هذه المثل العليا التى يحتقرها الممثلون السياسيون للشعب ونتيجة لذلك فقد رفضوا كثيرا من سمات المجتمع الذى يضمهم ، أما غاية النظريات الأيديولوجية « فى مطلع الستينات والتى صاحبها انحلال اليوتوبيا والأمل »[2] فلم تبعث فيهم سوى الإحباط . ورفضوا الشيوعية لأنهم قارنوها بالبيروقراطية الستالينية ، وكما تقول روزا لوكسمبورج Rosa Luxenburg« لم يكن لديهم سوى إيمان ضئيل بالمركزية الديمقراطية » : وتضيف قائلة : وكانت هناك علامة انعكاسية لجولد ووتر ومنظمة H. U. A. C. تسعى إلى الصراع ضد الشيوعية عن طريق معاداة الديمقراطية ، وكان هناك نوع من التقدمية ترفض الشيوعية لأنها ضد الديمقراطية ، وتناظر بين الديمقراطية الفعالة والشيوعية . وعلاوة على ذلك كانت الأغلبية العظمى من الطلبة الأمريكيين تقف موقفا عدائيا من الشيوعية . وأى حركة تصر على أوهام على خفية عن العالم الشيوعى سوف تجد نفسها فريسة لقيود عنيفة فى اللجوء إلى إيقاظ مجتمع فسيح »[3] .

وكذلك فقد تم رفض خاصية الترتيب السياسى والاجتماعى المتزايد للرأسمالية الأمريكية . وكانت منظمة الطلبة من أجل مجتمع ديمقراطى تحاول إيجاد طريقة أخرى لا تزال مبهمة وغير محددة ولكنها تعتبر حلا إنسانيا لا تعيقه هياكل الرأسمالية والشيوعية . إن الخاصية التى يبدو أن اليسار الجديد يتميز بها هى المستوى العالمى « لانعدام المعايير » بسبب مستويات التعليم العالية

---

(١) Massino Teodori (ed.) "The New Left: A Documantary History", Jona than Cape, London, 1970.

(٢) K. Keniston, "Alienation and the Decline of Utopia" in: American Schalar 29, 1959 - 60.

(٣) Young People's Socialist League: The Norman Thomas Chapter, "A Democratic Left" in: Paul Jacobs and Saul Landau (eds). "The New Radicals", Pelican, 1967.

التى تؤدى إلى آمال أكبر فيما يتعلق بسلوك الموظفين العموميين . وحينما يتفاعل انعدام المعايير « السياسية العالية » مع انعدام القوة السياسية « المنخفضة » كان ذلك يؤدى وفقا لرأى فينفتر[١] Finifter إلى « إصلاح جماعات الاحتجاج الموجهة التى تعمل داخل الإطار الدستورى » ، مثل الجمعية الوطنية لتقدم الملونين (M. A. A. C.P.) التى تكونت عام ١٩١٠ ، ومجلس المساواة العنصرية .C. O. R. E الذى تكون عام ١٩٤٢ وتحول عام ١٩٦٦ إلى « القوة السوداء » التى طالبت بمجتمع أسود ومشروعات رأسمالية سوداء ومؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية .S. C. L. S) (.C الذى تبنى الدعوة إليه مارتن لوثر كنج عام ١٩٥٧ .

ويرى فينفتر Finifter أن هذه المنظمات مهتمة « بتصحيح ظروف اجتماعية نوعية تعوق تكامل بعض الجماعات الفرعية فى النظام ككل » . ويجب التمييز بين هذه المنظمات وبين جماعات الثورة التى تستمد قيمها من خارجها .

وبين الجماعات الانفصالية التى تعانى من انعدام المقدرة السياسية العالية وكذلك انعدام المعايير السياسية العالية . ومع جدوى التمييز بين الجماعات الاجتماعية والثورية فإن هذا المقياس يؤدى إلى الخلط طالما كان يستخدم فى تصنيف الجماعات داخل اليسار الجديد مثل لجنة التنسيق غير العنيف للطلبة .S. N. C. C التى نجحت فى أوائل الستينات فى قيادة مواكب الحرية والمسيرات السوداء وتسجيل الأصوات الانتخابية ، غير أن الأمور تغيرت فى أواخر الستينات حيث اشتدت المعارضة للحرب فى فيتنام من جانب هذه اللجنة التى التزمت أيضا بالبرنامج الثورى المضاد للرأسمالية تجاه الجماعات غير البيضاء .

ونظرا لأن اليسار الجديد جاء وليدا للملل والقلق بالنسبة للمستقبل ، فإنه استمر فى الرفض الكلى للمنظمة العامة للشباب لصالح الالتزام السياسى . ومن وجهة نظر بعض أعضاء منظمة .S. N. C. C فإن الجوهر الأهم من قضية المساواة العنصرية كان التعرف بالقضية ، وهو عمل من أعمال الثورة الشخصية وكما كتب كارل أوجلسى Carl Oglesby قائلا : « إنهم يريدون الذهاب إلى الجنوب ويلقون أيديهم ورؤوسهم – أى حياتهم – فى التهلكة »[٢] .

وكما أن منظمة تدعى بـ .S. D. S قد جاءت كرد فعل ضد من اعتبرتهم هذه المنظمة شياطين المجتمع ، وما ظنه الطلبة نفاقا Hypocrisy للمؤسسات الدستورية السياسية الأمريكية ، فقد تعرضت هذه الأفكار لمزيد من المناقشات وصولا إلى وضع خطة للمبادئ

(١) A. D. Finifter, "Dimensions of Political Alienation", in: American Palitical Science Review, 1970.

(٢) Carl Oglesby (ed.), "The New Left Reader", op. Cit., P. 14.

الأساسية للتقدم : « نحن شعب هذا الجيل ، تربينا فى رفاهية ، وندرس الآن فى الجامعات ، وننظر بعين القلق إلى العالم الذى ورثناه » .

وعموما فقد كان من الطبيعى أن تنشأ مثل هذه الحركة الثقافية الليبرالية فى أمريكا . إذ كان هناك كثير من المسائل الفرعية المتعلقة بالمجتمع الأمريكى ذاته وتعتبر مصدر إزعاج جيل الشباب مثل التفرقة العنصرية والحرب الباردة والقنبلة النووية والتفاوت فى الثورة وأنشطة لجنة الأنشطة الأمريكية H. U. A. C. (The House Un-American Activities Committee) بالإضافة إلى الاستثمارات الاقتصادية والعسكرية للولايات المتحدة ، وفوق كل ذلك الشعور المتزايد بانعدام المعنى وانعدام القوة وانعدام المعايير التى تميز الحياة فى المجتمع المنتج للسلع . وتعرضت الجامعة أيضا للهجوم . وفشل الطلبة فى التعاطف مع التصور الليبرالى للجامعة كمؤسسة مستقلة ذاتيا ، منفصلة عن مشاكل المجتمع[1] ، ومع ذلك تقبل المنح الحكومية للبحث فى مختلف فروع الحرب ، كل هذه العوامل تراكمت فى تجسيد الوهم الاجتماعى العام « لم يظهر التقييم Tarnish فقط فى صورتنا للفضيلة الأمريكية ، ولم يحدث فقط تجسيد الوهم حينما اكتشف نفاق المثل العليا الأمريكية - بل لقد بدأنا نشعر أيضا أن ما توقعناه أساسا بالعصر الذهبى الأمريكى إنما كان فى الواقع انحلال عصر »[2] .

وهكذا كان فينفتر Finifter صادقا فيما يتعلق بلجنة S. N. C. C.حيث كان محور اهتماماته يتركز فى أن الحركة لم يتم دفعها أيديولوجيا ، إنها بالتأكيد لم تكن منظمة سياسية سوفسطائية ، وكذلك لم تكن[3] أفكارها تأتى من فراغ ؛ ومن المحتمل أن يكون اليسار الأمريكى الجديد أحد قطاعات اليسار الذى يقبل عمليا عدم معرفة النظرية . وذكرت سيدة فى الثانية والعشرين من عمرها - وهى عضو عامل بارز فى هذه المنظمة ودَارِسَة فى قسم العلوم السياسية « قائلة : « فى الجامعة قرأت قليلا عن كارل ماركس ... من أجل الدراسة فقط ... ولم أفهم الاقتصاد ، وأجزاء الانتقال إلى الوجودية - فى اعتقادى - تبدو أكثر تماسكا وإثارة »[4] .

أماج . س كيونن J. S. Kunen مؤلف « بيان العزلة » Strawberny Statement.

فيذكر أنه قبل الثورة فى كولومبيا فى أبريل ١٩٦٨ كانت تجربته الأساسية مع اليسار وكأنها قارب تجديف لا يضم طاقما متجانسا ولكن يضم طاقما غير متعاون »[5] . إن الطلبة

---

(١) Peter Robert Willimas, op. cit., pp. 68 - 70.

(٢) Port Huron Statement op. cit., p. 156.

(٣) Peter Robert Willimas, op. cit., P. 68.

(٤) Paul Jacobs & Saul Landau "eds", "The New Radicals" op. cit., P. 182.

وراجع أيضا : Peter Robert Willams, The Politics of existentialism alienation of New Left thought op. cit..

(٥) الفقرات الواردة فى المتن مقتبسة من : J.S. kunen.

وصاحب هذه العبارة Theodore Solotaro FF, Holden Caulfield Meets the movement, op. cit.

الذين انضموا إلى إحدى المنظمات الأولى ، إنما فعلوا ذلك على أساس حكم أخلاقى خاص يرفض تقدم المجتمع الكبير برمته ، وبالطبع كان للطلبة الأمريكيين تأثير على أوروبا كما عبر عن ذلك جيانفرانكو كورسينى Gian Franco Corsini[1] ، بالإضافة إلى أحداث فرنسا وقتئذ التى كانت حافزا آخر لتشجيعهم على الرغم من أن الأمر الذى كانت له دلالته لدى الطلبة الإيطاليين خاصة « أن النظارة الذين يلازمون النقط السنوية فى الثقافة الأوربية يبدو وأنهم يتكلمون اللغة الإنجليزية أساسا مع نبرة أمريكية قوية » .

ومن المؤكد[2] أنه فى « أوائل الستينات » اشتملت الحركة على عناصر الفوضوية والاشتراكية والسلمية والوجودية والإنسانية ومذهب التعالى والبوهيمية والشعبية والصوفية « والقومية السوداء .

The Movement comprised " elements of anarchism, socialism, pacifism, existentialism,

humanism, transcend entalism, bohamianism, populism, mysticiam, and black nationalism".[3]

وقد نشأ ذلك نتيجة لأزمة ثقافية ، والظن بأن الأمن وتحقيق الهوية يمكن إيجادهما من خلال ثقافة مضادة ، وحينما سيطر السود على هذه المنظمة بدلا من البيض ، وانتخب ستوكلى كارمايكل رئيسا ، فقد زعمت .S. D. S أن الطلبة البيض قد وجدوا موطنهم فى منظمة .S. N .C&Ç وكان يبدو للسود أنه من غير المعقول الاستغناء عن خدماتهم وفى هذه اللحظة ، فقد أدى توتر قوى الوطنية السوداء إلى فصل .S. N. C. C عن الطلبة الراديكاليين البيض .

التقدمية الأمريكية :

وفى هذا السياق ، تجدد الإشارة إلى تقويم المؤرخين للتقدمية الأمريكية بالمقارنة باليسار الأوروبى الجديد . فحتى عهد قريب كان المؤرخون يعالجون التقدمية الأمريكية American Progressive وسائل متباينة عما كانت عليه فى بداية القرن التاسع عشر .

ففى عام ١٩٥٢ نظر أريك جولدمان EricF. Goldman[4] للتقدمية باعتبارها حركة قومية وفقا لما هو سائد من مفاهيم فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا التفسير « المحدود » قد اعتبر فى السنوات التالية مغايرًا هو الآخر نظرًا لظهور تفسيرات جديدة بهذا الصدد .

---

(١) Cian franco Corsini: "A Generation up in Arms", in: The Nation, June 10th, 1968.

(٢) Peter Robert Willams, The politics of existentialism alienation of New Left thought, op. cit.

(٣) Jack Newfield: "A Prophtic Minority: The American New Left", Blound, London, 1967.

(٤) Eric . Goldman. Rendezvous with Desting. A History of Modern Amevican Reform. New York, 1952, PP. 260 - 262.

وفى سنة ١٩٥٦ لاحظ آرثر مان Arthur Mann اعتناق المصلحين الأمريكيين للأفكار الاجتماعية البريطانية وتأثرهم الشديد بها ، كما جذبتهم الخلفية الأوروبية التى رأى الأمريكيون الأخذ بأسسها فى ما أطلق عليه بالإصلاح الأمريكى فى انطلاقه نحو الديمقراطية الاجتماعية واشتراكية الدولة وانعكس ذلك على العديد من الدراسات والمقالات التى نشرت فيما بعد بشأن اعتبار التقدمية جزء من الحركة الدولية(١) .

وقد نظر مؤرخون آخرون إلى الأمر فى إطار أوجه الشبه بين التقدمية الأمريكية والتحررية البريطانية وأوضح جورج مورى(٢) أن التقدمية الأمريكية من الممكن النظر إليها كجزء من الديمقراطية الغربية الاجتماعية ؛ وأضاف آرثر اكرش قائلا إنه لا توجد حواجز تفصل بين مفهوم التقدمية فى الولايات المتحدة والديمقراطية الاجتماعية فى أوروبا الغربية ، وعلى الرغم من وضوح التقدمية على أنها ظاهرة محلية أمريكية ؛ إلاّ أن اكرش وجورج بالفو قد اقتنعا فى تشابها بالحركة الأوربية .

إن المدى الذى من خلاله يمكن اعتبار التقدمية كجزء لا يستهان به من الحركة الدولية إنما يعتمد على طبيعة العلاقة بين التقدمية والتحررية الأوروبية ، وبالإمكان القول بقدر معقول من الثقة تأسيسا على ما سبق إن التقدمية الأمريكية من وجهة النظر السابقة تشبه الديمقراطية الاجتماعية بمفهومها بشأن القاعدة السياسية للطبقة العمالية ، ويعيد هذا للأذهان صورة الأمريكيين الأبطال المؤيدين لمبدأ الاسترقاق وهم يحاضرون فى بريطانيا وانتشار هذه الأفكار فى الولايات المتحدة ، غير أنه من الملاحظ فى استعادة هذه الأحداث إن المؤتمر الذى عقد فى عام ١٨٤٠ بشأن معاداة العبودية وخوف العالم من فكرة الاسترقاق – كان هذا المؤتمر نقطة فى التعاون بين أمريكا وبريطانيا .

وعندما اندلعت الحرب الأهلية الأمريكية ، فقد ألهبت أفكار الأمريكيين ، وحفزت الحاضرين البريطانيين لمزيد من النقد الذى برعوا فيه بشأن معاداة العبودية فى الولايات المتحدة ، بل أن البريطانيين قد بذلوا جهودا كبيرة لتحرير العبيد من ثنايا حث العبيد على تكوين جمعيات تعمل على تحريرهم ، غير أن هذا الأثر سرعان ما فقد تأثيرة بنهاية عام ١٨٦٨(٣) .

مارس جيمس برايس James Bryce أستاذ القانون فى جامعة أكسفورد والأستاذ الزائر

---

(١) Arthur Mann, "British Social Thought and American Reformers of the Progressive Era", Misaisaippi Valley Hiatorical Review, 42 "March 1956", PP. 672 - 692.

(٢) George E. Mowry, "Social Democracy 1900-1918", in C. Vaun Wood ward, ed., The Comperateve Approach to Amercian Hiatory "New York and London, 1968" PP. 271-284.

(٣) Chritine Bolt, Anti. Slavery Movement and Reconstruction, A Study in Anglo, Americay Co-aperateon 1833-1877 "London 1969". PP 31, 84, 108 - 109.

بصفة مستمرة فى الجامعات الأمريكية - مارس دورًا هامًا فى عودة العلاقات الأمريكية - البريطانية بشأن الجهود الإصلاحية على الصعيد الاجتماعى فى أمريكا ، وبالمثل ما بذله كل من البرت شو Albert Shaw وهو محرر المستقبليات الذى اتسم بالتقدمية فى مقالاته ولقاءاته الأولى مع برايس Bryce عند حضوره من بريطانيا إلى بلتمور Baltimore عام ١٨٨٢ حيث دعتهما جامعة جون هوبكنز johns Hoplcins Univفى عداد بحوث ودراسات وأصبحت عملا كلاسيكيًا أطلق عليه الرابطة الأمريكية ١٨٨٨ .

وعندما غادر البرت شو أمريكا إلى بريطانيا فى نفس العام فقد قام بدراسة عن الحكومات المحلية فى ولايات الغرب الأمريكية ، ومن خلال العديد من المؤرخين وعلماء الاجتماع الذين لقبوا بالإصلاحيين فقد ذاع صيت صحيفة Fortnightly Review من ثنايا جهودهم منددين بالفساد والممارسات غير الأخلاقية فى شيكاغو ، ونشر هؤلاء الإصلاحيون صحيفة أخرى هى The Contomporary Reviewوذلك بالإضافة إلى كتاب وليام ستيد[1] : « لو عاد المسيح إلى شيكاغو فى عام ١٨٩٤ ، وقد كان لكتاب ستيد تأثير كبير فى تشجيع الوعى العام الأمريكى بشأن المشكلات الاجتماعية وظروف الفقراء هناك .

وقد زار العديد من الكتاب المدن الأمريكية وهالهم الفقر المدقع للسكان وإن كان هذا الانطباع قد تغير منذ أكتوبر ١٨٨٣ . فالتقدمية الأمريكية كانت مدركة للفجوة بين الأغنياء والفقراء ، كما أن التقدميين الأمريكيين كانوا يشيدون بالنظام السياسى المستتر فى بريطانيا وتأثيره على الأوضاع الاجتماعية ؛ وأيضا يفعل العامل الدينى حيث كرسى المصلحون البريطانيون جهودهم فى جعل المسيحية أكثر ارتباطا بالسكان وإيجاد الحلول بالتالى للمشكلات والعلل الاجتماعية .

وتأسيسا على ذلك ناشد كل من علماء الاجتماع فى بريطانيا ورجال الدين المسئولين كل مشكلات المدن الصناعية التى كانت بمثابة بؤر سياسية فى الأعوام ١٨٨٩ - ١٨٩٠ . وكان لجهود السياسيين والقادة فى لندن أثرها فى تحسين ظروف الطبقة العاملة ، وكان هذا بمثابة عامل جذب لانتباه المصلحين على الجانب الآخر من الأطلنطى ، فالتقدميون الأمريكيون من أمثال آدمز ، وسيبت شخصا آخرين كونوا غرفة للتجارة الدولية وفضلوا أن يلقبوا أنفسهم بالتقدميين وليس بالتحرريين .

نشط آخرون فى اتجاه الإصلاح ومنهم جون بيرنز John Burns وهو من أبرز دعاة الإصلاح كزعيم عمالى ينتمى للطبقة العاملة « الاشتراكية » وكان قد حصل على معظم الأصوات

---

(١) وقد أنشأ Stead أيضا صحيفة The British Review of Reviewsفى عام ١٨٩٠ ، والتى على غرارها أصبح البرت شو فى عام ١٨٩١ محررا لصحيفة أمريكية أطلق عليها نفس الاسم فى بريطانيا :

The Amcrican Version of Review of Reviews.

عام ١٨٨٩ فى بلدية Battersea وفى الانتخابات التالية - بعد مرور ثلاث سنوات - فقد انضم للمجلس الحاكم مع ثمانية آخرين من اتحاد العمال. والذين جميعا عدوا فى صفاف التقدميين .

كما ذاع صيت بن تيلت Ben Tillet كأحد أهم القادة الاشتراكيين الذين ينتمون إلى الطبقة العاملة ، ورفيق بيرنز فى المجلس الحاكم ، أو ما يطلق عليه البعض بمجلس الشورى ؛ ومن خلال هذه التجمعات العمالية حدث الائتلاف بينهم وإعداد برامج إصلاحية متأثرة إلى حد كبير بالأفكار الفابية فى بريطانيا والمقالات عن الاشتراكية هناك ولكنها فى نفس الوقت كانت مضادة للماركسية anti-Marxist وتركزت هذه الجهود فى المساعدة السياسية للطبقة العاملة الأمريكية .

كانت التقدمية فى بريطانيا لها نداق خاص ، ومعنى شامل يستقطب فى طياته اتحادات العمال ، والتحرريين ، والغرفة التجارية الدولية . وقد نجح العديد من هؤلاء فى الفوز بعضويتها فى عام ١٨٩٢ . إن النظرة التقدمية التى سادت بريطانيا فى عام ١٨٩٦ كانت حافزا لهمم العمال هناك ، وكان هدفها التأكيد على الفكرة الجديد ، والتعاطف مع العدل الاجتماعى ، غير أن هذه التقدمية التى اعتبرت بمثابة نظرية لم تدم فترة طويلة بسبب ضعف الروابط بين الائتلافات وعدم لم شمل الجناح اليسارى وبالأخص عندما دخلت لفظة « الإمبريالية » فى مناظرة سياسية وبالتالى فقد طوى عام ١٨٩٦ أيامه بعدم وضوح رؤية واضحة للعمل فى هذه الائتلافات العمالية .

وتجدر الإشارة إلى أن المجتمعات الفابية قد وجدت فى لندن عام ١٨٨٤ ؛ ونشأت أصلا كمجموعات للمناقشة من خلال بعض المفكرين الاجتماعيين من أمثال جورج برنارد شو George Bernard Show الذى التحق بها قبل نهاية عام ١٨٨٤ ، وسيدنى ويب Sidney Webb فى عام ١٨٨٥ ، وجراهام والاس Graham Wallas فى عام ١٨٨٦ ، وقد تبلورت فلسفتها من ثنايا مجموعة مقالات عن الاشتراكية فى عام ١٨٨٩ Fabian Essays on Socialism والتى من خلالها أدى الفابيون دفعات مشجعة للحركة التقدمية فى بريطانيا ، وتعاون العديد من المؤلفين فى اتجاه مضاد للماركسية anti-Marxist مستقطبين بعض الأحزاب والتنظيمات السياسية إلى صفوفهم ؛ وقد تم انتخاب ستة من هؤلاء فى الغرفة التجارية الدولية كتقدميين فى عام ١٨٩٢[١] .

قابل الأمريكيون التقدميون هذه الموجة فى بريطانيا بفتور ولم يتحمسوا لها كما كان متوقعا وإن كانوا - كما سبقت الإشارة - قد عملوا على توطيد العلاقات الأمريكية البريطانية ، فكان الفابيون من الطبقة العاملة من أمثال شارلى بيرد Charles Beard يمتدون ويتوسعون فى نشر

(١) A.M. Mc Briar, Falrian Socialism and Enylish Politics 1884-1918 (Cambridge) pp. 196-198

أفكارهم باكسفورد وأنشأوا كلية الطبقة العاملة فى عام ١٨٨٩ معتمدين أيضا على جهود النقابيين الجدد من أمثال تيليتTillett والساسة العماليين من أمثال بيرنز Burns وماكدونالد Macdonald وهاردى Hardic[1] .

اعتقد هؤلاء أن تغيير المجتمع عملية شاقة وطويلة ، وكانوا لا يؤمنون بالحلول المفاجئة ، وكان التطور بالنسبة لهم يرتبط بالثورة ؛ وأن المجتمع يسير فى اتجاه التجمعية العظيمة greater CollectivismK وكل هذه العوامل صورت التقدميين ، وعلاوة على ذلك فإن الفابيين نظروا إلى أنفسهم كجزء من حركة عالمية واسعة للتغيير إلى الأفضل ، وأعطت دوريه The Proyressive Review التى حررها الفابيون مزيدا من انتباه الرأى العام لأفكارهم وتكوين الحركة الفابية فى الخارج وخاصة تجاه التقدمية الأمريكية التى برزت بوضوح من خلال جهود ريتشارد إيلى Richard Ely وادوارد روس Edward Rossوأرسل هؤلاء نسخا من محصلة أفكارهم وكتبهم للبريطانيين وقد أثارت هذه الكتب والمؤلفات الجدل بشأن التقدمية الاجتماعية لهؤلاء المفكرين والاتجاهات المغايرة عبر الأطلنطى .

---

(١) John Braeman, "Charles A. Beard The English Experience". Journal of American Studies, 15. (Angust 1981), pp. 175-181.

خاتمـــة

حاولت جهدى فى هذه الدراسة أن أربط بين توجهات اليسار الجديد فى أوروبا الغربية والولايات المتحدة ومدى ارتباط ذلك بالثورة السلوكية بأن احلل مادتها انطلاقا مما يجرى الاتفاق عليه فى الوقت الحاضر بربط اصطلاح « الفلسفة » بالمعرفة التى لا تلتزم بمنهج الملاحظة والتجريب كما يرى علماء السياسة المعاصرون ؛ ويبدو أن فلسفة اليسار الجديد فى الغرب وهى تعالج الفكر الإنسانى قد تعدت مرحلة المعرفة اللاتجريبية إلى المعرفة التجريدية من ثنايا المنهج العلمى ، وأجد من واجبى أن أعرض التساؤلات حول مدى مدلول اليسار الجديد فى الغرب وعما إذا كان فى طريقه ليصبح ظاهرة سياسية فى إطار المنهج العلمى التجريبى ، أم أن هذا اليسار الجديد الذى ارتكز إلى وجهات نظر ذاتية لأصحابها هو مجرد مبادىء لم تتحقق عمليا بالملاحظة والتجريب .

ويقود ذلك إلى التساؤل التالى حول الفكر الاشتراكى ذاته والذى كان حتى عهد قريب فكرا متسعا ، رحبا ، وبدأ وكأنه لا نهاية له من وجهة نظر معتنقيه ؛ وذلك على خلاف ما حدث فجأة من انهيار الكتلة الاشتراكية ونهاية هذه الحرب الباردة التى شملتها آفاق هذه الدراسة فكريا بالتفسير والتعليل والتحليل ؛ حيث لاحظ بعض الكتاب اهتزاز كثير من المفاهيم الأساسية فى نظرة الأوروبيين إلى أنفسهم وانعكاس ذلك على القوى السياسية التى سيطرت على الحياة السياسية فى أوروبا طوال العقود الماضية ؛ وثمة ملاحظة أخرى حول تغير نظرة الأوروبيين إلى أنفسهم عقب انفراط عقد الكتلة الاشتراكية وهو الخطر القادم من روسيا ودول الكومنولث الجديد التى توشك أن تغرق أوروبا فى بحر من المتاعب السياسية والعنصرية ، وذلك عن الخروج من دائرة المشاكل التقليدية لعقدى السبعينيات والثمانينيات وصعود نجم اليسار الجديد فى دورة فى كشف الانقسامات وهبوط الشعبية للعديد من الأحزب السياسية ، ففى فرنسا خرج الاشتراكيون من الحكم ، أيضا ؛ وفى ايطاليا سقطت النخبة الحاكمة المسيطرة على الحياة السياسية لفترة طويلة ، وفى بريطانيا يعانى حزب المحافظين من تمزق الخلافات بين صفوفه ، وفى ألمانيا تتسع دوائر العارضة لسياسات الحكومة ، والدول الأوروبية عموما تهددها عودة الاتجاهات القومية بخلافاتها وجذورها التاريخية ، وفى الولاياتت المتحدة يواجه الحزب الديمقراطى أزمات متصاعدة .

والشباب فى الغرب يجد نفسه ضحية لهذه الآثار السيئة ، كما أنه يجد فى نفسه المعارضة الوحيدة الراديكالية الفعالة فى مجتمعاتهم وخاصة الشباب الجامعى ، ولا يبدو حتى الآن

وجود تحليل يفسر مغزى الاضطرابات السياسية الكبرى للعقد الحالى باستثناء أقلية من الشباب المنشق ضد السياسة الفاقدة الشعور الخاص بالوفاق بين فئات المجتمع الأوروبى وطبقاته ، والائتلاف الذى ساد جيل الطبقة الوسطى الأكبر منهم سنا .

ويمكن تلمس ذلك من الاعتبارات الآتية :-

أولا : إن العامل المشترك مع اليسار الجديد وبصفة خاصة مع « الحركة الأمريكية » هو « إزالة الوهم العام » بالبلاغة اللفظية ، وأصحاب نظريات « نهاية الأيديولوجية » فى الدول التى بزغت فيها هذه الدعوات « نهاية الأيديولوجية » هى التى تميز فكر اليسار الجديد عن اليسار القديم ، لأن الثورة الاشتراكية تبدو غير ممكنة فى الواقع ، ومن ثم فقد لاحت فى الأفق تحديات الأيديولوجية . ويعيد هذا للأذهان ما أوضحه ميلز منذ أكثر من ثلاثة عقود عن أن الوقائع التى بطل استخدامها وانفصلت عن المثل العليا أصبحت هى السائدة فى علم الاجتماع السياسى الأمريكى المعاصر .

وغدت القاعدة هى الكشف عن الحقيقة ، وتم تقويم الحقائق تقويما صحيحا وموازنتها بعناية ، وفق ما ذكر ميلز :

The disclosure of fact - set forth in a brlght - faced or dead-pan manner is the rulc The facts are weighed carefully balanced, alualys hedged". (١)

ثانيا : تطورت فلسفة اليسار الجديد تجاه السياسة ، فما يجب أن يكون حقيقة ينبغى أن يكون قرارا أخلاقيا ، وفصل المرء نفسه ومعاملة الآخرين مثل كثير من الأشياء ليس قيمة حرة ، بل اختيار لمدى قدرة الآخرين(٢) ؛ وتصبح وجهة النظر الأكاديمية الليبرالية متحذلقة إذ أنها تحذف إمكانية الالتزام العبقرى لأنه كما قال ويتنجنشتاين Wittgenstein : « تخرج القيمة عن نطاق حيز اللغة ، فالوضعية والليبرالية لفظتان تعبران عن رد فعل أيضا طالما أنهما ينتهيان عند الرضا الاجتماعى ، ولقد كان « ميلز هو أول صاحب نظرية » للحركة لأنه بحث عن « العالم الأكبر » Macroccosmأكثر من « العالم الأصغر » Microcosm وإذا كانت هناك سياسة اليسار جديد ، فإن هناك ضرورة ملحة البناء المؤسسات السياسية ، وبهذا المعنى فإن عملنا سواء من ناحية النقد أ و الاقتراحات هو عمل بنائى بالضرورة ، وتاسيسا على ذلك فإن سياسة ليسار جديد هى خيالية - كما أضاف ميلز(٣) - بالنسبة لنا » ؛ وبما أن العقل انعكاس

---

(١) الفقرات الواردة فى المتن مقتبسة من :

Mills, C. Wright "The New Left" in "Power, polirics and people", op. cit., PP 247-248.

(٢) Turner, C. Hampden, "Radical Man" Duckworth, London, 1971, P. 34.

(٣) Mills C. Wrighy, The New Left. op. cet., P. 254.

للغة ، واللغة انعكاس للحالة ؛ فقد اعترف ميلز بعدم معقولية التفكير الخيالى ، وإلى هذا المدى تنبأ ميلز بعدم جدوى تمرد الشباب واعتبرها صوفية[١] .

ثالثًا : سبقت الإشارة فى موضع سابق من الدراسة إلى اعتبار جوهرى حول ارتباط فكر اليسار الجديد فى أوروبا بالولايات المتحدة ، ففى حين اكتسب اليسار الجديد شعبية فى بريطانيا وفرنسا قبل أن تبدأ الحركة الأولى فى الولايات المتحدة بحوالى أربع سنوات ؛ فإن اليسار الأوروبى الجديد كان يشهد فى ثناياه ثورة أكاديمية عقلية ضد أسس التوجيهات السياسية ، وأن البدائل بين اليسار القديم واليسار الجديد فى الخمسينات – على حد قول أ .ب تومسون[٢] – كانت عبارة عن أزمة احدثتها الراسمالية الناشئة داخل الاشتراكية ذاتها ؛ نتيجة محاولة مترددة لإيجاد لغة مشتركة يمكن بواسطتها وصف اضطراب وتحول الرأسمالية – ومعها إعادة تكوين حزب العمال نفسه « مباشرة » .

وفى فرنسا حاولت فصائل اليسار الجديد توحيد قواها المشتتة لإدانة الستالينية والسياسية الفرنسية تجاه الجزائر ومصر مكان ذلك بمثابة بعث الحياة فى اليسار الجديد الفرنسى ، فى حين شهدت أمريكا عام ١٩٥٦ انهيارًا نهائيا لليسار القديم ومع ذلك فلم تشهد مولد اليسار الجديد ، ولم يوجد سوى بضع كتاب يُعَدُّون على أصابع اليد الواحدة أمثال رايت ميلز **Wright Mills** وآلن جينسبرج **Allen Ginsberg** وجاك كيرواك **Jack Kerouac**

رابعًا : إن الانتقال من الاحتجاج الوجودى إلى الالتزام الثورى الذى حدث فى التجمعات الطلابية والشبابية سواء تمثل ذلك فى الانفصاليين السود أو الراديكاليين البيض فى أواخر الستينات لم يرقى لتحويل الإنسانية و « المثالية » الليبرالية إلى العنف الثورى ، وبينما كان طلبة اليسار الجديد فى حركتهم راضين نسبيا بدراساتهم الجامعة ؛ وناصروا التغيير – هيكليا على الأقل – فإن الحركة قد التزمت فيما بعد بشمولية تجاوزت تماسك ماركيوز وهو أحد أبرز كتاب النظرية السياسية المعاصرة فى الغرب – ذلك أن ماركيوز لم يؤيد أبدًا معاداة الجامعة ؛ معتقدًا أن الجامعات الأمريكية كانت بمثابة « مملكة محصورة بين الفكر التقدمى والفكر الحر » .

ومن الثابت أن فشل الطبقة العاملة الأمريكية والمؤسسات الحرة فى بذل أى ضغط على الحالة الراهنة ، قد أدى إلى ترك الشباب الأمريكى – وخاصة طلاب الجامعات منهم – فى فراغ ثقافى ؛ بما يعنيه ذلك أن حركة الشباب فى طريقها للانهيار عاجلا أو آجلا بشأن اعتناق فكر اليسار الجديد ؛ ومع ذلك فإن محصلة تجربة فرنسا عام ١٩٦٨ – كما سبقت الإشارة – قد أبرزت أن اليسار الجديد غير قادر – حتى بتأييد الطبقة العاملة – على الانتقال إلى المجال

---

(١) لاحظ عدم جدوى الشعارات المكتوبة على الجدران فى باريس ١٩٦٨ .

(٢) Hall. Williams and "Thompson The May Day Mani Fes fos fo" in "The New left Reader" P. 122.

السياسى ، شأنه شأن الوجودية حيث تعوزها التوجيهات السياسية ، وأن الشباب فى غرب أوروبا والولايات المتحدة ليس فى حوزته سوى التعبير عن المعنويات بالمجسمات Reificatian

خامسًا : إن ارتباط كل من علم السياسة السلوكى والنظرية السياسية الحديثة باليسار الجديد تأتى فى شق منها بأسلوب المنهج التاريخى أو التقليدى وأفضل من يمثله فى علم السياسة هو جورج هـ . ساباين[1] ، حيث اقترح أن ندمج فى علم السياسة جميع الموضوعات التى كانت مثار مناقشة فى كتابات فلاسفة السياسة المشهورين ؛ للبحث عن إجابات للأسئلة المثارة حول صحة وسلامة النظريات السياسية والفضائل والمثل المراد تحقيقها فى الدولة ولماذا يطيع الناس السلطة ومعنى المساواة وهو ما يمثل أسس النظرية السياسية ، فماذا عن موقع فكر اليسار الجديد فى أوروبا والولايات المتحدة من هذه التساؤلات ؟

ترتبط الإجابة على هذا التساؤل فى أن عمليات إعادة بناء الزمان والمكان والظروف التى نشأ فيها اليسار الجديد شئ ضرورى لفهمه ، فالنظرية السياسية تتفوق وتتميز فى كل من تحليل الموقف الحالى والايحاء بمواقف أخرى ، والنظرية السياسية وبالتالى علم السياسة السلوكى لها مغزاها فى العصور المقبلة فهى عبارات تصف حال وأوضاع أدت إلى نشأتها ، وعبارات تدور حول ما يمكن أن يطلق عليه تجاوبا الطبيعة العرضية ، وهى أخيرًا عبارات تشير إلى أن شيئًا ما يجب أن يحدث ، أو هو الصواب فى أن يحدث ، أو هو الذى يستحسن أن يحدث ، فالنظريات السياسية الكبرى لاتنشأ عن أزمة ، ولكن من خلال ردود الفعل التى تتركها عقول المفكرين .

وفيما يتعلق بفكر اليسار الجديد فى أوروبا والولايات المتحدة والذى نشط فى فترة الحرب الباردة فإن صياغة التساؤلات المتعلقة بها تغدو على الوجه الآتى :

هل أثرت أفكار اليسار الجديد على المعتقدات السياسية ؟

وبشأن ارتباطها بعلم السياسة السلوكى : هل يمكن التعويل على أفكار اليسار الجديد وإلى أى مدى ترتبط هذه الأفكار بمسألة القيم Values وما هى المكونات النفسية لأصحاب فكر اليسار الجديد ؟ وهل كان هدفهم التحريض أم الاقناع ؟ وما هو الفرض من التحريض بشأن تنظير السيسة ؟ وإلى أى مدى تعتبر أيديولوجية اليسار الجديد مدخلا لفهم النظرية السياسية المعاصرة ؟ وبالتالى علم السياسة السلوكى ؟

إن كل نظرية سياسية يمكن تقويمها - أى الحكم عليها - بأسلوبين : النظرية ، وكسبب للأحداث . كنظرية يمكن أن يوجه لها الباحث النقد المنطقى ويحلل معناها ويبرز أوجه القصور

---

(١) راجع فى تفضيل ذلك :

George H. Sabine, A HistoRy of Politcal Thery. New Tork, Henry Holt. 1937.

فيها ، ولكنها كسبب للأحداث فإن الباحث يحاول اكتشاف أى مصالح تدافع عنها ، وبالتالى تمثل أى دوافع لدى المفكرين السياسيين حدث بهم إلى ذلك ؛ وفى هذا الإطار من الضرورى التمييز بين الوظائف والقيم إلى جانب وجود فكر مستقيم متماسك ، فالنظرية السياسية تشتمل على كل من الفكر السياسى ، والفلسفة السياسية وعلم السياسة وإفرازات ذلك كله عالجه علم السياسة السلوكى فهل تحقق ذلك فى فلسفة وفكر اليسار الجديد فى أوروبا والولايات المتحدة أم أن اليمين المتطرف هو الذى سيطر على الساحة السياسية ؟

سادسًا : أوضحت هذه الدراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الوجودية فى أوروبا ، والبرجماتية فى الولايات المتحدة ، كما تناولت تحليل اليسار الجديد الأمريكى بعد انهيار الحلم الأمريكى الذى أقامته البرجماتية بشأن إقامة مدينة فاضلة « يوتوبيا » ؛ وكيف تفرع اليسار الجديد الأمريكى إلى عدة منظمات للشباب الجامعى بصفة خاصة وقارنت ذلك باليسار الجديد فى بريطانيا وفرنسا بعد عام ١٩٥٦ .

سابعًا : هناك ملاحظة هامة ينبغى عدم إغفالها ونحن وبصدد ارتباط علم السياسة السلوكى باليسار الجديد فى أوروبا والولايات المتحدة ، حيث أنه لم يتم التعرض لانعكاس الثورة السلوكية على العالم الثالث والذى ساد فيه هو الآخر المشكلات والعلل الاجتماعية والقلق تأيديولوجى وعدم الاستقرار السياسى ولعل ذلك يرجع طبقا لرأى فئة من كتاب اليسار إلى سمات عالم ما بعد الحرب الباردة ، فالكتلة الدولية المناوئة للغرب « الكتلة الشيوعية » قد اختفت دون أن تختفى ظاهرة « القطبية الثنائية » ذاتها ؛ ذلك أن القواعد التى تحكم العالم الغربى لم تمتد لتشمل العالم كله ، بل ظلت تحكم قطاعا محدودا من عالم الشمال فقط وظلت بقية العالم خارج قواعد اللعبة ، وتعانى دول العالم الثالث من عدم قدرتها على الاعتماد على قطب دولى فى مواجهة الغرب ؛ وترتب على ذلك عدة آثار من أبرزها زوال القدرة على مواجهة الغرب اقتصاديا أو عسكريا .

* * *

مراجع مختـــارة

Almond, G.A. and Coleman, J.S.: The Politics of the Developing Areas, Princeton, Princeton University Press, 1960.

Almond, G.A. and Verba, S.: The Civic Culture, Princeton, Princeton University Press, 1963.

Almond, Gabriel A. and Powell, G. Bingham, Comparative Politics, Boston; Little Brown and Co., 1966.

Apter, David, E. The Politics of Modernization, Chicago, University, of Chicago Press, 1965.

Bandyopadhyaya, J.: Mao Tse-tung and Gandhi, Delhi, Allied Publishers, 1973.

Barker, Ernest: Principles of Social and Political Theory, Oxford, University Press, 1952.

Bay, Christian: The Structure of Freedom, Stanford, Stanford University Press, 1958.

Bentley, Arthur F.: The Process of Government, San Antonio, Principia Press of Trinity, University, 1949.

Black, C.E.: The Dynamics of Modernization, New York Harper and Rew, 1966.

Blackham, H.J.: Six Existentialist Thinkers, London, Routledge and Kegan Paul Ltd., 1952.

Bottomore, T.B.: Elites and Society, London, Penguin Books, 1964.

Brecht, Arnold, Political Theory: The Foundation of Twentieth Century Political Thought; Bombay, Times of India Press, 1970.

Burns, Edward McNail Ideas in Conflict, London, Methuen and Co., 1960.

Cotlin G.E.G.: A Study of the Principles of Politics, New York, Macmillan, 1930.

Charlesworth, C. (ed.) Contemporary Political Analysis, New York, Free Press, 1967.

Coleman, James, S. (ed.): Education and Political Development, Princeton, Princeton University Press, 1965.

Cranston, Maurice, Sartre, Edinburgh and London, Oliver and Boyd, 1962.

Crick, Bernard: The American Science of Politics, Berkeley, University of California Press, 1959.

Dahl, Robert A.: Modern Political Analysis, Englewood cliffs, N.J. Prentice Hall, 1963.

Davies, Morton R. and Vaughan, Lewis A: Models of Political System, Delhi Vikas Publications, 1971.

Deutsch, Karl W.: The Nerves of Government, Glencoe, III., The Free Press 1963.

Djilas, Milovan, The New Class, London, Thomas and Hudson, 1957. The Uuperfect Society, London, Unwin Books, 1969.

Downs, Anthony: An Economic Theory of Democracy, London, Harper and Row, 1957.

Downston, James V. and Hart, David K. (ed.): Perspectives on Political Philosophy; Marx Through, Marcuse, Hinsdale, III, The Dryden Press, 1973.

Easton David: The Political System, Calcutta, Scientific Book Agency, 1953.

Eisenstadt, S.N.: The Political System of Empires, Glencoe, The Free Press, 1963.

Eldersveld, S. et al.: Political Behaviour; A Reader in Theory and Research, New York Free Press, 1950.

Erikson, Erik.: Gandhi's Truth, London, Faber and Faber Ltd., 1970.

Eulau, Heinz, Micro-Mecro Political Analysis, Chicago, Aldoine Publishing Co. 1969.

Frend. S.: Civilization and Its Discontents. London. Hogarth Press. 1980.

Friedrich Carl J: An Introduction to Political Theory. New York, Harper & Row. 1967.

Fromm. Erich: Fear of Freedom. New York. Holt. Rinehart and Winston. Inc. 1941.

Fien. Leonard I. Politics in Israel. Boston; Little Brown, 1967.

: Sane Society, New York. Holt. Rinehart and Winston Inc., 1955.

Gasset: Ortega Y.: The Revolt of the Nasses, New York, Norton, 1932.

Germino, Dante: Beyond. Ideology, The Revival of Political Theory, New York, Harper and Row. 1967.

Gerth, H.H. and Mills, C. Writkht (ed.): From Max Weber, London, Routledge and Kegan Paul, 1947.

Gould, James A. and Thursby. Vincent V. (ed.): Contemporary Political Thought, Issues in scope, Value and Direction. New York. Holt. Rinehart and W inston. Inc. 1969.

Guetzkow, Harold: Simulation in International Relations. Englewood Cliffs, Prentice Hall, 1963.

Hass, Michael and Kariel. Henry S.: Approaches to the Study of Political Science, California, Chandler Publishing Co. 1970.

Hannah, Arendt. Origins of Totalitarism. London. Allen and Unwin. 1962.

Hyman. Herbert H.: Political Socialization. New Delhi. American Publishing Co. pvt. Ltd, 1972.

Hyneman. Charles: The Study of Politics Urbana. University of Illinois press, 1959.

Ithiel de Sola Pool (ed.): Contemporary political Science: Toward Empirical Theory New York. McGraw Hill, 1967.

Kausky, John H.: political Changee in Underdeveloped Countries: Nationalism and Communism, New York, Wiley and Sons. 1962.

Laslett. Peter (ed.): Introduction to philosophy poetics and Society New York, Macmillan Co. 1956.

Lasswell. Harold D.: The Analysis of p olitical Behaviour, London, Routledge and Kegan Paul Ltd. 1948.

Lasswell Harold D.: The political Writings of Harold D. Lasswell, New York The Free press of Geencoe, 1958.

Lasswell Harold D. et al: The Comparative Study of Symbols Stanford University press, 1952.

Lasswell, Harold and Kaplan Abraham; power and Society, New Haven, Yale University press, 1950.

Latham. Gertram: Group Basis of politics. Ithac; Cornell University Press, 1952.

Lazarsfeld, Paul F. and Rosenburg. Morris (ed.); The Language of Social Research, Glencoe The Free press. 1955.

Lerner Daniel: The passing of Traditional Societies. Glencoe, III, The Free press, 1958.

Levy Marion J.; Modernization; Latecomers and Survivors, London, Books Inc. 1972.

Leys. Colon (ed.): politics and Change in Developing Countries, Cambridge University press, 1969.

Lipset., Seymour Martin, political Man New Delhi Arnold Heincomann India, 1973.

(ed.): politics and the Social Sciences, New York, Oxford University press, 1969.

Maruse. Herbert: One Dimensional Man. London, Routledge & Kegan Paul Ltd. 1964.

Meehan, Eugene J.: Contemporary political Thought: A Critical Study Homewood. Illinois. The Dorsey press, 1957.

Meisel, James II.: The Myth of the Ruling Class: Gaetano Mosco and the Elite, University of Michigan press, 1958.

Michels: Roberto, political parties. Glencoe. III. The Free press, 1949.

Milbrath, L.W.: political participation. Chicago, Rand McNally and Co. 1965.

Mills. C. Wright: The Sociological Imagination, New York, Oxford University press, 1959.

Mosca, Gaetano: The Ruling Class. New York McGraw-Hill. 1939.

Murti: V.V. Ranan: Essential Writings of Gandhi, Delhi. Orient Longmans, 1970.

Nisbet. Robert A.: Social Change and History. Aspect of Westen theory of Development, New York. Oxford University press. 1959.

Organski, A.F.K.: The Stages of political Development, New York, Alfred A. Knopf. 1965.

Palombara. Joseph La (ed.): Bureaucracy and political Development, princeton, princeton University press, 1963.

Palombara. Joseph La and Wiener. Myron (eds.): political parties and political Development, princeton, princeton University press. 1966.

ParsZous, Talcott: The Social System. Glencoe, III. The Free press, 1951.

Plano. Jack C. and Riggs, Robert E.: Dictionary of political Analysis. Hinsdale III, the Dryden press Inc. 1973.

Polsby. Nelsan W.: Community power and political theory. New Haven, Yule University press. 1963.

Pye, Lucian W. Aspects of political Development, Boston, Little Brown and Co. 1966.

(ed.): Communication and political Development, princeton University press, 1963.

Pye, Lucian W. and Verbs, Verbs, Sidney (ed.): political Culture and Political Development, princeton, princeton University press. 1965.

Ranney, Austin (ed.): Essays on the Behavioural Study of politics, Urbana, University of Illinois press, 1962.

Riber, William H.: the theory of political Coalitions, New Haven, Yule University press, 1952.

Rostow, W.W.: politics and the Stages of Growth, Cambridge Mass, M.I.T. press, 1972.

Rudolph, Lloyd I, and Rudolph. Susanne H.: the Modernity of tradition, Chicago, Chicago University press, 1967.

Sartre, Jean? Paul: Existentialism and Humanism. London, Methuen 1948.

Schram. Stuart R.: the political thought of Mao tse-tung. London. penguin Books Ltd., 1960.

Schelling Thomas C.: the Strategy of Conflict. Cambridge. Mass. Harvard University press, 1960.

Shils. Edward: political Development in the New State, the Hague, Mouton and Co. 1962.

Su.h kbMiartin (ed.): Game theory and Related Approaches to Social Behaviour, New York, John Wiley and Sons 1964.

Shumpeter. Joseph A.: Capitalism. Socialism and Democracy. New York. Harper and Row. 1950.

Snyder. Richard e. et al. Foreign policy Decision Making, New York. 1962.

Strong. Herbert J. (ed.); Essasy on the Scientific Study of politics. New York. Holt Rinehart and Winston. Inc. 1962.

Strauss. Leo; Natural Right an History. Chicago the University of Chicago press. 1953.

Truman David: the Governmental process political Interests and public Opinion New York. Alfred Knopf. 1951.

Ulmer. Sidney S. (ed.): Introductory Readings in political Behaviour. Chicago. Rand McNally and Co. 1961.

Van Dyke Vernon, political Science A. philosophical Analysis. Stanford. Stanford University press. 1960.

Verba, Sydney: Small Groups and political Behaviour. princeton 1961.

Voegelin Eric: the New Scieno .... go 1952.

Wallas Graham: Human Nature in polities. .... constable 1942.

Wiener Norbert: Human Use of Human .... Boston, 1956.

Welch Claude E. (ed.): political Modernization .... 1956.

Weldon T.D.; the Voeabulary of polities. London, penguin Books Ltd., 1953.

Wiseman, H.V.; political Systems. London. Routledge and Kegan Paul, 1966.

Young, Oran R.: Systems of political Science, Englewood Cliffs. N.J.; prentice Hall. Inc. 1968.

Young. Roland A pproaches to the Study of politics, Evanston. III. North Western University press. 1958.

فهرس الكتاب

رقم الإيداع	١٩٧٦ / ١٩٩٥
الترقيم الدولى	977-02-[illegible]-0 ISBN

٥/٩٤/٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)


١٢٨١٠٦
١٢٩٠٠